

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٦٣ - رمضان ١٤٢٧هـ - أكتوبر ٢٠٠٦م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 363 - Oct. 2006

- تيتي كاكا : بحيرة في السماء
- رمضان في كتابات المسلمين اليابانيين
- الخيول العربية تراث أصيل، وتاريخ طويل





مجلة ثقافية شهرية . العدد٣٦٣- رمضان ١٤٢٧هـ . إكتوبر ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No.363 Oct. 2006

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هنالك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هنالك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يرسلون للمجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

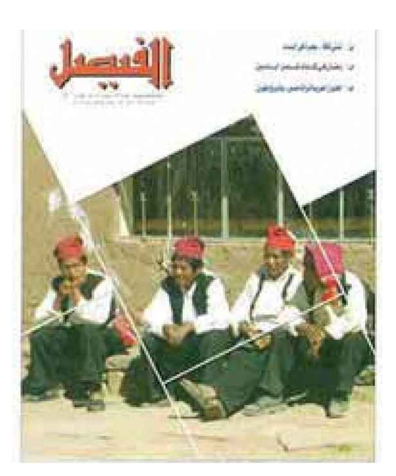
السعودية ١٠ ريالات - الكويت ٨٠٠ فلس - الإمارات ١٠ دراهم - قطر ١٠ ريالات - البحرين دينار واحد - عُمان ريال واحد - الأردن ٧٥٠ فلس - اليمن ١٠٠ ريال - مصر ٤جنيهات - السودان ١٥٠ دينارًا - المغرب ١٠ دراهم - تونس ٢٥٠ ، ١دينار - الجزائر ٨٠ دينارًا - العراق ٨٠٠ فلس - سورية ٤٥ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ، الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف:٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ، ٢٠٢٠٠ سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢١٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ، ١١، ٠٠٩٦٣ تونس - الشركة التونسية للصحافة ، ٣نهج المغرب - ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ٧١ ، ٠٠٢١٦ قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ، فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ، ٠٠٩٧٤ الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية ، ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ، فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ، ٦، ٠٠٩٦٢ البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ، فاكس ٥٣١٢٨١ ، ٠٠٩٧٣ الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ، فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ، ٤ ، ٠٠٩٧١ الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ، فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ، ٠٠٩٦٥ المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٢٢ - ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٢، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠٦/٢ ، ٢ ، ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







"تيتي كاكا" بحيرة في السماء

تيتي كاكا في الأصل تعني صخرة الأسد، وهو اسم البحيرة الواقعة بين بوليفيا والبيرو، التي كانت تحمل اسم جزيرة الشمس، أكبر جزر هذه البحيرة، وقد أصبحت البحيرة، التي ترتبط بكثير من المعتقدات والأساطير والخرافات، مزارًا سياحيًا، تتسابق للترويج لها شركات السياحة، فما الذي يجذب السيّاح إلى هذه البحيرة؟

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٢) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

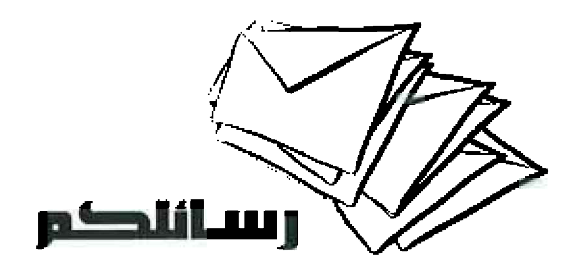
١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨



جسر التواصل

سررت للكلمات الرقيقة؛ التي تفضل الدكتور يوسف عز الدين بسياقها في شأني حول تعقيبي على مقالته: «العولمة والثقافة بين العولمة والاحتواء»، والأبيات الشعرية العذبة؛ التي تتغنى بتونس. إن دل هذا على شيء فإنه يدل على حسن أخلاق الدكتور، وعلو كعبه، وعلى أن مبدأ التنوع الثقافي الآرائي إن صحت العبارة، يصب حتمًا في بوتقة التنوير الثقافي الإعلامي؛ الذي يتبناه المثقف، ويمرره إلى القارئ؛ ليكون السجال فكريًا؛ ولتكون الإنارة شاملة ونافعة للمبدع والمتلقي.

شكرًا للدكتور ولمجلة «الفيصل» القيمة، التي مثلت جسر التواصل بين القراء والكتاب، ويا حبذا لو يتم التواصل بين الدكتور وبيني عبر البريد العادي، أو الإلكتروني، وأرجو من «الفيصل» أن تتفضل بنشر العنوان في ختام هذه الرسالة.

أرجو من الدكتور والسادة الكتاب، إيلاء موضوع العولمة وآثارها في المجتمع العربي، ما يستحقه من اهتمام، وبخاصة أمام قطبية القرار الأمريكي المتفرد، والمهيمن على العالم. أما في خصوص بيت الحكمة، فقد يكون المانع ماديًا أساسًا.

في مجال آخر، أشكر «الفيصل» على سرعة وصول العدد إلى تونس، وذلك للشهر الثاني على التوالي، وإن كنت أحبذ عودة أركان «كأوراق متناثرة»، و«لوحة وفنان»، و«قالوا عن»، وهي أركان تعرفت إليها مصادفة في عدد قديم، هو: عدد ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ/ فبراير عام ١٩٨٠م، العدد ٣٢ اقتنيته أخيرًا مصادفة من سوق أسبوعية لبيع الكتب والمجلات القديمة.

نبيل البواب

٢٥٥ الحي ٦

المنستير - تونس

التحرير:

نشكر لك اهتمامك بالتعقيب، وحرصك على اقتناء المجلة، ونبلغك تحيات الدكتور يوسف عزالدين المقيم في بريطانيا، ويمكنك الاتصال به على الهاتف رقم ٠٠٤١٥٧٠٤٨٠٤٢٨

غموض!

إنني إحدى المهتمات بالثقافة العربية، وأحاول جهدي الحصول عليها بصورة فردية من الأوطان العربية، حيث الإعلام العربي لا يزال قاصرًا في كثير من المجالات المهمة. فنحن في قبرص لا نستطيع الحصول على المعلومات التي نحتاج إليها عن المملكة العربية السعودية، فالإذاعة لا تُسمع إلا في آخر الليل، والمجلات والكتب لا تصلنا إطلاقًا؛ وهذا ما سبب تكوّن ستار من الغموض حول الثقافة السعودية.

لذلك وجدت في مجلتكم الغراء ما يسد حاجتي، فجزاكم الله عنا خيرًا.

د. بحرية بنت علي العلي

ردود سريعة

الأخ نشأت المصري – سوهاج- مصر:

نشكر لك رسالتك الرقيقة، والإسهام بالكتابة في المجلة متاح للجميع، وفق الشروط المنشورة.

ويسعدنا اتلقّي أعمالك الإبداعية، ونأمل أن تحظى بالنشر بعد تحكيمها.

الأخ محمد الإدريسي – فاس – المغرب:

لاشك أن فاس مدينة عريقة لها شهرتها، وسبق للمجلة أن نشرت استطلاعات عنها، وهذا لا يمنع تناول بعض معالمها التاريخية، ومتاحفها، وحركة الحياة المعاصرة فيها، ونحن في انتظار أن توافينا باستطلاع موسع عنها.

الأخت د. سهير جلال جبر – الخرطوم السودان:

نرحب بإسهاماتك في «الفيصل»، ونفيدك أن هناك مجلة علمية مختصة باسم «الفيصل العلمية» تصدر دوريًا، ويسعدنا أن نتلقى مشاركتك، علمًا أن النشر يسبقه تقويم علمي.

ويمكن المراسلة على عنوان مجلة «الفيصل».

الأخ مصطفى المأمون – دمشق – سورية:

الطريقة المثلى للحصول على أعداد المجلة شهريًا هي الاشتراك لتفادي تأخير البريد، أو نفاد الكمية.

ويسعدنا كثيرًا تلقي ملاحظاتك واقتراحاتك، وكذلك مشاركاتك في المجلة، أو في مجلتي «الفيصل العلمية»، و«الفيصل الأدبية».

محاضرة في الجامعة اليونانية

حلب ـ سورية

التحرير:

نشكر لك حرصك على خدمة الثقافة العربية، وتتبع مصادرها. ونأمل ان تكون «الفيصل» احد هذه المصادر، وهذا ما يدفعنا إلى أن تكون متوافرة في مختلف الأسواق، ونأمل مشاركتك في إغناء المجلة من خلال مقالات نتلقاها منك مستقبلاً.

أرقى المجلات

يسرني أن أعبر لكم عن مدى إعجابي، واحترامي، وعرفاني، للعمل الإعلامي الرائد الذي تقومون به من خلال مجلتكم الغراء «الفيصل»، التي تعد من أكبر المجلات وأرقاها في العالم العربي، والتي تهتم بالتراث الإسلامي والتعريف بالحضارة الإسلامية. ويا للأسف الشديد إن المجلة لا تصل إلى الولاية التي أقيم فيها، إلا عن طريق بعض الأفراد المحظوظين، الذين حصلوا على الاشتراك في المجلة.

بلعدل الطيب

ولاية الجلفة ـ الجزائر

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونأمل ان ننجح في فتح منافذ توزيع للمجلة، في كل الأماكن التي لا تصل إليها، ولكن تظل هناك عوائق تحول دون تحقيق هذا الطموح، ويعد الاشتراك الطريقة المثلى للحصول على المجلة، بلا أي تأخير.



رمضان في كتابات المسلمين اليابانيين

سمير عبدالحميد إبراهيم
كيوتو ـ اليابان

قد يتعرف اليابانيون إلى قدوم شهر رمضان، من خلال أجهزة الإعلام اليابانية، التي تنقل مظاهر الاحتفال برمضان في العالم الإسلامي. لكن المسلمين من غير اليابانيين، ممن يعيشون في اليابان، وكذا المسلمون اليابانيون يحرصون على استقبال الشهر الكريم بما يليق به من حفاوة، فيحاولون رؤية هلاله، وإن تعذر ذلك عملوا بالفتوى، وهي اتباع أقرب بلد لهم، وهو ماليزيا.

في اليوم الأول يقام حفل إفطار للمسلمين عامة، حيث يجتمعون في مسجد المعهد العربي الإسلامي، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد تعقد تجمعات أخرى في جامع طوكيو الكبير، أو في المركز الإسلامي، أو في مقر جمعية مسلمي اليابان. بينما في مدينة كوبيه يكون التجمع في مسجدها العريق، وكذا الحال في بقية مدن اليابان التي توجد بها مساجد كبيرة.

وهكذا يحيي المسلمون ليالي رمضان في الصلاة والعبادة، حتى إذا ما انتهى شهر رمضان احتفلوا جميعًا بالعيد، ويرتب المعهد العربي الإسلامي في طوكيو لأداء صلاة العيد والاحتفال به، وذلك للإمكانات التي يتمتع بها، بينما تقيم المؤسسات الأخرى المعنية بشؤون المسلمين احتفالات متتابعة.

الكتابة عن رمضان في اليابان

أول ما وقعت عليه يدي، من نصوص كتبت باليابانية عن رمضان والصوم، هو ما كتبه الياباني



Okubo Koji، في أول يونيو عام ١٩٤٢م، في مجلة دراسات المحيط الهادي الاقتصادية Nanyo Kezai Ken-kyo، وهو مقال بعنوان: Kaikyo no Danji، أي: الصوم في الإسلام، وهو مقال قصير في صفحتين فقط.

ومن المقالات الحديثة ما كتبته السيدة اليابانية المستعربة Katakura Motoko بعنوان من بلاد العرب خلال شهر رمضان Ramadan no Arabiya yori، ونشر المقال في حلقتين في مجلة Minpaku Tsushin في ٣١ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٨٣م و٢١ آذار/ مارس عام ١٩٨٣م وكان المقال الأول في سبع صفحات، والثاني في خمس صفحات.

ومن الملاحظ أن حرب رمضان كان لها أثرها في دفع بعض اليابانيين إلى الكتابة عن شهر رمضان، وما له من تأثير في معنويات المسلمين في أثناء القتال. وهكذا كتب Natsume Takao مقالاً بعنوان حرب رمضان، حرب الشرق الأوسط الرابعة في سورية، ونشر في ١٥/٩/١٩٧٥م في جرنال «Kezai Togaiko الاقتصاد والشؤون الخارجية».

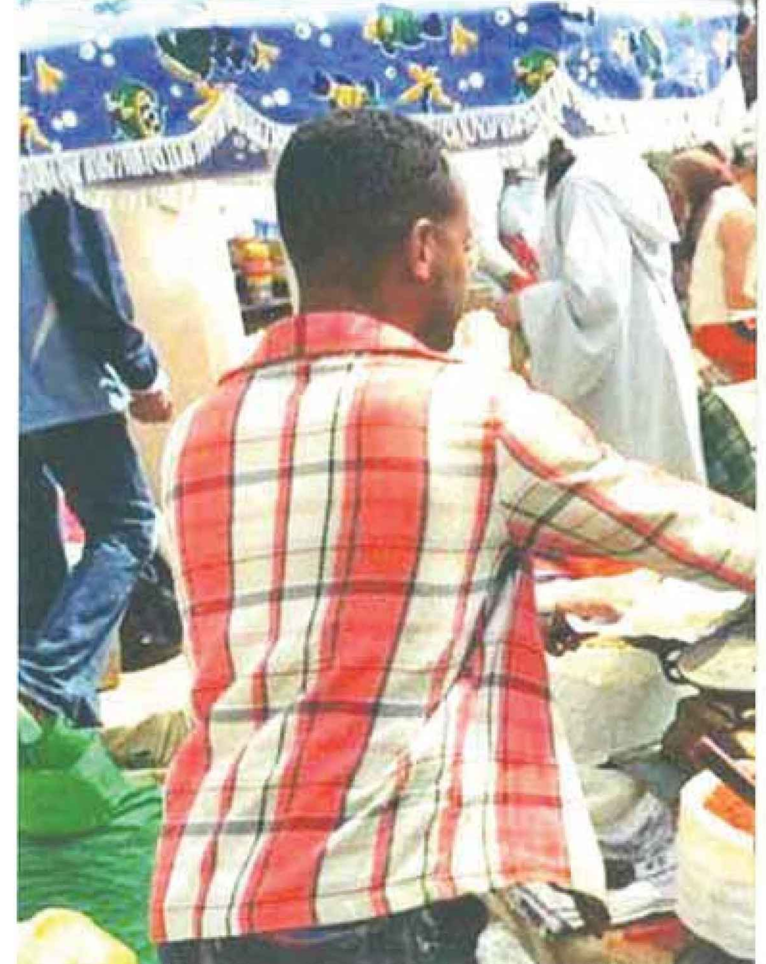


من مظاهر رمضان في سوق مغربي

وصف رمضان في كتابات المسلمين اليابانيين

إذا ما انتقلنا من هذا النوع من الكتابة عن رمضان إلى نوع آخر، وهو وصف الاحتفال برمضان، والحياة في شهر رمضان، وجدنا قليلاً جدًا من المسلمين اليابانيين يكتبون عن هذا الموضوع، ويرجع السبب إلى عدم وجود مجتمع إسلامي في اليابان، أو حتى ما يمكن أن نطلق عليه جالية إسلامية متجمعة في أماكن متقاربة، يمكنها ان تشكل ما يعرف بتجمع إسلامي، يمارس فيه المسلمون حياتهم بشكل جماعي، ولهذا وجدنا المسلمين اليابانيين يصفون رمضان، خارج اليابان لا داخلها. ونسوق هنا مثالين فقط.

الأول من مجلة مسلم شنبون، أو الجريدة الإسلامية (العدد رقم ٩٠ الصادر في شهر رمضان سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠ ديسمبر عام ١٩٩٩م): فقد كتب من رمز لاسمه بحرف «التاء» مقالاً بعنوان «رمضان في سورية» نقتبس منه العبارات الآتية:



كان أول يوم في رمضان هذا العام هو نهاية أيام الأسبوع، أغلقت المدارس والمكاتب الحكومية قبل الوقت المعتاد.. وحين ذهبت إلى المسجد لصلاة التراويح وجدته مكتظًا بالمصلين. في أثناء شهر رمضان يصلى الناس التراويح ثماني ركعات، بالأمس صلينا عشرين ركعة (هكذا في الأصل)، وبعدها ألقى علينا الشيخ كفتارو محاضرة، بعدها. ومن الساعة الثامنة ولمدة ساعتين. استمر درس تلاوة القرآن وتجويده، كنا متعبين جدًا، حتى انتهينا من تلاوة سورة البقرة، كما شرح لنا أهمية جزء عم..

ذكر لي صديقي، أن رمضان اختبار مهم جدًا، وقال: إذا كنت تريد أن تنجح في هذا الاختبار، فعليك ان تعدّ له قبل ذلك بشهر، أو أكثر.

الاحتفال برمضان في سورية شبيه باحتفالاتنا برأس السنة، وكل يوم من أيام رمضان، شبيه باليوم الذي ننتظر فيه يوم رأس السنة الجديدة.

الناس هنا يعدّون الأطعمة، وينفقون أكثر على شرائها.. وجوههم تبدو عليها مظاهر العبادة الخالصة، والنقاء والطهر، الهدوء يظهر على الجميع.. لكن المتسولين والشحاذين، ظهروا فجأة هنا وهناك في أثناء شهر رمضان، ولهذا فنحن بحاجة دائمة إلى وجود «فكة» في جيوبنا..

بعد العصر ننتظر - عادة - أذان المغرب، ومن لم يتعوّد المواظبة على الذهاب إلى المسجد، يجد نفسه في شهر رمضان يذهب مع رفاقه إلى المسجد، وقبل المغرب تغلق المحلات، وتصبح المدينة هادئة تمامًا، والناس في رمضان يتزاورون، ويخرجون لمشاهدة المحلات التجارية، أو التنزه - أحيانًا.

في الأيام العادية تغلق المحلات في وقت مبكر، لكن في رمضان تظل مفتوحة حتى منتصف الليل، وفي العشر الأواخر تفتح حتى الصباح، فتزدحم بالناس الذين يذهبون لشراء الملابس الجديدة، والحلوى، وغيرها.. ويذيع التلفاز على الهواء مباشرة مظاهر البهجة والسرور، التي تعم المدينة تمامًا، مثلما يذيع التلفاز في اليابان مظاهر الفرح ومهرجانات نهاية العام وبداية العام الجديد.

لقد كتبت بطريقة سهلة ومبسطة حتى تفهموا كيف يكون رمضان في سورية.

وفي العدد نفسه من «مسلم شنبون» وردت مقالات عن الصوم وأحكامه، وعن رمضان والصحة، وعن ليلة القدر.

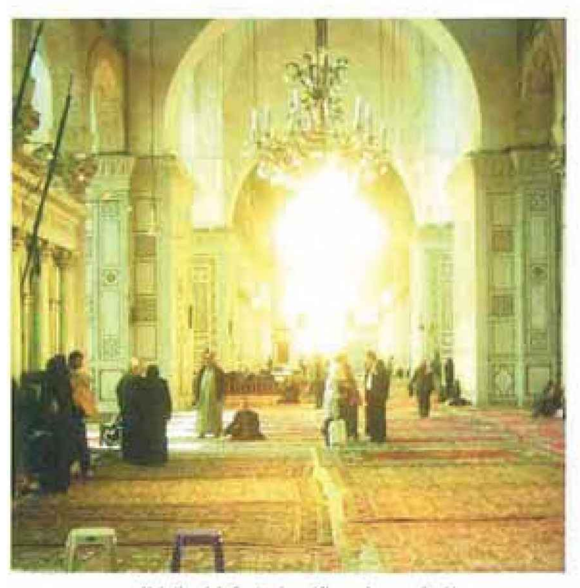
والمثال الثاني: لياباني رمز لنفسه بحرف «زي». وقد كتب عن ذكرياته في رمضان سنة ١٤٢١هـ (مسلم شنبون عدد رقم ١٠٢ في ٣٠ ديسمبر عام ٢٠٠٠م) في مراكش، وهذه مقتبسات مما جاء في مقاله:

«هنا، في مراكش في شهر رمضان، تقل ساعات العمل في المكاتب الحكومية وفي المدارس، وعندما يحين وقت الإفطار تتوقف المواصلات تمامًا.. أذهب إلى مسجد قريب من بيتي لصلاة العشاء والتراويح. المسجد مملوء بالمصلين طول الوقت، لدرجة أنه يصعب علينا - أحيانًا - السجود، وذلك من شدة الزحام، ويظل هذا طوال شهر رمضان. فقد شاهدت عددًا أقل في المسجد نفسه في الشهر الماضي، وأنا أتمنى أن يكون المسجد ممتلئًا بالمصلين طول العام، مثلما هو مملوء الآن في رمضان.

يبدأ الإفطار في مراكش بالشورية، التي يسمونها الحريرة، وبأنواع متعددة من الحلوى، مصنوعة من الشهد (عسل النحل) وشيء لا هو بالخبز ولا هو بالكعك، لكن بين بين، على كل حال هم يتناولون العسل بكميات كبيرة، مع كثير من المعجنات، وتبدو المدينة كلها برائحة عسل النحل!!

في البداية لم أكن أعرف طريقة تناول الطعام في رمضان، ولهذا كنت آكل كل ما يقدمونه لي، وفي أثناء صلاة التراويح تقيأت كل ما تناولته، بعدها فهمت حدود تناول الطعام، ولهذا بدأت أدقق فيما أتناوله في


جامع طوكيو


المساجد حظيت بالاهتمام في كتابات اليابانيين



سوق الحميدية في دمشق

الإفطار!! وفي الليل، في حدود الساعة العاشرة، نتناول الكسكس، حتى خشيت على نفسي، كم سيزيد وزني في نهاية رمضان يا ترى؟. إذ لا يمكنني أن أقاوم هذا الطعام اللذيذ!! حقًا ما أكرمك يا شهر رمضان!

• نماذج أخرى من كتابات اليابانيين المسلمين

وهناك كتابات لمسلمين يابانيين، عاشوا مدة طويلة في البلدان الإسلامية، وكتبوا عن شهر رمضان، لكن كتاباتهم قد تختلف، وتتسم بالطابع العلمي، أو الإرشادي. ومثال ذلك ما كتبه البروفيسور نور الدين نوبو موري – وهو حاليًا رئيس مركز الدراسات الشرعية في جامعة تاكشوك، وأستاذ العلاقات الدولية بها – الذي عاش في مكة المكرمة نحو عشر سنوات، في أثناء دراسته في جامعة أم القرى، في بحث له يحلل فيه مؤلفات الأستاذ نور محمد تناكا إيبيه، كتب نور الدين موري ما يأتي:

«... شهر رمضان شهر مبارك، فيه أنزل القرآن، وخلال هذا الشهر يحرص الناس - حتى من لا يهتمون بتعاليم الإسلام - على الالتزام بالصوم، ولأنه شهر مبارك تكثر فيه العبادات، وفي أثناء صلاة التراويح يحرصون على تلاوة القرآن بأكمله، ويشعر الناس بأنهم تطهروا من ذنوبهم عن طريق الإكثار من العبادة، وبخاصة في العشر الأواخر من رمضان، ففيها ليلة القدر، ويتضرع الناس إلى الله، أن يغفر لهم، وأن يصلح من حالهم، وهكذا يشعر المسلمون بعد شهر رمضان بالسرور والسعادة، وينسون جميع متاعب الصوم

ومماناته، ولا يمكن لغير المسلم أن يشعر بمثل هذا...»

نصوص أدبية يابانية عن رمضان

من الصعب أن نجد نصوصًا إبداعية كتبها مسلمون يابانيون، وبخاصة عن شهر رمضان، ومع هذا يمكن الوقوف على بعض هذه النصوص في

السعودية، وقد التقى الملك عبدالعزيز آنذاك. من مقال له طويل نشر بعنوان «الحج وحياة المسلمين» نقتطف هذه السطور:

«قبل شهر ذي الحجة الذي يكون فيه الحج، يصوم المسلمون شهر رمضان، وقد بدأنا الآن صيام هذا الشهر، كان معظم من نقابلهم من الحجاج من الملايو،





تتلألأ المساجد بالأنوار، وتعج بالمصلين في كل الأوقات

كتابات المسلم الياباني نور محمد تاكا، أو تاكا إيبيه، وهي نصوص متناثرة في كتاباته المتفرقة، التي كان ينشرها في الصحف والمجلات، عن ذكرياته، وعن رحلاته في الصين، والجزيرة العربية، ووسط آسيا، وعن رحلته إلى الحج. فقد قدم إلى مكة مرة قبل توحيد أجزاء الجزيرة على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله- عام ١٩٢٤م، ومرة بعد تأسيس المملكة العربية

لم أر يابانيًا واحدًا، مدة شهر كامل..

الحج إلى مكة يفرض على الإنسان عدة التزامات، أولها: الالتزام بالوقت فيما يتعلق بكل شيء، وهذا يعني أن موسم الحج محدد بوقت معين، فمن يرغب في أداء فريضة الحج، فعليه أن يصل إلى مكة في بداية الشهر الأخير من العام الهجري، (أي: في بداية ذي الحجة)، فإذا لم يتمكن من الوصول في هذا الوقت، يكون قد فاته

من الصعب أن نجد نصوصًا إبداعية كتبها مسلمون يابانيون. ومع هذا يمكن الوقوف على بعض هذه النصوص في كتابات المسلم الياباني نور محمد تناكا، أو تناكا إيبيه. وهي نصوص متناثرة في كتاباته المتفرقة، التي كان ينشرها في الصحف والمجلات.

الحج، ويرتبط الشهر التاسع من السنة الهجرية (أي: شهر رمضان) بشكل أو بآخر بالحج، فهذا الشهر له قدسيته عند المسلمين، ففيه تؤدى فريضة الصوم، فالمسلمون يصومون من اليوم الأول لهذا الشهر إلى اليوم الثلاثين منه، وخلال نهار هذا الشهر المبارك لا يأكل الصائم، ولا يشرب، ولو حتى قطرة ماء، ولا يمكن لأحد أن يتصور هذا الأمر إلا من خاض التجربة بنفسه...».

في ليلة رمضانية يصف تناكا صوت المؤذن والجو الإيماني الذي يحيط به:

«... وصوت الأذان (بانك نماز) ينطلق على لسان الشيخ المؤذن، من فوق المئذنة، لا يمكن أن يشعر بجماله وروعته إلا من يسمعه، لا يوجد صوت آخر مثل هذا

(في هونغ كونغ) تعجبنا كثيرًا، فيوم تحرك السفينة كان يوم نهاية شهر رمضان!! في الليل شاهدنا هلال الشهر الجديد، شهر شوال. فصاح الناس مبتهجين فرحين: غدًا يوم عيد الفطر!! وقدم إليّ الإمام "ما شو" رفيقي ليخبرني بأن غدًا العيد..

الصوت يطهر دواخل البشر.. في ليلة هادئة ساكنة، طلع فيها الهلال على صفحة السماء الصافية، حين وقف الشيخ، الذي يرتدي الملابس البيضاء، ليؤذن من فوق المئذنة، شعرت كأننا في الجنة، حين سمعت صوته بعد أن رفع الأذان !!... وحين يسمع المسلمون المؤذن يسرعون إلى المسجد، حيث يقفون في صفوف متراصة متجهين إلى القبلة، بشكل منتظم وثابت، يفوق كثيرًا ما نفعله نحن اليابانيين حين نسمع نشيدنا القومي...».

حين يرى المسلمون هلال شهر رمضان، يستعدون للصيام من الفجر حتى غروب الشمس، ويمسك المسلم عن الطعام والشراب، ولا يباشر زوجته وهو صائم، ولا يشعر بشهوة إلى طعام أو شراب، ولا يشعر بشهوة جنسية...

في شهر رمضان يصلي المسلمون صلاة التراويح بعد صلاة العشاء..

على كل مسلم أن يصوم في رمضان، ولا يوجد مثل هذا الصوم في أي دين آخر، وأنا أحاول أن أصوم رمضان وأنا مسافر، كنت مسافرًا عبر الصين، وأيضًا في جزيرة العرب، وكان أمرًا صعبًا لا يمكن تخيله.

أعلن تناكا عن شعوره الغامر بالسعادة، عندما أكمل صوم شهر رمضان:

«قال رفيقي: يا أستاذ ! غدًا يوم العيد.. لاحظت أن وجنتيه صارتا أصغر من ذي قبل؛ لأنه فقد كثيرًا من وزنه في هذا الشهر، كان هذا نتيجة صوم شهر رمضان. في أثناء سفرنا، كان الأمر صعبًا، ولا أحد يستطيع أن يغير وقت رمضان، فهو يبدأ مع هلال الشهر التاسع وينتهي حين يظهر هلال الشهر الجديد، أي: شهر شوال، وحين شاهد رفيقي هلال الشهر الجديد من فوق السفينة، قال لي: غدًا العيد! كان تعبيره ممزوجًا بالجدية، والفرح، والشكر لله، كان شعوره هذا، هو شعور جميع المسلمين على وجه الأرض».

وفي مذكراته كتب عن الاستعداد لشهر الصيام في الصين هكذا:

«... وهكذا مع نسمات الربيع، لم أعد بحاجة إلى سخان، ويمكن أن أشاهد في حديقة بيتي الصغير براعم الأزهار تثبت استعدادًا للتفتح، والطيور تنتشي، تستعد لموسم التزاوج، ومن هنا بدأت تغرد وتصدح وتشقشق، وتصدر أعذب الألحان.. وعلى الرغم من هذا، فنحن في الشهر الثامن من التقويم (الهجري) الإسلامي، وهو شهر شعبان، وفي هذا الشهر يبدأ المسلمون بإعداد العدة لشهر الصوم التالي، وهو رمضان، وقد مرت خمسة عشر يومًا، على رؤيتنا هلال شعبان، وهذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان، ويسمونها هنا «شب برات» (ليلة البراءة من الذنوب والتوبة وطلب المغفرة من الله)، يحتفل بها المسلمون، فيقرؤون القرآن الكريم، وهم على هذا النحو منذ أسبوع تقريبًا، فتدعو كل أسرة الإمام إلى بيتها، فهم يريدون أن يكفروا عن ذنوبهم، ويطلبون العفو والمغفرة بالإكثار من تلاوة القرآن..

كان ضوء القمر في ليلة ربيعية دافئة ممتعًا وشاعريًا، لقد أثارني كثيرًا هذا المنظر، وبخاصة حين كنت أسمع الأدعية بالعربية، في ليلة النصف من شعبان، كم تأثرت بهذا، لا أستطيع أن أعبر عن أحاسيسي تلك مهما كتبت.!

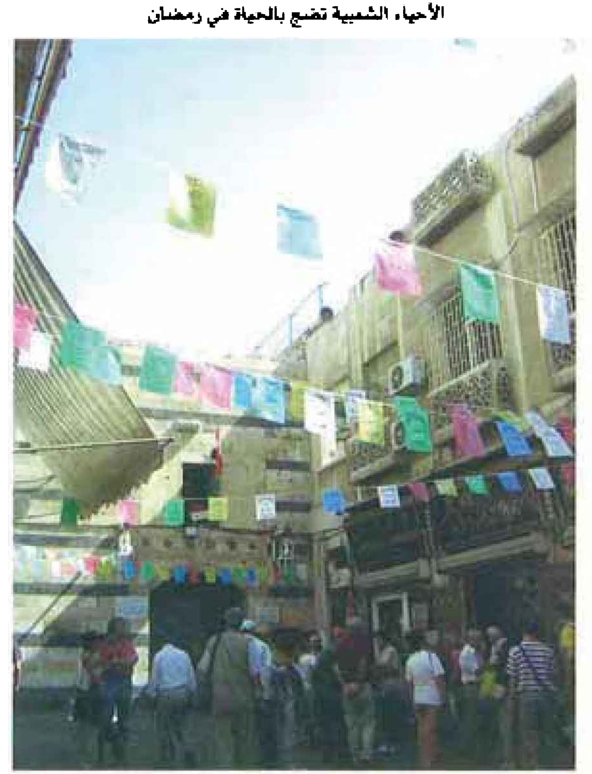
لقد قمت ـ أيضًا ـ بدعوة الإمام «سو» إلى بيتي لقراءة القرآن، ودعوت ـ أيضًا ـ ثلاثة من التلاميذ، وقمنا جميعًا بقراءة القرآن، وفي اليوم التالي، وفي يوم السابع عشر من شهر شعبان ـ وكان يوافق يوم ٢١ مارس من التقويم النصراني ـ هو يوم الاعتدال الربيعي، ويوم مهم - أيضًا - بالنسبة إلى البوذيين، ففيه تستقبل الأرواح، وقد وافق هذا اليوم في هذه السنة يوم الجمعة ! لذا صلينا معًا، وفي الليل، وفي وقت العشاء استمر الاحتفال بليلة النصف من شعبان، إذ صلينا صلاة خاصة، صلاة مهمة ولها معنى، لكل بلد ولكل دين، ولهذا أشعر بأهمية هذا اليوم، فالجميع يحتفلون به، كل على طريقته».

ويكتب وهو يصف رحلته داخل الصين

«.. في المسجد صليت أول ليلة من ليالي رمضان، كان المسجد مزودًا بمكان للوضوء نظيف جدًا، وقد أخذت حمامًا في المسجد، وكان الأمر مريحًا جدًا، لكن بالنسبة إلى العلاقة بين المسلمين والإمام، لا أستطيع أن أ[illegible]ف مدى الاحترام والتقدير للإمام هنا، (يقصد شنغهاي)، ذلك الاحترام والتقدير، الذي يتمتع به الأئمة في المناطق الأخرى (من الصين).

في اليوم التالي خرجت مثل أي مسافر، أو سائح آخر للنزهة والتجول في هذه المنطقة، شاهدت أزهار الماكلوريا Magloria البيضاء، مثل الثلج في حديقة

الأحياء الشعبية تضج بالحياة في رمضان





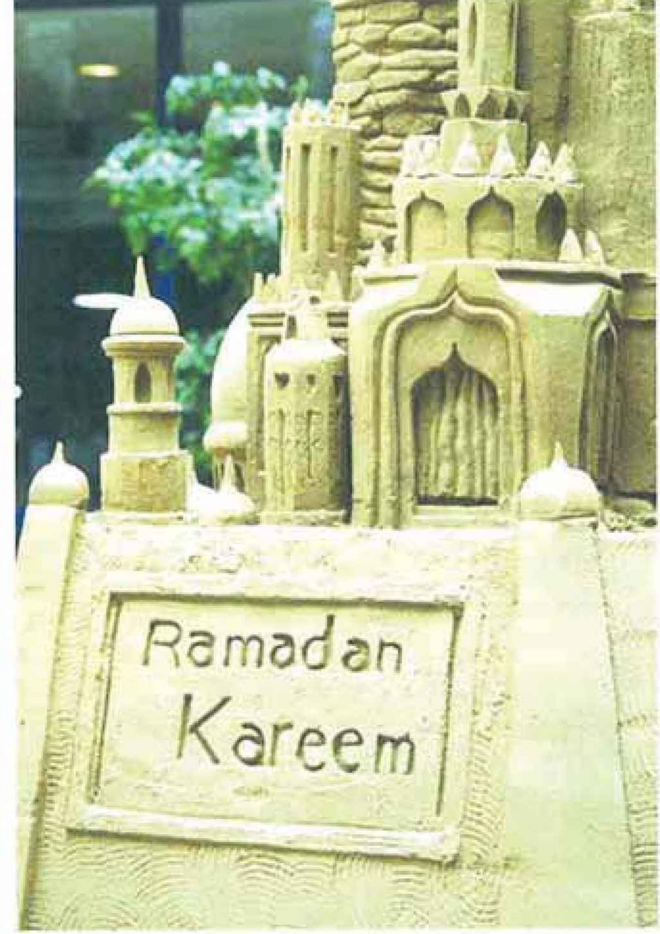
الإفطار الجماعي من مظاهر الشهر الكريم

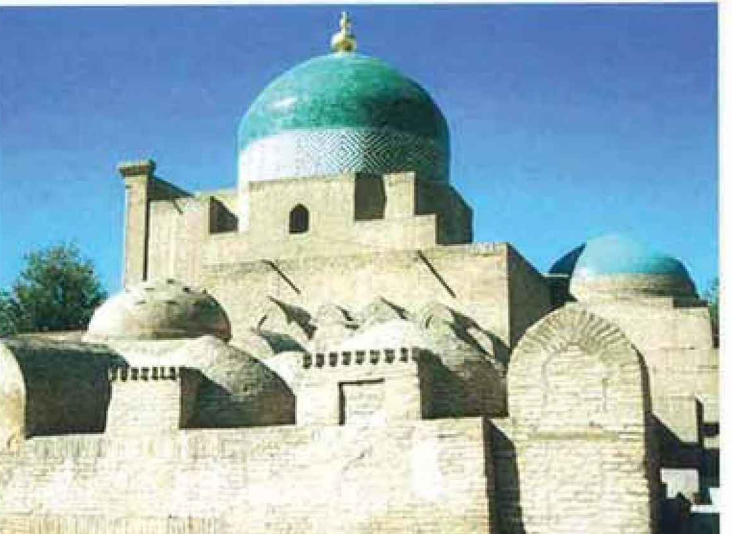
«ريو إن» شاهدت أيضًا أشجار زهرة الساكورا..

ذهبت إلى حديقة كوكيو، حيث مقبرة الإمبراطور فوق التل، وهناك برج يتكون من تسعة طوابق، وهو بحالة سليمة منذ تشييده، تسلقت هذا البرج في الليل، وبجوار هذه المنطقة صليت في مسجد - بني مؤخرًا - صلاة التراويح.

في شنغهاي

«... وصلت إلى شنغهاي، نزلت في فندق يقع بين شنغهاي القديمة وشنغهاي الجديدة، في شارع يسمى «يان كين بان إدوارد رود». أما الفندق فيطلقون عليه اسم «شين تاي هو رو». وربما يكون هذا الفندق هو





«رمضان كريم» عبارة يرددها المسلمون طوال الشهر الكريم

أقدم فندق في شنغهاي، دلني عليه الإمام «ما»، كما أنه قريب من المسجد.

بالطبع طوال النهار هذه الأيام لم أتناول الشاي، ولم أشرب الماء، في السادسة وعشر دقائق يحين المغرب، وعندها يمكنني أن أشرب الماء، أو الشاي، وبعدها أذهب إلى الصلاة وبعد الصلاة، أتناول الشاي وبعض الحلوى، وبعدها أصلي العشاء.

تعرضت لمشكلة في الليل، فقد عانيت كثيرًا من لسع الحشرات، ربما كانت حشرة «البق» لهذا لم اتمكن من النوم، ولم أشعر بالراحة في الإقامة في هذا الفندق، كان علي أن أبتعد عن الطعام نهار كل يوم، إلى ما بعد الساعة السادسة وقت المغرب، ولهذا كنت أسلي نفسي بمشاهدة الناس من الطابق الثاني في الفندق، يمشون في الشارع، ويتحركون خارج الفندق، ونحو ذلك من مناظر، وكانت هذه حيلة جيدة لمرور الوقت.

كنت أختار أحد ثلاثة مساجد، أذهب إليه كل ليلة بعد صلاة المغرب، منها مسجد يجتمع فيه المسلمون من جميع أنحاء العالم، هذا جو يعبر عن شنغهاي تعبيرًا كاملاً، أجناس كثيرة، نحو ٦٠٠ مسلم من مختلف البلدان، كنا نصلي معًا صلاة التراويح.. أظن

أنه لا يمكن أن يشاهد هذا المنظر في مكان آخر غير شنغهاي.. كان من بين هذه الأجناس أوربيون ويابانيون، جميع الأجناس من الشرق والغرب.. هذه معجزة يمكن أن نشاهدها في شنغهاي.

يصوم المسلمون شهر رمضان، يصومون مدة ثلاثين يومًا، ويقوم كل مسلم بتنظيم أوقاته وضبطها، وهذا أمر مثير للإعجاب، في أحد المساجد شاهدت نحو خمسين مسلمًا معهم إمامهم، كانوا ذاهبين إلى مكة المكرمة؛ لأداء فريضة الحج، وقد سمعت أن جماعة من المسلمين الذاهبين إلى الحج قد غادرت بالفعل..»

وصف للرحلة البحرية في رمضان

«في ظهر اليوم الثاني من مايو وصلنا إلى ميناء «سُوا تو»، كانت رحلة بحرية هادئة جدًا... كنت أرقد على ظهر السفينة أستمع إلى عزف منفرد على آلة القانون، كانت النغمات مؤثرة جدًا، ومثيرة للشجن، وتعيد ذكريات الماضي، وكنت - أحيانًا - أدندن بكلمات إحدى الأغاني التي خطرت على بالي.. لقد تمتعت كثيرًا..

بعد المغرب وضعت الأرز في الماء وطبخته بطريقة بسيطة، ثم تناولت فطوري الرمضاني البسيط، لم يكن السفر خلال رمضان سهلاً، لكني أحببته كثيرًا، كان رفاقي في السفر صائمين أيضًا، ولم تكن علامات القلق بادية على وجه أي منهم، مع صومهم، ولفت نظري بشكل خاص رجلان طاعنان في السن، أحدهما في الثانية والثمانين، والآخر في الخامسة والسبعين، أعجبت بهما كثيرًا».

وصف حفل إفطار في أثناء رحلته

كان كل منا يتناول طعامه في الحديقة، وكان بعضنا يفضل الجلوس تحت ظلال النخيل، لأخذ قسط من الراحة.

كنا نتكلم معًا في أمور عامة، ومع أن معلوماتي عن الإسلام قليلة، لكني كنت مع ذلك أحاول أن أحاضر هؤلاء الناس، عن الموقف في آسيا، والحركات العالمية هذه الأيام، والوضع في إندونيسيا، وفي جزيرة العرب.

كان رفيقي الإمام الشاب «ما كين شو» على دراية جيدة بطريقة الكتابة الصينية، لذا كان يمكنه أن يكتب لمن لا يستطيع الكتابة بالصينية، بينما كنت أساعدهم - أحيانًا - بكتابة العناوين باللغة الإنجليزية، إذا ما طُلب مني ذلك، وقد ذكروا لي أنهم يكنون لي

الحج إلى مكة يفرض على الإنسان عدة التزامات، أولها: الالتزام بالوقت فيما يتعلق بكل شيء، وهذا يعني أن موسم الحج محدد بوقت معين. فمن يرغب في أداء فريضة الحج، فعليه أن يصل إلى مكة في بداية الشهر الأخير من العام الهجري، (أي: في بداية ذي الحجة)

يبدأ الإفطار في مراكش بالشوربة، التي يسمونها الحريرة، وبأنواع متعددة من الحلوى، مصنوعة من الشهد (عسل النحل) وشيء لا هو بالخبز ولا هو بالكعك، لكن بين بين، على كل حال هم يتناولون العسل بكميات كبيرة، مع كثير من المعجنات، وتبدو المدينة كلها برائحة عسل النحل



طعام رمضان مميز في البلاد الإسلامية

الاحترام والتبجيل، وكانوا ينادونني - دائمًا - بالأستاذ نور محمد، وقد أثر فيهم أنني كنت أدفع نفقاتي ونفقات رفيقي في هذا السفر، وكنت أدفع لرفيقي النفقات كنوع من الصدقة، وهذا أمر كانوا يمتدحونني من أجله، كما كانوا يغبطون «ما كين شو» على هذا الحظ الطيب، ويشكرونني على هذا الكرم، ويؤكدون مرة من بعد أخرى احترامهم وتقديرهم لي.

ليس لدي ما يقلقني في أثناء هذه الرحلة، وفي مثل هذا الجو الرائع، والمزاج الطيب، وأنا بين هؤلاء الإخوة المسلمين، أتحرك، وأرقد، وأنام، وأنهض، وأجلس في هدوء وسكينة، وأركز في الصلاة، وأغرق في الابتهال والدعاء لله...

في شهري إبريل ومايو، تهب عواصف في أوقات كثيرة، يكون الجو صحوًا، وفجأة تهب عاصفة رعدية، ويهطل المطر، وبعد مدة قصيرة يختفي كل شيء.. تصحو السماء وتصفو، كانت أرضية المسجد بيضاء كأنها مغطاة بالثلج، كنت أشاهد الهلال المثبت فوق المئذنة، وأسمع صوت الطبل يعلن عن دخول وقت صلاة العشاء، وبعدها كنت أسمع حفيف سعف النخيل، وفي الوقت نفسه يمكن أن أسمع المؤذن يؤذن للصلاة من فوق المئذنة.. كل هذا يتردد في وقت واحد، ولهذا ترك هذا الجو أثره في قلبي، ورق قلبي لدرجة أنني أوشكت على البكاء تأثرًا.. في هذا الوقت يقوم جميع مسلمي آسيا بأداء الصلاة بطريقة واحدة وفي وقت واحد، وحين رأيت هذا المشهد طرأ على ذهني هذا المثل:

«هناك قمر جميل في السماء، وهناك صدق ممزوج بالجدة في ذهن الإنسان».

نهاية شهر رمضان

«(في هونغ كونغ) تعجبنا كثيرًا، فيوم تحرك السفينة كان يوم نهاية شهر رمضان!! في الليل شاهدنا هلال الشهر الجديد، شهر شوال، فصاح الناس مبتهجين فرحين: غدًا يوم عيد الفطر!! وقدم إليّ الإمام «ما شو» رفيقي ليخبرني بأن غدًا العيد..

حين تفحصت ملامح جسمه، لاحظت أنه صار نحيفًا جدًا بعد مرور هذا الشهر، فأدركت أن شهر رمضان، شهر الصوم، هو فعلاً شهر صعب على الجميع..

منذ شاهدنا هلال شهر رمضان، حتى مشاهدتنا هلال شهر شوال، كان على كل مسلم أن يؤدي فريضة الصوم، حين أخبرني الإمام بأنه شاهد الهلال، شعرت بأن تعبيرات وجهه، ونبرات كلماته تحمل خصوصية، وتغمرها مشاعر الجد والفرح والسرور والحبور، والمسلمون فقط هم الذين يستطيعون فهم مثل هذه المشاعر..

إذا كنت في بيتي كان برنامجي هو البقاء في البيت، ثم نبدأ منذ الصباح نعد الطعام، ونذهب إلى المسجد ونصلي معًا، وهكذا نقضي اليوم، مثلما نقضي رأس السنة الجديدة في اليابان، وهناك في الصباح صلاة العيد، بعدها يذبحون بقرة، أو خروفًا ويأكلون ويوزعون اللحم على الفقراء والمساكين، لكن نحن الآن على ظهر السفينة وليس في البيت، ولهذا تناولنا لقيمات من الخبز، وبعض الأرز المسلوق، وشكرنا الله ودعوناه أن يتقبل منا صيامنا.

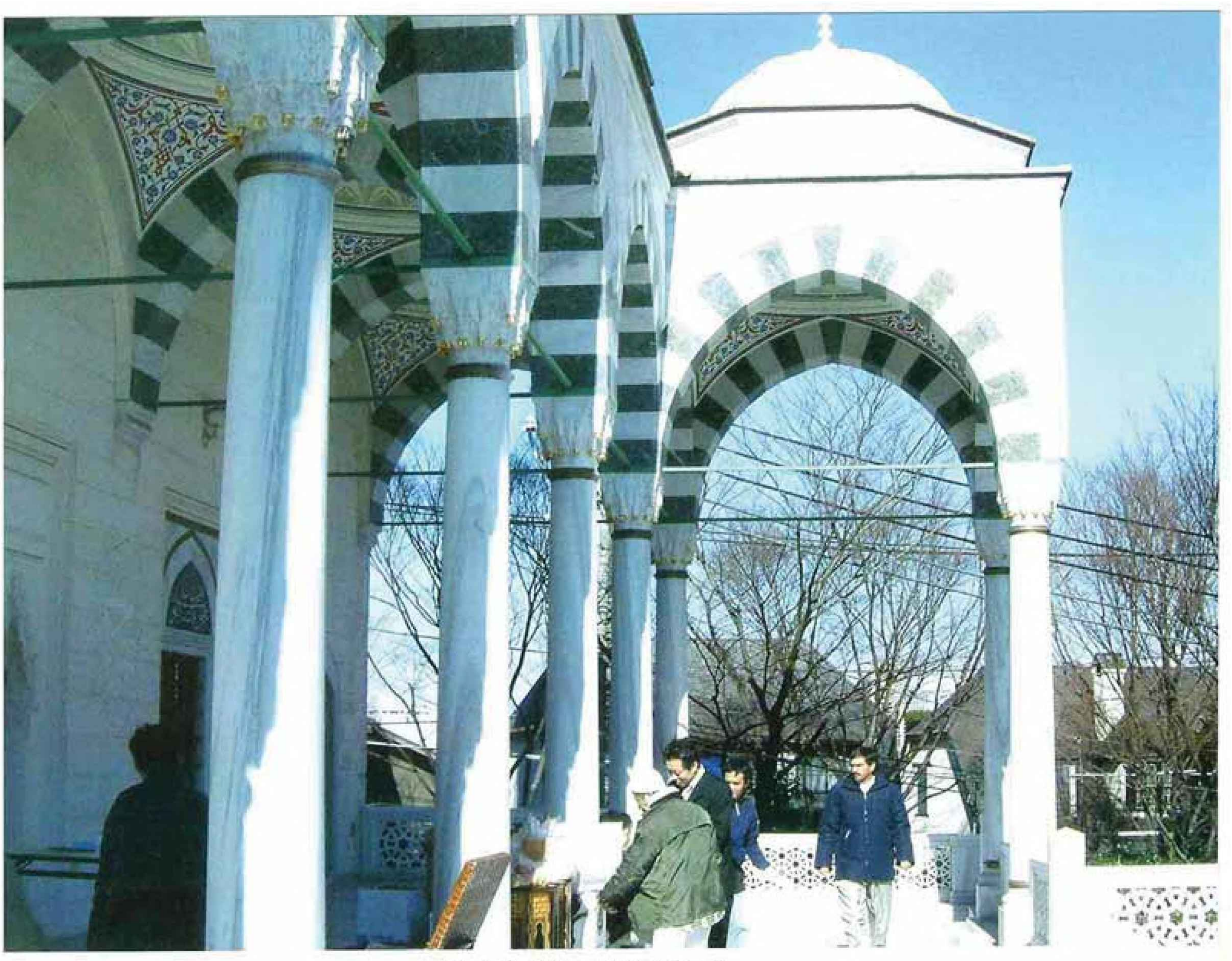
شعرت بعد قدومنا من سوا تو إلى هونغ كونغ، بأننا قدمنا من الجحيم إلى الجنة، كانت الرحلة سهلة جدًا..

ونظمت هذه الأشعار:

«جئنا من ناحية الجنوب
كما لو كنا بقرة أو جوادًا
يسوقنا موظف الحجر الصحي البريطاني
والجبال والبحار
منظرها ساحر وجميل

وحلقات العلم





المسلمون يحيون ليالي رمضان بالصلاة والعبادة

لا شيء غير مياه البحر الزرقاء
مالت الشمس إلى الغروب
فلامست سطح الماء ببطء وهدوء
جمال هذا اليوم زاد
على جمال الأمس

فعندي صديق».

وفي ليلة رمضانية كتب تناكا أشعارًا أرسلها إلى صديقه في شركة النشر والطباعة في طوكيو وهي بعنوان:

ميناء النجوم

«الألوان كثيرة.. قد تبدو جميلة
تظهر بينما الملايين يصلون لله
وهناك الطواقي الجميلة
تغطي رؤوسهم
جماعة من الأئمة الشيوخ
يعلنون شامخين
بأن التتار بعد أن أسلموا
لم ينهزموا أبدًا
خمسة وعشرون رجلاً
من «أون نان»
لمدة أربعين يومًا
كانوا محبوسين في قعر السفينة !
يا له من أمر يدعو إلى الاحترام
فالعجوز في سن الثمانين أو الخامسة والسبعين
يمضي مع هؤلاء الناس
ناشدًا الحج إلى بيت الله في مكة
وفي الليل حين أرى النجوم وحيدًا
اكتشف دائمًا نفسي، وأعرف ذاتي
وبخاصة عندما يصدح صوت المؤذن
من فوق المآذن
يعلن الله أكبر
فيتردد صداه في الليلة المقمرة.
....
أنا الآن في قلب المحيط الهادي
أريد أن أحمد الله وابتهل إليه
أريد أن أبث إلى الله حبي
أنا أمضي فوق أمواج عالية
تضرب المحيط ضربات قوية
لكني كلما صليت لله
أشعر بأنني أقوى
ومع أني أمضي وسط العاصفة
فإنني أسمع صوت القرآن
لأني أرى أمامي آيات من آيات الرحمن
أنا هنا في خليج البنغال
معي رفيق
شاب مسلم من الصين
أنا بين أناس من منطقة المحيط الهادي
نمضي جميعًا معًا..
نطفو فوق صفحات الماء
حيث تقلبنا الأمواج
ذهني مملوء بالأمان
أريد أن أحفظ قلبي المؤمن
من وسوسة الشيطان
أعتقد أن الخريف سيحل سريعًا
على شعب اليابان
أشعر بسرور وسعادة
فرفيقي من خارج وطني
رفيقي ليس من اليابان
رفيقي شاب مسلم، إمام طيب
يحمل في القلب الإيمان»

في الليل شاهدنا الهلال في السماء... كان أحد الصبية يغني ! كان صوته جميلاً مما جعل الناس يتأثرون، هنا نظمت هذه الأبيات:

صنع لعبة، صنع» قُريرة
وقال لي:
أمسك بها
كان طفلاً من تايلاند
شديد الشبه بطفلي
الموجود في اليابان
وانتهى شهر رمضان وكان يوم العيد.





أزمة الإبداع العربي بين رياح التغيير وتحديات العولمة

ماهر عباس جلال
القاهرة ـ مصر

الإبداع موهبة وحرية وعبقرية، وهو مطلب حضاري جوهري لجميع الأمم، وخصوصًا في عصر العولمة، وهو ليس ترفًا؛ بل ضرورة من ضرورات البناء، ومقياس من مقاييس تطور الأمم، ودليل على التقدم الحضاري، وهو الدافع لأي تقدم علمي، أو فكري، أو فني.

والمبدعون هم ثروة الأمة التي لا يمكن الاستغناء عنها، وهم الشموس التي تضيء غياهب التخلف، وعقولهم تخترق حواجز التقليد، وتُبحر صوب المجهول. ومن ثم، فبقدر ما تنجح أمة في الكشف عن الطاقات الإبداعية لأبنائها والإفادة منها، تكون أمة متقدمة ومتطورة حضاريًا.

العرب والإبداع

وقد تنبه العرب قديمًا لأهمية الإبداع، فمنهم من ألف عن الأذكياء؛ لما للذكاء من علاقة وطيدة بالإبداع، مثل: ابن الجوزي، وكتابه «الأذكياء»، ومنهم من ألف عن الذين تنسب إليهم أوائل الابتكارات والممارسات، مثل: (الأوائل) لأبي هلال العسكري، و(الوسائل إلى مسامرة الأوائل)، وغيرها.

واهتم الحكام والعلماء العرب قديمًا بالإبداع، فظهر كثير من المبدعين العرب في شتى المجالات النظرية والتطبيقية، أمثال الجاحظ، والمتنبي، وابن سينا، وابن الهيثم، وابن رشد، والأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية، وغيرهم خَلْق كثيرون



شيدوا حضارة عربية عالمية زاهرة، لا نزال نعيش على ذكراها، ونقتات نتاجها، ونزهو أمام الأمم بها.

تعريف الإبداع

لكن دعونا نتساءل: ما الإبداع؟ لا شك أن الإبداع عملية معقدة يصعب تعريفها، ولكن بشيء من التبسط يمكن استخلاص تعريفين للإبداع من الدراسات الحديثة التي دارت حوله، فالإبداع ابتكار الشيء على غير مثال سابق. أو هو: إنتاج شيء ما، على أن يكون هذا الشيء جديدًا في صياغته، وذا تأثير في مجاله، وإن كانت عناصره موجودة من قبل.

شروط العمل الإبداعي

يتضح من التعريفين السابقين، أن أي عمل إبداعي ينبغي أن يتوافر فيه شرطان اثنان:

الأول: أن يكون هذا العمل جديدًا مبتكرًا، بعيدًا عن النمطية والتقليد. وهذا لا يعني أن الإبداع ينشأ من فراغ، فهو يمر في مراحله الأولى بالتقليد، لكن لا يقتصر

عليه، وبمعنى آخر: إذا كان يُقبل من الشخص أن يقلد غيره في بداية حياته الإبداعية، فلا يُقبل منه - بحال من الأحوال - أن يظل أسيرًا لهذا التقليد، فأي تقليد، وإن كان تقليدًا ناجحًا، لا يمكن عدُّه من باب الإبداع في قليل أو كثير.

والشرط الثاني: أن يحمل هذا العمل الإبداعي جديدًا إلى الناس والحياة، بحيث يُشكل إضافة نوعية حقيقية إلى المجال الذي ينتمي إليه، ويؤثر تأثيرًا جادًا وواضحًا في البيئة المحيطة، وإلا كان لغوًا لا قيمة له. فالإبداع لا بد أن يسهم في تطوير الحياة، والمجتمع، والناس، ويخطط لمستقبل أفضل، وهذا هو الدور الحقيقي للمبدعين في مجتمعاتهم، في أي زمان ومكان.

صفات شخصية المبدع

ونؤكد في هذا المقام على شخصية المبدع، إذ المبدع شخص من طراز خاص، يمتاز من غيره من البشر، بصفات خاصة تجعله جديرًا بأن يكون مبدعًا. وأولى هذه الصفات الإحساس المرهف، ذلك الإحساس الذي يجعله يشعر به الآخرون من غير المبدعين، وينتبه لما لا ينتبه له غيره. ويتصف المبدع كذلك بالخيال الواسع، والذكاء، والحرية، بالإضافة إلى ما حباه الله به من موهبة الإبداع.

فالخيال الواسع يُمكّنه من اكتشاف علاقات جديدة بين الأشياء، أو العناصر، لم تكن موجودة من قبل، كما يساعده هذا الخيال النشيط على تصميم نماذج جديدة، وصياغة أطر مبتكرة، ولا يتأتى له ذلك إلا بالذكاء والفطنة. وباختصار: المبدع شخص عبقري من طراز خاص.

إن المبدع في الأصل شخص موهوب، لكنه لا بد أن ينمي موهبته، ويُصقلها بالتجارب، وهو بحاجة ماسة إلى حرية حقيقية، لينفلت من إسار الواقع والتقليد، ويحلق في آفاق جديدة، وليبحر صوب المجهول، ولذا



المبدع بحاجة إلى حرية حقيقية لينفلت من إسار التقليد

التسلط الأبوي يقتل روح الابتكار، والمغامرة لدى الأطفال الموهوبين. كما أن تنميطهم وإخضاعهم للنمط السلوكي للكبار يعيقان نموهم وجدانيًا، وعقليًا ويشملان تفكيرهم، ويُكبلان خيالهم الإبداعي؛ لأن الإبداع خيال واستشكاف

فإن التقاليد الصارمة، والموروثات النمطية، والحدود المصطنعة، والروتين، كلها مواد سامة تصيب المبدع في مقتل، وتقضي على إبداعه، بعد أن تُكبِّله، وتسجنه، وتشل تفكيره وخياله.

البيئة والإبداع

والإبداع - أيًا كان فكريًا، أو أدبيًا، أو فنيًا - يحتاج إلى عوامل مهيِّئة تساعد على نموه، فهو يتطلب تربة خصبة وصحية؛ لتنبت فيها بذوره التي لو لم تجد رعاية وعناية خاصة، لما كتبت لها الحياة. فالمبدع بحاجة إلى أجواء نفسية صحية تتناسب وصفاته الشخصية، من رهافة الحس، وسعة الخيال، والذكاء، والحرية. فلا يُعقل أن يحيا الإبداع في بيئة تسودها العقد النفسية، والضجيج، والأمراض النفسية، ويسيطر عليها الروتين، والمنافع الشخصية، والمحسوبيات، وتسودها الأحقاد.

واقع الإبداع العربي

ونظرة إلى عالمنا العربي، وواقع ثقافة الإبداع فيه، تجعلنا نجزم بأن هذه الثقافات في أزمة حقيقية؛ وذلك لما يعانيه المجتمع العربي في هذا العصر من مشكلات متراكمة، وما يسوده من موروثات بائدة، ومنغِّصات قاتلة، وما يستشري في اوصاله من أمراض تعمل كلها ضد الإبداع.

إن العالم الغربي يطالعنا في كل يوم بالجديد من الاختراعات، والاكتشافات، والقفزات الإبداعية السريعة والمتلاحقة؛ التي تتقطع أنفاسنا من دون اللحاق ببعضها، وفي الجانب الآخر يبدو الإبداع العربي شاحبًا، وبطيئًا، ومَهيض الجناح. فهو الحاضر الغائب، وبصراحة قلما نعثر على إبداع عربي حقيقي، مما يجعلنا نتساءل: ما السر في هذه الحالة المتردية، التي يبدو عليها الإبداع العربي؟ هل يعود السر إلى جمود العقلية العربية، أو تخلفها؟ في الواقع لا يعود السر إلى جمود العقلية العربية، أو تخلفها، بل يعود إلى عدة عوامل ومعوِّقات في مجتمعاتنا العربية. فما يقتل الإبداع في مجتمعاتنا العربية عوامل كثيرة، أهمها عشق التقليد، والولوع بالعيش في عباءة الماضي، بدعوى أن ليس في الإمكان ابدع مما كان. وكذلك التسلط والقهر، وقولبة الآخرين - كل هذه أمور عمت بها البلوى في المجتمع العربي، نراها داخل الأسرة العربية، وداخل المؤسسات التعليمية العربية، وفي مختلف الهيئات، والمؤسسات العربية المختلفة، وبخاصة الحكومية منها.

فالتسلط الأبوي يقتل روح الابتكار، والمغامرة لدى الأطفال الموهوبين، كما أن تنميطهم وإخضاعهم

الإبداع يحتاج إلى عوامل تساعد على نموه



للنمط السلوكي للكبار يعيقان نموهم وجدانيًا، وعقليًا، ويشل تفكيرهم، ويُكبل خيالهم الإبداعي؛ لأن الإبداع خيال واستشكاف.

كما أن تدجين الطلبة، وإخضاعهم لنزعة الامتثال في المؤسسات التعليمية العربية، وقصر نشاطهم على الحفظ والتلقين فحسب - يقتل موهبتهم الإبداعية، لا تصلح إلا الحشو من قبل الأساتذة: بما يريدون من معارف، وأفكار، وآراء غير قابلة - معاذ الله - لأي نقد، فهي لا يأتيها أبدًا الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

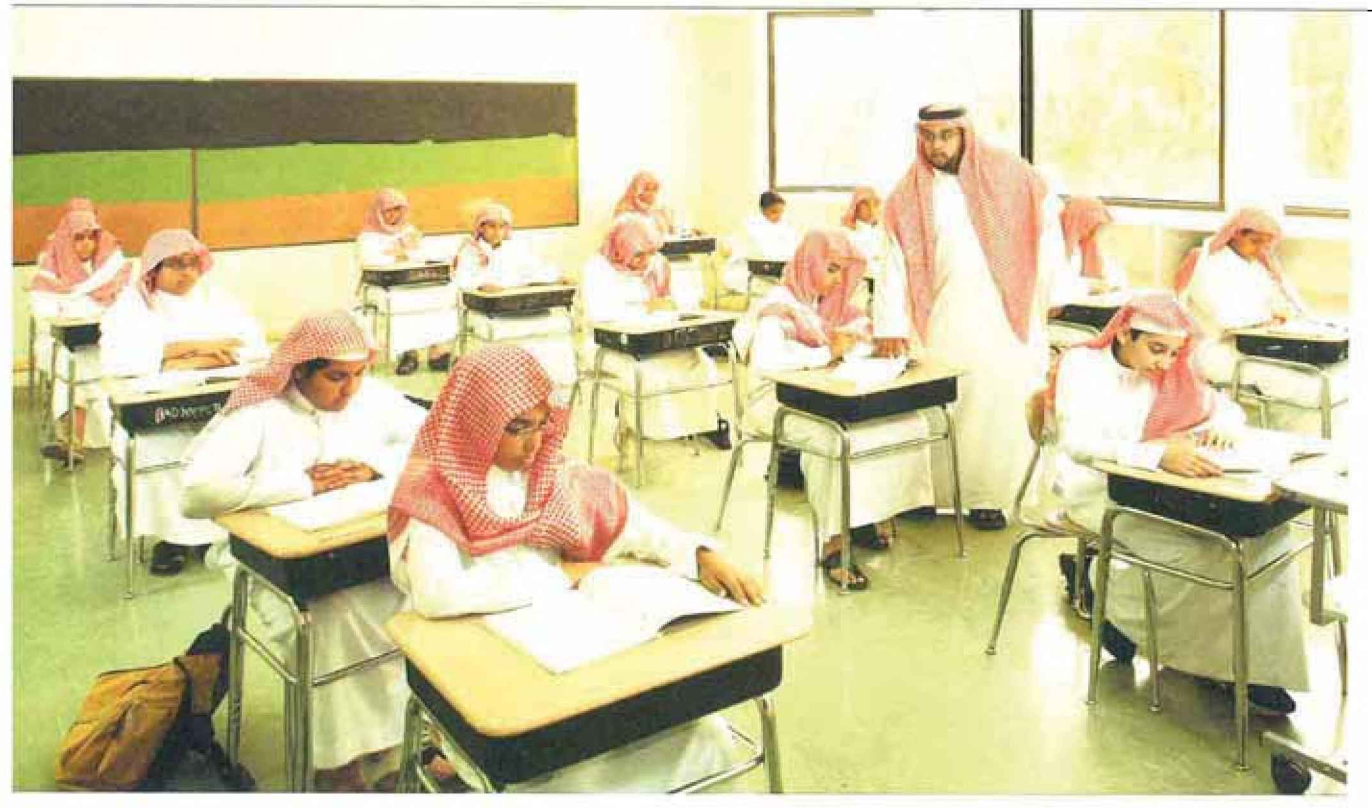
ولا يبدو الأمر أحسن حالاً في المؤسسات والهيئات العربية الأخرى، فمعظمها يرفع شعار التسلط، والقهر من جانب المسؤولين لمرؤوسيهم، فما يراه المسؤول هو



عبء اكتشاف المبدعين يقع على المدرسة

وخاصة في المراحل الأولى من التعليم.

أضف إلى هذا ما يلقاه الطلبة المبدعون من تجاهل، وعدم مراعاة الفروق الفردية بينهم وبين غيرهم. وكل ما سبق يتم تحت شعار مقدس، وهو غرس القيم الخُلقية، مثل: الاحترام، والطاعة، والنظام، والمساواة، والعدالة. والنتيجة المحتومة أن يتحول الطلبة المبدعون إلى أداة راضخة، وإلى آذان صاغية، وتصير عقولهم مجرد أوعية عين الصواب، ووحي مُنزل غير قابل للتعديل، أو مجرد النقاش، فالمسؤول يريد أن يرى مرؤوسيه بعينه هو، وأن يفكروا بعقله هو، ومن تمرد، أو حاد عن تعليماته قيد أنملة، كانت في انتظاره العقوبات، والخصومات، والتهديدات بالفصل وغيره. هذا فضلاً عن تجاهل الكفاءات المبدعة في أغلب الأحوال، وإسناد الوظائف والأعمال إلى غير أكفاء لها، وذلك



الحفظ والتلقين يقتلان الإبداع

بسبب المحسوبية، والمجاملات، والوساطات التي تنخر في جسد الأمة العربية صباح مساء.

في سبيل تفعيل الإبداع العربي

بعد كل هذا لا نتوقع للإبداع العربي أن ينمو نموًا طبيعيًا، أو أن تُكتب له الحياة أصلاً: فالمبدعون الحقيقيون قلما يهتم بهم أحد، وكثيرًا ما يُضطهدون وتُوصد في وجوههم الأبواب، ويُحاربون من ذوي المصالح النفعية، والآفاق الذهنية الضيقة، فيدب اليأس في نفوس بعض هؤلاء المبدعين، ويستسلمون للعاصفة، ويُقبَر الإبداع حيًا في عقولهم ووجدانهم.

وفريق ثان ينجو بإبداعه وبنفسه إلى الخارج، ليجد ذراع الغرب مهيأة لاستقباله واحتضان إبداعه. وبين هؤلاء وأولئك فريق ثالث آثر أن يثبت أمام إعصار معوقات الإبداع العربي، وأن يتحمل في سبيل إبداعه كل الصعوبات. فهذا الفريق قد يصل بعض مبدعيه بعد عناء وجهد جهيد، وينحت لإبداعه مكانًا بين الصخور، وكثير منهم يموتون، وتموت معهم إبداعاتهم، وابتكاراتهم، بعد أن يصابوا بالإحباط واليأس، نتيجة البيروقراطية والروتين، وتجاهل المسؤولين لهم، وعدم توافر الأموال اللازمة لتمويل إبداعاتهم، وانصراف وسائل الإعلام العربي عن هذه الإبداعات، فقد صار كثير من وسائل إعلامنا العربي حكرًا على بعض المنتفعين، فلا تكاد تعنيها الفكرة الجيدة، ولا العمل الإبداعي الجاد، بقدر ما تعنيها المصالح المتبادلة، أو المنافع المادية الزائلة.

تُرى: هل يُفيق المجتمع العربي من غفوته، ويدرك





قيمة الإبداع الحقيقي، لا الإبداع المزيف الذي تصطنعه بعض وسائلنا الإعلامية العزيزة؟ وهل سيدرك حقيقة أن ثقافة الإبداع العربي في أزمة؟ وأخيرًا نتساءل: ماذا لو عاش المبدعون والمبتكرون العرب المهاجرون، مثل الدكتور أحمد زويل، والدكتور مجدي يعقوب، وغيرهما، في المجتمع العربي، هل كانوا سيُبدعون، ويخترعون، أو هل سيسمع أصلاً بهم أحد؟!!

نعم، نؤكد أن الإبداع العربي في أزمة حقيقية، وهي أزمة ليست بالمرض المستعصي الذي يستحيل علاجه، وإن كان علاجها صعبًا وطويل الأمد، يحتاج إلى صبر وتكاتف من كل مؤسسات المجتمع العربي، وأنظمته المختلفة.

صحيح أن عملية الإبداع فردية تتعلق بشخصية المبدع، لكنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمجتمعها، فإذا لم يحتضنها بجميع فئاته، ومؤسساته، وأنظمته، ويوفر لها الرعاية والعناية اللازمتين، ويهيّئ لها الظروف المناسبة والأجواء الصحية الضرورية لنمائها، ضعفت واضمحلت وانتهت.

وفي سبيل علاج هذه الأزمة لا بد من وجود قيادات عربية تؤمن بأهمية الإبداع الحقيقي، وتُجنِّد كل الإمكانات المتاحة؛ لتفيد من جميع الطاقات الإبداعية، وتعمل على توفير المناخ المناسب لها، والصالح لنمو إبداعاتها. وقبل هذا كله العمل الدؤوب لاكتشاف هذه الطاقات الإبداعية، والبحث عن أنسب السبل، لتنميتها وتقديم الرعاية اللازمة لها، لتصبح طاقات إبداعية خلاقة، وفاعلة في مجتمعها العربي.

فمسؤولية أي أمة تسعى إلى الرقي والتقدم الحضاريين، وتريد أن تحجز لنفسها مكانة لائقة في عصر العولمة، أن تبحث عن المبدعين من أبنائها، لا أن تنتظرهم حتى يبحثوا هم عنها. وأي مجتمع متحضر في العالم يبدأ بالتعرف إلى ميول الفرد، ومواهبه منذ سن الطفولة، ليس في المدرسة فقط، وإنما في المنزل كذلك، وفي الروضة،

والنادي، وإن كان العبء الأكبر بهذا الصدد، يقع على عاتق وزارات التربية والتعليم في العالم العربي.

وكما يقال (اليد الواحدة لا تصفق)، فلا بد من تعاون الأسرة مع المدرسة، فالوالدان إن لم يكن لديهما وعي بمعنى الإبداع وأهميته، واستعداد للتعاون مع المدرسة لاكتشاف هوايات أبنائهما، وميولهم، وترصد فيه كل تغيير، أو تطور يطرأ على حياة الطالب، وتساعد المدرسة على تنمية الإيجابي من هذه التطورات، ومعالجة السلبي منها.

سبل اكتشاف الطاقات الإبداعية

كما لا بد من تعاون جميع مؤسسات المجتمع العربي


تشجيع الشباب ضرورة لاكتشاف الموهوبين


التعاون بين الأسرة والمدرسة يعين على اكتشاف موهبة الطلاب

ومواهبهم الإبداعية . فلن يتحقق الهدف المنشود.

ولتحقيق ذلك عمليًا يمكن للمدرسة أن تخصص سجلاً خاصًا بكل طالب تدون فيه كل ما يتصل به من مواهب، وميول، وصفات شخصية، وتسجل فيه كذلك علاقاته مع زملائه، وأساتذته، ومشكلاته.. إلخ، على أن تتابع الأسرة هذا السجل متابعة يومية دقيقة، وتدون هي الأخرى فيه ملاحظاتها حول ما سبق،

على اكتشاف الطاقات الإبداعية العربية، وتوفير المناخ الصحي لتنميتها، وتبادل الخبرات في هذا الشأن، فتضافر الجهود العربية ضرورة حتمية للعناية بالمبدعين، والاستفادة من أعمالهم الإبداعية، خصوصًا أننا في عصر التكتلات، والعمل المؤسسي الجماعي.

ومما يساعد على اكتشاف هذه الطاقات الإبداعية وتنميتها، نشر الثقافة الإبداعية، سواء

المبدعـون الحقيقـيون قلما يهـتم بهم أحد، وكثيـرًا ما يُضطهدون وتُوصد في وجـوههم الأبواب، ويُحاربون من ذوي المصالح النفعية، والآفاق الذهنيـة الضيقة، فيدب اليأس في نفـوس بعض هؤلاء المبدعين، ويستـسلمون للعاصفـة، ويُقبَر الإبداع حيًا في عـقولهم ووجدانهم

أكـانت فكرية أم أدبيـة أم فنيـة، وترجـمـة الأعـمـال الإبداعية العالمية، من أجل الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى، وتكون هذه الأعمال المنشورة بأسعار تناسب مع مـعدلات دخل المواطن، بحيث تصيـر في مـتناول الجميع، أو معظم فئات المجتمع على الأقل.

ومما يُجدي نفعًا بهذا الصدد أيضًا عقد دورات لتدريس بعض الأعـمـال، والفنون الإبداعيـة، تشـرف عليها وزارات الثقافة العربية، ويتم تبادل الاستشارات في هذا الشأن.

فذلك يؤدي إلى تفتُّق الموهبة الإبداعية الكامنة داخل عقول بعض النشء، ووجدانهم، إذا مـا أعجبوا بأعمال إبداعـية رائعـة تكون بمنزلة نماذج رائدة لهم، يقتبسـون منهـا، ويطورون أنفسـهم، حـتى يتـخطوها إلى أعمـال إبداعية من إبداعهم، وابتكارهم الخالص.

إذن، فالعناية بالنماذج الإبداعية الرائدة أمر مُلِحّ؛ وذلك بنشـرها في الصحف، والمجلات، وتحليلها، وعرضـها في وسائل الإعـلام المختلفة، كمـا أن الإكثار من المسابقات الدورية الإبداعيـة للنشء يسهم في التعـرف إلى طاقـاتهم الإبداعية، بحيث ترصد جوائز للأعمال الإبداعية الفائزة، وهذا مـا يخلق نوعًـا من المنافسـة الشـريفـة بين النشء، ويحفزهم إلى تنمية مواهبهم وإبداعاتهم.

الحرية إكسير الإبداع

ومن الضروري تشجيع الأعمال الإبداعية للشباب والنشء؛ لتكتـمـل الدائرة، ورصـد الأمـوال اللازمـة لتمويلها من خلال مؤسسـات خاصة تنشأ لهذا الغرض، ثم نشر المتميز من هذه الأعمال وتثمينه، والعناية بنقده وتحليله؛ نقـدًا إيجـابيًـا هـادئًا ومـوضـوعيًـا، بعيـدًا من التعصب والانفعال، والنقد اللاذع، والأمور الشخصية التي لا تخـدم الإبداع، مع الأخـذ في الحسـبـان عـامل السن، وقلة التجارب، وبما لا يتعارض مع حرية الإبداع. أمـا الخـوف والقـمـع والإرهاب الفكري، أو الثـقـافي، أو الفني، فتـقف حـجـر عـثرة، وسـدًا منيـعًـا أمـام العـمل الإبداعي. فـالحـرية المنضـبطة، أو لنسمِّهـا (المسـؤولة) هي متنفس الإبداع، وإكسير الحياة الإبداعية.

ولا ننسى ما للتربية العربية من دور بارز وأساسي في اكتشاف الطاقات الإبداعيـة، وتنميـتها، واحـتضـانها، والإخـفـاق في هذه التـربيـة يعني وأد الإبداع، وقـتل الطاقـات الإبداعيـة، ومن ثم يتـخلف المجتـمع عن ركب الحضـارة العالمية، وتزداد الهوة الحضـارية بين المجتمع العربي، والمجتمعات الغربية المتحضرة، حتى يتسع الخرق على الراقع، وينفلت زمام الأمور من أيدينا، لا قدر الله.

المبـدع شـخص مـن طراز خـاص، يمتـاز من غـيـره من البـشـر، بصـفـات خـاصـة تجعله جـديرًا بأن يكون مبـدعًا، وأولى هذه الصـفـات الإحـساس المرهف، ذلك الإحسـاس الذي يجـعله يشـعـر به الآخـرون من غـيـر المبـدعين، وينتـبـه لما لا ينتـبـه له غـيـره





الاستدعاء: نظرية نهاية التاريخ، وسياسة إدارة جورج بوش الابن

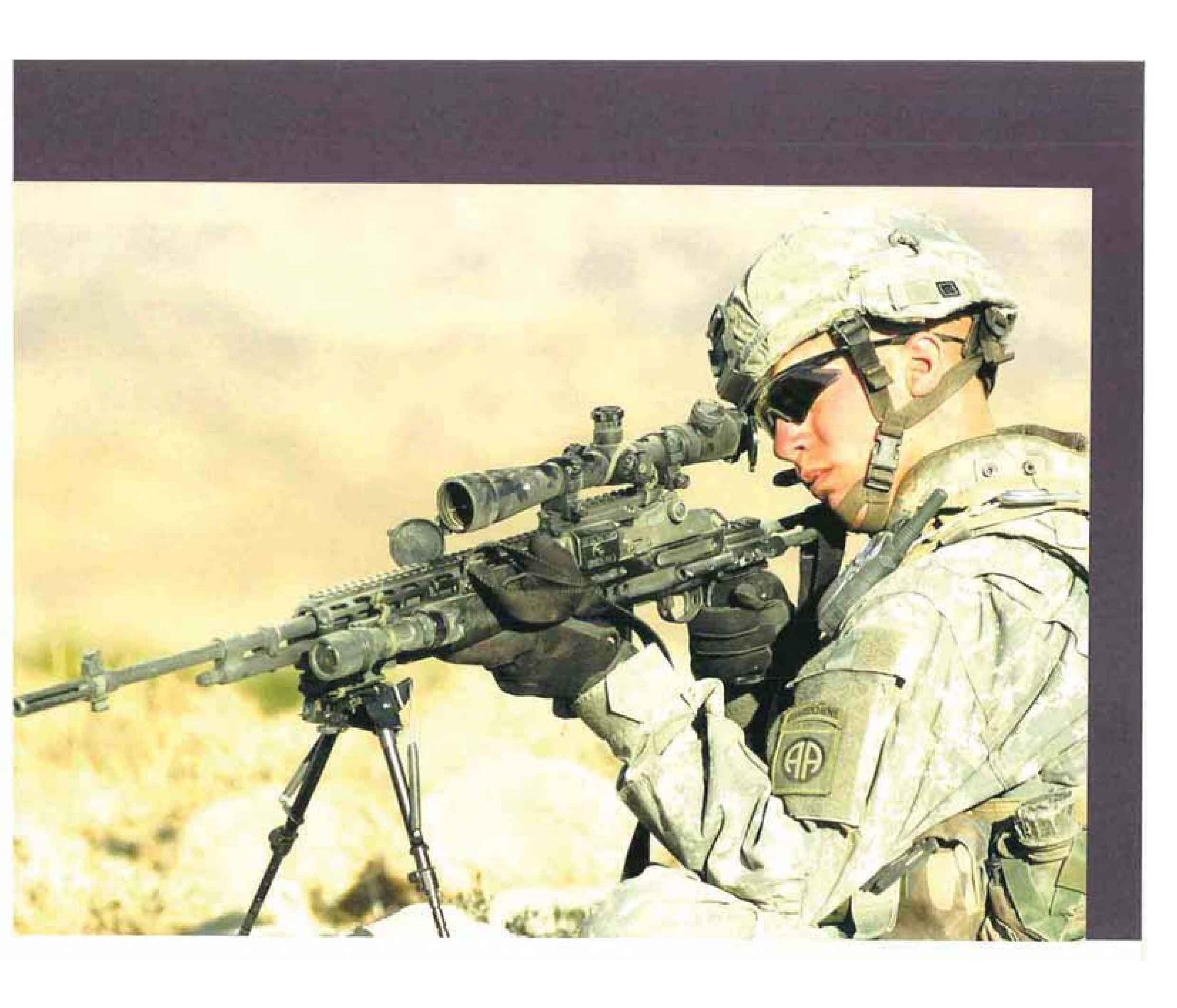
محمد سيف حيدر

صنعاء - اليمن

في يناير عام ٢٠٠١م، جاءت إدارة جورج دبليو بوش - للمرة الأولى - إلى سدة الحكم في واشنطن، وسرعان ما تساءل المراقبون، عن طبيعة توجهات هذه الإدارة، إزاء ما يجري في العالم، وهل ستظل الديمقراطية الليبرالية - كما يجسدها النموذج الأمريكي - هي الركيزة المفضلة لتوجهات أمريكا الاستراتيجية، والسياسية، والاقتصادية، حيال العالم الخارجي؟

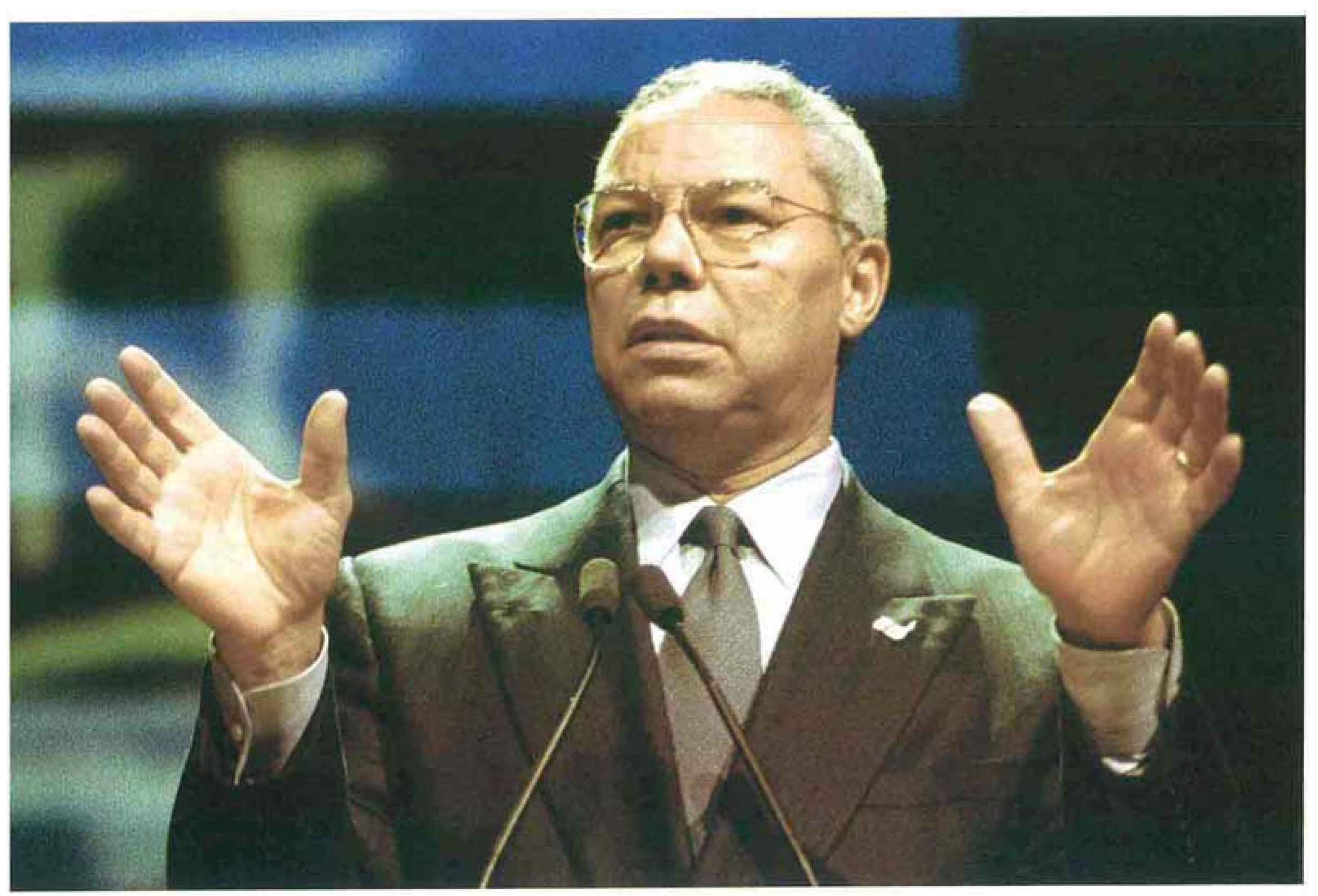
الحق أن هذا التساؤل كان مشروعًا تمامًا؛ فإدارة بوش اليمينية المحافظة، جاءت إلى السلطة بعد ثماني سنوات من حكم إدارة ديمقراطية ليبرالية، بالمعايير الأمريكية، وهي تنطلق - في كثير من الأمور - من منطلقات مناقضة لإدارة كلينتون، فإذا كانت الأخيرة قد عملت وفقًا لمفاهيم بناء الإجماع واستراتيجياته، والعمل من خلال منظمات، وترتيبات متعددة الأطراف، والتعددية الثقافية، وتبادل التنازلات، والتركيز على ارتباط مصير الولايات المتحدة بالعالم؛ فإن إدارة بوش (الابن) عملت وفقًا لتوجهات معاكسة، ومغايرة تمامًا (١)، وذلك في ضوء «الواحدية» التي تتبناها هذه الإدارة في نظرتها إلى العالم والتاريخ (٢).

ومنذ البداية، كانت الميول الانعزالية واضحة في توجهات الإدارة الأمريكية الجديدة، وبدا ذلك جليًا، في تعاطيها مع شؤون العالم، على ضوء تعريفها بالغ الضيق إلى المصلحة الأمريكية - وطبقًا لها - لا تعد الولايات المتحدة مسؤولة أخلاقيًا، أو سياسيًا عن بقية العالم، ومن ثم، لا ينبغي لها أن تتحمل أية تكلفة، إذا كان



الغرض من ذلك هو مجرد خلق عالم أفضل(٣). بيد أن هذه الرؤية، اصطدمت بشدة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م الإرهابية، التي عدّها معظم الأمريكيين هجومًا يستهدف - بالدرجة الأولى - الحريات والمؤسسات الديمقراطية في بلدهم (٤). وأعادت - أي الهجمات - إلى الواجهة - بعكس كل ما قيل - طروحات فرانسيس فوكوياما، التي تشدد على «محورية»، أو «كونية» القيم الأمريكية (٥)، لتكتشف الإدارة استحالة تخلي الدولة العظمى الوحيدة في العالم، عن مهمة صياغة نظام عالمي جديد، يرعى المصالح الأمريكية، ومن ثم، شرعت في تطوير أفكارها، في هذا الاتجاه، مركزة على الديمقراطية، وحقوق الإنسان، كونها الأساس لبناء العالم الجديد، وكونها الطريق للتخفيف من التهديدات التي تتعرض لها الولايات المتحدة (٦).

والحال أن أحداث سبتمبر - كما يشير وليام بفاف، الكاتب الأمريكي الليبرالي - قلبت التشكيلات الجيوسياسية في أمريكا رأسًا على عقب. إذ إنها أطلقت يد القوى المحافظة، التي تملك رؤى راديكالية وطوباوية،



كولن باول

تقول: إن هيمنة أمريكا على المجتمع العالمي، هي الخاتمة الطبيعية للتاريخ (وهي فكرة مطابقة لـ «نهاية التاريخ» لدى فوكوياما) وأن القوة الأمريكية قادرة على استيلاد «القدر الواضح» (الإمبراطوري) للولايات المتحدة، الذي تحدث عنه الرئيس الأمريكي، الأسبق رونالد ريجان، في ثمانينيات القرن الماضي(٧). وقد عبرَّ الرئيس بوش (الابن) أكثر من مرة، عن هذا التوجه، مؤكدًا أن أمريكا

أصبحت الإدارة الأمريكية أكثر إدراكًا لارتباط مصالح الولايات المتحدة، وأمنها، ورفاهيتها، بما يجري في مناطق العالم الأخرى، وعليه أضحت أكثر استعدادًا لاتباع سياسة خارجية نشطة، قد تتورط، بسببها في صراعات في أماكن متفرقة من المعمورة



جمع بوش بين الديمقراطية الليبرالية والليبرالية الاقتصادية، وعدّ هذين العاملين الركيزة التي سيكون في مقدور أي دولة الاستناد إليها، حتى تصبح قادرة على التوجه إلى الولايات المتحدة، والتعامل معها على أسس الصداقة، والتعاون، والتحالف

«هي النموذج الوحيد الباقي على قيد الحياة للنجاح الإنساني»(٨)، ولذا «يجب أن نقول للعالم: إن أمريكا هي هكذا. وينبغي أن تتعلموا منا وأن تكونوا هكذا» (٩).

على أن الإدارة الأمريكية أصبحت أكثر إدراكًا لارتباط مصالح الولايات المتحدة، وأمنها، ورفاهيتها، بما يجري في مناطق العالم الأخرى، وعليه أضحت أكثر استعدادًا لاتباع سياسة خارجية نشطة، قد تتورط، بسببها في صراعات في أماكن متفرقة من المعمورة، إضافة إلى أنها باتت تمتلك الجرأة على التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى؛ لإعادة صياغة نظم الحكم فيها، وتطمح - في خط مواز - إلى صياغة نظام دولي يخضع - تمامًا - لهيمنتها. يجري هذا كله في إطار تحويل ما يسمى: «الحرب على الإرهاب» إلى مبدأ رئيس ناظم لسياسة الولايات المتحدة وإستراتيجيتها في العالم (١٠)، كما يحدث ذلك، بالتوازي مع صعود البعد الأيديولوجي في توجهات السياسة الأمريكية، وهو البعد الذي سبق أن شدد عليه الرئيس بوش، وأكده من بعده وزير خارجيته كولن باول، الذي أوضح أن «هذا هو زمن الفرص العظيمة» للولايات المتحدة، «إذ ليس هناك أي أيديولوجية أخرى يمكنها - حقًا - مناقشة ما يمكننا تقديمه إلى العالم». ويقول: إن على أمريكا أن تستخدم «ما لدينا من قوة، قوتنا السياسية، وقوتنا الدبلوماسية، وقوتنا العسكرية، ولكن على الأخص قوة أفكارنا لنحافظ على تعاطينا مع شؤون العالم» (١١).

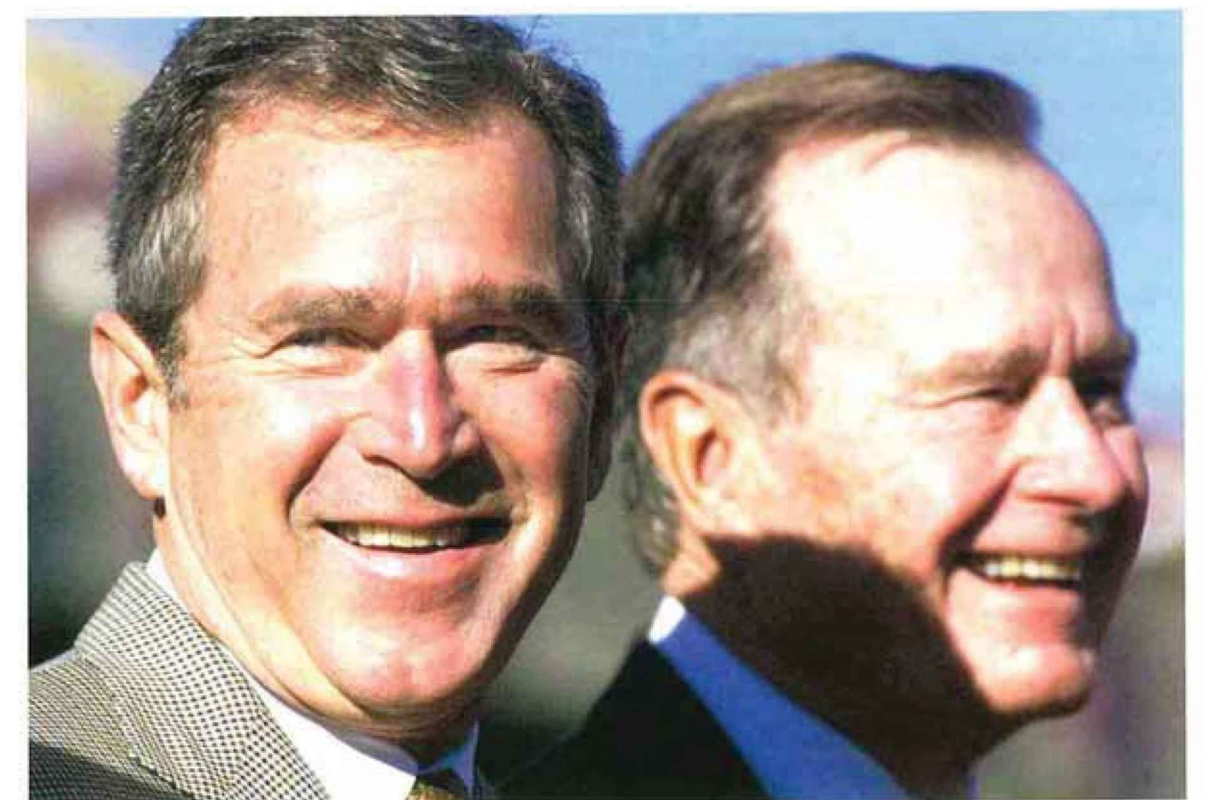
وهكذا عادت إدارة جورج دبليو بوش - التي لم تكن متحمسة لحمل لواء الإستراتيجية «الكلينتونية» التي تعاملت مع نظام ما بعد الحرب الباردة بوصفه نظامًا يقوم على الديمقراطية، والأسواق المفتوحة - عادت إلى استخدام بعض أفكارها بطرائق متعددة، فقامت، على سبيل المثال، بدعم انضمام الصين إلى منظمة التجارة

العالمية، استنادًا إلى التوقع الليبرالي القائم، على أن الأسواق الحرة والتكامل في النظام الاقتصادي الغربي، سينشئان ضغطًا في اتجاه الإصلاح السياسي الصيني، وسيحدان من التوجه نحو سياسة خارجية مواجهة. وبالمثال دعمت الإدارة جولة المناقشات الخارجية المتعددة في عام ٢٠٠١م بالعاصمة القطرية الدوحة، على أساس المنافع السياسية والاقتصادية، لتجارة أكثر حرية. بل إن روبرت زوليك - الممثل التجاري للولايات المتحدة - ربط - بعد ١١ سبتمبر - بين توسع التجارة، ومحاربة «الإرهاب»، وبات التبادل التجاري، والنمو، والتكامل الاقتصادي، والاستقرار السياسي تتكامل معًا. كذلك رأى رينشارد هاس، مدير التخطيط السياسي في وزارة الخارجية، «أن الهدف الرئيس للسياسة الخارجية الأمريكية، يتمثل في دفع الدول والمنظمات الأخرى، إلى أن تتكامل في ترتيبات تجعل العالم يتلاءم مع مصالح الولايات المتحدة وقيمها».

وفي ذلك صدى واضح للإستراتيجية الكبرى الليبرالية، التي سادت في ظل إدارة كلينتون الديمقراطية (١٢).

ولا شك لدى كثيرين أن إستراتيجية إدارة بوش (الابن) - كما الإدارات الأمريكية السابقة، خصوصًا إدارتي والده، وبيل كلينتون - اتخذت «منحى ويلسونيًا» في تعاطيها مع العالم الخارجي، لكن مع وجود فارق مهم. فإذا كان ويلسون يرى أن نشر القيم الأمريكية يمثل واجبًا معنويًا لمسؤولي الإدارة الأمريكية، فإن بوش يرى أن تحقيق هذا الهدف - فضلاً عن كونه واجبًا معنويًا - يجب أن يستند إلى القوة العسكرية (١٣). ومن هذا المنطلق، فليس غريبًا أن يصر الأخير - من موقعه الأيديولوجي ذي الطابع اليميني المحافظ - على أن مهمة بلاده - بل رسالتها شبه المقدسة - هي نشر الديمقراطية في العالم، حيثما يخدم ذلك مصالحها (١٤). ومن ثم غدا استعمال الآلة الحربية الأمريكية الضخمة في خدمة هذه

جورج بوش (الأب والابن)






رونالد ريجان

تمضي إستراتيجية الأمن القومي، في تماه تام مع إعلان فوكوياما الأيديولوجي، مؤكدة أنه "في القسم الأعظم من القرن العشرين، كان العالم منقسمًا حول الأفكار، تقف على طرفه الأول الرؤى التوتاليتارية المدمّرة، وتقف الحرية والمساواة على الطرف الآخر

المهمة، الرسالة، أمرًا لازمًا وطبيعيًا. وفي عالم ما بعد ١١ سبتمبر، وفرت «الحرب ضد الإرهاب» - التي اضحت العنوان الأبرز لسياسة أمريكا الخارجية، الوسط الملائم للمضي في هذه الإستراتيجية، وهو ما يعطي واشنطن حظوظًا أكبر في سعيها لتوسيع الديمقراطية الليبرالية وتعميمها في الجزء «التاريخي» من العالم الذي يفتقر إلى الحس الديمقراطي(١٥).

وفي هذا السياق، ضغطت الولايات المتحدة بصورة متزايدة على الدول الأخرى - خصوصًا دول العالم الثالث أو «التاريخي» حسب قاموس فوكوياما - لكي تحظى بأفضليات التحالف معها، وفق الشروط والمعايير التي تحددها. وكما يشرح محرر الشؤون الإستراتيجية بمجلة المشاهد السياسي(١٦)، فإن هذه الشروط الأمريكية لم تعد تقتصر على مجرد مفردة وقوف هذه الدول إلى جانب السياسة الأمريكية، وأولوياتها الدفاعية والإستراتيجية، على الرغم من الأهمية القصوى التي لا يزال يتمتع بها ذلك، بل أصبحت تلك الشروط تصل إلى ما هو أبعد، وأعمق أثرًا، إذ بات مطلوبًا من تلك الدول، أن تعمد - فعلاً - إلى تطبيق سياسات وتوجهات على الصعيد الداخلي، وفي المجالات السياسية والاقتصادية حتى الاجتماعية والثقافية، تتلاءم وتنسجم مع سمات السياسة الأمريكية وأولوياتها. وهذه السمات والأولويات باتت واضحة بدورها، إذ حددها الرئيس جورج دبليو بوش بصراحة تامة، حين تحدث عنها في الخطاب الذي ألقاه في ٢٢ مارس عام ٢٠٠٢م أمام المؤتمر الدولي الذي نظمته الأمم المتحدة، حول موضوع الفقر في العالم، الذي عقد في مدينة مونتيري المكسيكية. ففي مقابل الدعوات الصادرة من أكثر من جهة دولية - بما في ذلك حكومات دول غربية حليفة للولايات المتحدة، ومنظمات إغاثة غير حكومية، وهيئات تابعة للأمم المتحدة - تطالب جميعها بضرورة زيادة حجم المعونات، التي تخصصها الدول الصناعية المتقدمة، وعلى رأسها الولايات المتحدة (اقرأ: دول «العالم ما بعد التاريخي») للأقطار النامية



والفقيرة (اقرأ: دول «العالم التاريخي»)، جاء الرد على لسان الرئيس الأمريكي، على شكل مجموعة من الشروط التي تريد واشنطن اعتمادها، كأساس للتميز بين من يستحق الدعم والمعونة من جانبها، وبين من لا يستحقها، هذه الشروط باختصار هي:

اعتماد الدول الحاصلة على المعونات الديمقراطية أساسًا للحكم فيها. وانتهاجها سياسة الاقتصاد الرأسمالي، والتجارة الحرة، ومبادئ السوق المفتوحة، أساسًا لتوجهاتها الاقتصادية، والمالية، والتجارية. ومكافحة الفساد الحكومي، والإداري، أساسًا لتسيير شؤونها الداخلية. وبكلام آخر، جمع بوش بين الديمقراطية الليبرالية والليبرالية الاقتصادية، وعدّ هذين العاملين، هما: الركيزة التي سيكون في مقدور أي دولة الاستناد إليها، حتى تصبح قادرة على التوجه إلى الولايات المتحدة، والتعامل معها على أسس الصداقة، والتعاون، والتحالف.

إن بوش - إذًا - يحاول - بأسلوبه الخاص - «عولمة» النموذج الأمريكي للديمقراطية الليبرالية، فهو - مثل فوكوياما - يؤمن بكونية هذا النموذج الظافر، وينظر - كذلك - إلى بلاد على أنها الخاتمة الطبيعية للتاريخ، وهي قناعة انتقلت - رأسيًا - من أوساط النخب والقوى المحافظة - التي نظرت بإعجاب إلى فوكوياما وطروحاته (١٧) - إلى دائرة صنع القرار السياسي والإستراتيجي الأمريكي.

على أن أبرز الشواهد، في هذا الصدد، هي

العراق، كان بداية "المعركة" - إن جازت هذه التسمية - وذريعة الديمقراطية، في المحصلة، كانت الأوفر حظًا بين كل الذرائع التي مهدت لاحتلال هذا البلد، ثم سقطت تباعًا فيما بعد، وبشكل محدود أحرج كل الحلفاء

ربط أمريكي بين العراق وفلسطين





إستراتيجية الرئيس الأمريكي للأمن القومي التي صدرت في سبتمبر عام ٢٠٠٢م، وعرفت باسم «عقيدة بوش». فقد ألزمت هذه الإستراتيجية/ العقيدة، الولايات المتحدة بأن تقود الأمم الأخرى إلى «النموذج الواحد ذي الديمومة في النجاح القومي»، وكان المقصود بالطبع الديمقراطية الليبرالية، والأسواق الحرة. وإذ يلاحظ مايكل إيغناتييف - بروفيسور سياسة حقوق الإنسان في جامعة هارفارد - باستغراب أن «هذه نبرة غريبة على سياسي من تكساس ترشح إلى منصبه مناهضًا بناء الأمم في الخارج، وداعيًا إلى أمريكا أشد تواضعًا في العالم»، إلا أنه يستدرك قائلاً - بنوع من التفهم -: «إن ١١ أيلول/ سبتمبر غير كل فرد، بمن في ذلك الرئيس الميال إلى الإيجاز وعدم الخطابية!» (١٨). وفي تلخيصه عقيدة بوش، يشير جون غريس - الأستاذ الأمريكي في العلوم السياسية - إلى أن ثمة دليلاً قويًا ومقنعًا يتوافر الآن: لإكمال التطلع الهادف الذي بدأه الرئيس ويلسون، قبل زهاء ثمانية عقود. وأن من الضرورة بمكان، أن يكون العالم آمنًا للديمقراطية لكي تجد فرصتها فيه. «وعليه، تستطيع إدارة بوش تحديث الخطط الإستراتيجية الأمريكية العامة، التي كانت سائدة في الأعوام الخمسين الماضية» (١٩).

على أن الأكثر إثارة في هذه العقيدة (الإستراتيجية)، هو: تلك الروح التبشيرية المغلفة بنبرة قطع حاسمة، التي تنبعث من بين كلماتها الخلاصية - بل ومنذ الكلمة الأولى من السطر الأول فيها، إلى درجة يُخيل إلى المرء أن فوكوياما نفسه - وليس أحدًا غيره - هو من صاغها ونفخ فيها من روحه:

«انتهت الصراعات الكبرى في القرن العشرين - بين الحرية والتوتاليتارية - بنصر حاسم، لقوى الحرية، ونموذج واحد للنجاح القومي: الحرية، والديمقراطية، والأعمال الحرة. وفي القرن الحادي والعشرين، فإن الدولة التي تشترك في الالتزام بحماية حقوق الإنسان الأساسية، وضمان الحرية السياسية، والاقتصادية - فقط - ستكون قادرة على إطلاق طاقات شعوبها، وضمان ازدهارها المستقبلي. فالناس في كل مكان يرغبون في الحديث بحرية، واختيار من يحكمهم، وممارسة عباداتهم كما يشتهون، وتعليم أولادهم من الذكور والإناث، وضمان حق الامتلاك والتمتع بمنافع علمهم. وهذه القيم صحيحة بالنسبة إلى كل شخص وإلى كل مجتمع، وواجب حماية هذه القيم ضد الأعداء، يقع على عاتق كل محبي الحرية في جميع أنحاء العالم عبر كل العصور» (٢٠).

وتمضي إستراتيجية الأمن القومي، في تماه تام مع إعلان فوكوياما الأيديولوجي، مؤكدة أنه «في القسم الأعظم من القرن العشرين، كان العالم منقسمًا بسبب صراع محموم، حول الأفكار، تقف على طرفه الأول الرؤى التوتاليتارية المدمّرة، وتقف الحرية والمساواة على الطرف الآخر. وقد انتهى هذا الصراع الآن، وهزمت الرؤى المتطرفة حول الصراع الطبقي، والقومي، والعرقي، التي وعدت باليوتوبيا ولم تأت إلا بالبؤس»، وأن الولايات المتحدة، بوصفها الطرف المنتصر في تنافس القوة، كما في المواجهة الأيديولوجية، سوف تترجم لحظة

إن الهدف الرئيس للسياسة الخارجية الأمريكية، يتمثل في دفع الدول والمنظمات الأخرى، إلى أن تتكامل في ترتيبات تجعل العالم يتلاءم مع مصالح الولايات المتحدة وقيمها". وفي ذلك صدى واضح للإستراتيجية الكبرى الليبرالية

انتصار نموذجها الأيديولوجي، ونفوذها العالمي غير المحدود «إلى عقود من السلام والرخاء والحرية، وسوف تُبنى إستراتيجية الولايات المتحدة الأمنية القومية، على أساس انخراط الولايات المتحدة الدولي الذي يعكس وحدة قيمنا، ومصالحنا القومية. وتهدف هذه الإستراتيجية إلى المساعدة في جعل العالم أفضل وأكثر أمنًا. وأهدافنا على طريق التقدم واضحة، وهي الحرية السياسية، والاقتصادية، وعلاقات سلمية مع الدول الأخرى، واحترام الكرامة الإنسانية»(٢١). وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، سوف تعمل واشنطن على ما يأتي(٢٢):

كلينتون



من المعلوم أن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، قامت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على ثلاثة ثوابت، تشكل المحور والدليل، في تعاطي واشنطن مع المنطقة وقضاياها: "محاربة النفوذ السوفيتي، ضمان أمن إسرائيل، وتفوقها العسكري، وحماية المصالح النفطية الأمريكية في المنطقة"

- قيادة التطلعات نحو الكرامة الإنسانية.
- تعزيز التحالفات من أجل الانتصار على الإرهاب الدولي، والعمل من أجل منع وقوع هجمات ضدنا، أو ضد أصدقائنا.
- العمل مع الآخرين لنزع فتيل النزاعات الإقليمية.
- منع أعدائنا من تهديدنا، أو تهديد حلفائنا، أو أصدقائنا باستخدامهم أسلحة الدمار الشامل.
- العمل من أجل حقبة جديدة من النمو الاقتصادي على المستوى العالمي، من خلال إقامة الأسواق الحرة والتجارة الحرة.
- توسيع دائرة التنمية والتطوير، من خلال فتح المجتمعات، وبناء البنية التحتية للديمقراطية.

المسؤولون الأمريكيون باتوا يطرحون أنفسهم - أكثر من أي وقت مضى - بوصفهم قوة تغيير في العالم، أي: رافعة تاريخية تسعى إلى النهوض بمجتمعات "العالم التاريخي" الراكد، التي تحكمها أنظمة استبدادية



إسقاط صدام ليس كافيًا لجلب السلام إلى الشرق الأوسط

ـ تطوير أجندات العمل التعاوني مع مراكز القوة الدولية الأخرى.

واللافت في هذه الإستراتيجية، هو إشارتها المتكررة إلى مفردة «الكرامة الإنسانية» في صورة تكرر صدى الطروحات الفوكويامية، المستعارة من هيجل، حول «الاعتراف» ومحوريته، في حركة التاريخ الذي يشهد في نهايته بروز الديمقراطية الليبرالية، وانتصارها بوصفها القيمة/ الأيديولوجية الأكثر سموًا وتجسيدًا لتطلعات البشر، نحو الكرامة الإنسانية. ولا يفوت إستراتيجية الرئيس الأمريكي للأمن القومي، في هذا الإطار، أن تشدد على أن الحكومة الأمريكية سوف تعمل في سبيل مناصرة التطلعات من أجل الكرامة الإنسانية على الآتي (٢٣):

ـ المجاهرة الصادقة حول انتهاكات المطالب غير القابلة للتفاوض للكرامة الإنسانية، سنرفع صوتنا في المؤسسات الدولية وسنستخدم حقنا في التصويت في هذه المؤسسات من أجل دعم الحرية.

ـ استخدام مساعداتنا الخارجية: لتعزيز الحرية ودعم المناضلين - سلميًا - من أجلها، وضمان أن الدول التي تتحرك باتجاه الديمقراطية، تكافأ على الخطوات التي تتخذها.

ـ جعل الحرية، وتطوير المؤسسات الديمقراطية من الموضوعات الرئيسة في علاقاتنا الثنائية مع الدول، والسعي للتضامن والتعاون مع الديمقراطيات الأخرى، في مساعينا للضغط على الحكومات التي تمنع، تحسين حقوق الإنسان.

ـ بذل جهود خاصة: لتعزيز الحريات الدينية، وحماية هذه الحريات من الحكومات القمعية.

هكذا - وضمن أولية الاستباقية (Preemptive) التي تعد أبرز ما يميز عقيدة بوش (٢٤) - يتبدى لنا ذلك التحول الكبير والعميق، الذي طرأ على السياسة الخارجية الأمريكية، والذي يتجسد في «الانتقال من البراغماتية إلى أيديولوجية التغيير». وإذا كانت

«الأيديولوجية بالتعريف، هي نظام فكري يقوم على الإيمان بحقيقة اجتماعية تمثل المحرك الدينامي للجماعة/ للأمة، فإنها - هنا - تمثل «دمقرطة» العالم بما يعكس تفوق أمريكا، وقبول، أو اعتناق القيم الأمريكية، وليس - فقط - مجرد الموافقة على السياسة الأمريكية» (٢٥).

إن المسؤولين الأمريكيين باتوا يطرحون أنفسهم - أكثر من أي وقت مضى - بوصفهم قوة تغيير في العالم، أي: رافعة تاريخية تسعى إلى النهوض بمجتمعات «العالم التاريخي» الراكد؛ التي تحكمها أنظمة استبدادية، وتفتقر إلى الحد الأدنى من الحرية والديمقراطية، ونقلها إلى جنة «العالم ما بعد التاريخي» حيث تسود الديمقراطية الليبرالية، والرخاء الاقتصادي(٢٦). وفي ضوء هذا الطرح، يمكننا أن نفهم خلفية ذلك التحول المبدئي والتاريخي وسياقه في سياسة واشنطن إزاء الشرق الأوسط، بعد أن ظل الأخير - ولفترة طويلة من الزمن - «هو الاستثناء الكبير في السياسة الخارجية الأمريكية» (٢٧). هذا التحول - حتى وإن كان على مستوى الخطاب السياسي المجرد - أفصحت عنه كلمات الرئيس بوش في خطابه الشهير أمام «الصندوق القومي للديمقراطية» (في ٦ نوفمبر عام ٢٠٠٢م) وبالتحديد في الفقرة الآتية من الخطاب:

«ستون عامًا من تبريرات الأمم الغربية لغياب الحرية في الشرق الأوسط، لم تفعل شيئًا لجعلنا أكثر أمنًا، لأنه على المدى الطويل لا يمكن شراء الاستقرار على حساب الحرية، ومادام بقي الشرق الأوسط، مكانًا لا تنتعش الحرية فيه، فإنه سيظل منطقة للركود، والكراهية، والعنف الجاهز للتصدير، ومع انتشار الأسلحة التي يمكن لها أن تجلب دمارًا كارثيًا لبلادنا، وأصدقائنا، فإنه سيكون من التهور القبول بالوضع السائد» (٢٨).

إن هذه الكلمات - كما يوضح سعد محيو بدقة - تعد غير مسبوقة في كل التاريخ الدبلوماسي الأمريكي في الشرق الأوسط: فهي كانت المرة الأولى - أولاً - التي تعترف فيها، الدولة الأعظم، بأنها فضلت دومًا الاستقرار على الحرية في المنطقة، وهي كانت المرة الأولى - ثانيًا - التي تقر فيها زعيمة الغرب - بأنها كانت تدعم قوى

يحاول بوش "عولمة" النموذج الأمريكي للديمقراطية الليبرالية، فهو - مثل فوكوياما - يؤمن بكونية هذا النموذج الظافر، وينظر - كذلك - إلى بلاده على أنها الخاتمة الطبيعية للتاريخ

فوكوياما



دعمت الإدارة الإمريكية جولة المناقشات الخارجية المتعددة في عام ٢٠٠١م بالدوحة، على أساس المنافع السياسية والاقتصادية، لتجارة أكثر حرية، بل إن روبرت زوليك - الممثل التجاري للولايات المتحدة - ربط - بعد ١١ سبتمبر - بين توسع التجارة، ومحاربة "الإرهاب"

الاستبداد في الشرق. وهي كانت (وهنا الأهم) المرة الأولى - ثالثًا - التي تدرك فيها الولايات المتحدة - أو تعلن، على الأقل، أنها تدرك - بأن استمرار قبول الوضع السائد سيكون من باب «التهور والطيش» (٢٩).

ومن المعلوم، أن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، قامت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على ثلاثة ثوابت، تشكل المحور والدليل، في تعاطي واشنطن مع المنطقة وقضاياها: «محاربة النفوذ السوفيتي، ضمان أمن إسرائيل، وتفوقها العسكري، وحماية المصالح النفطية الأمريكية في المنطقة» (٣٠). وباستمرار، استخدمت الإدارات الأمريكية المتعاقبة أسلوب «رفع الأيدي»، بحسب تعبير فريد زكريا - مدير تحرير «نيوزويك» الدولية - لمنع أي ممارسة ديمقراطية قد تتسبب في إحلال حلفائها المستبدين، بآخرين يجاهرون بمعاداتهم الولايات المتحدة، ويهددون مصالحها الحيوية في المنطقة.

والحال أن «هذا الخوف - الخوف من البديل - أدى إلى شل السياسة الأمريكية الخارجية في الشرق الأوسط، مقارنة بأي منطقة أخرى من العالم، حيث دفعت الولايات المتحدة باتجاه إصلاحات سياسية واقتصادية خلال العقود الثلاثة الماضية - أحيانًا بشكل أبطأ مما يفضله الديمقراطيون - فإنها في هذه المنطقة تجنبت مثل هذه المواجهات» (٣١).

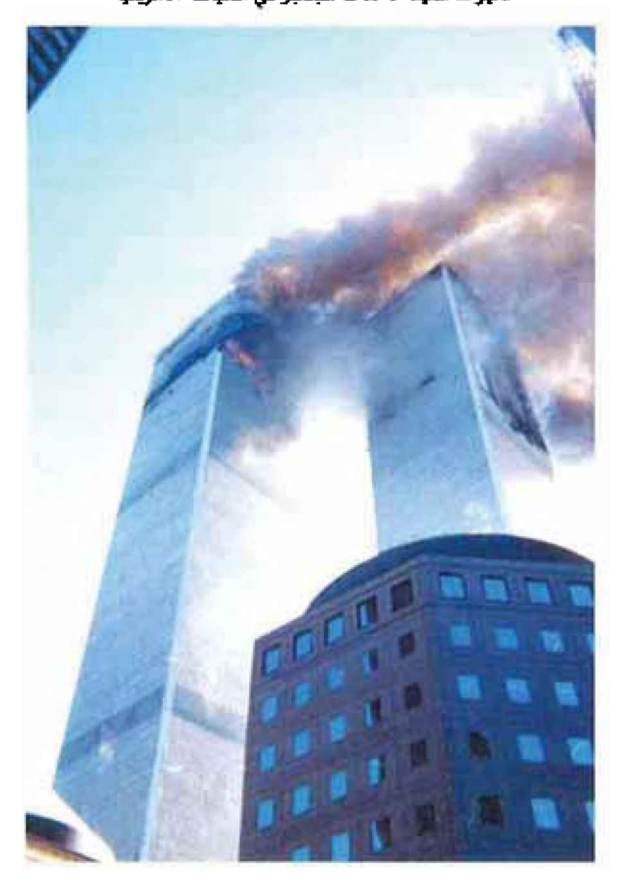
غير أن ثمة جديدًا - على ما يبدو - طرأ على سياسة واشنطن في الشرق الأوسط، مع أنه ليس من المؤكد - أبدًا - أن يتحول هذا الجديد - بدوره - إلى «استراتيجية متقدمة» جديدة تمسح موبقات السياسات الأمريكية القديمة في المنطقة، كما يجادل بعضهم (٣٢)، فقد استشعرت الولايات المتحدة ضرورة تحويل هذا الجزء الحيوي من العالم، إلى هدف مركزي لحملة التغيير بالحسنى، أو بالقوة. السبب المعلن بسيط لكنه جوهري: «الذين قاموا بهجوم على أمريكا في ١١ أيلول/ سبتمبر كانوا من الشرق الأوسط، ومن دول متحالفة مع أمريكا، وقريبة منها». وهذا يعني أن نقل المعركة مع التطرف الإسلامي؛ الذي ضرب الأمريكيين في عقر دارهم، إلى مصدره الحقيقي - وهو ليس أفغانستان، بل: بلاد العرب» (٣٣)، «بلاد الانتحاريين مفجري القنابل وحارقي الأعلام الأمريكية والملالي ذوي الخطب الملتهبة» (٣٤) - بات أمرًا لا مناص منه.

العراق، بالطبع، كان بداية «المعركة» - إن جازت هذه التسمية - وذريعة الديمقراطية، في المحصلة، كانت الأوفر حظًا بين كل الذرائع التي مهدت لاحتلال هذا البلد، ثم سقطت تباعًا فيما بعد، وبشكل مدو أحرج كل «الحلفاء». وعليه، فقد ذهب المسؤولون الأمريكيون إلى أن تغيير نظام صدام حسين القمعي في العراق سوف يجلب الديمقراطية إلى الشرق الأوسط، (أكبر مناطق «العالم التاريخي» وأكثرها أهمية). وسيثبط عزائم الحكام المستبدين والمتطرفين الإسلاميين، وفي الوقت نفسه، سينشط المصلحين عبر العالم. والنتيجة - كما يتوقع الرئيس بوش - في تفاؤل حالم «إن تأسيس عراق حر في قلب الشرق الأوسط، سيكون علامة فاصلة في الثورة الديمقراطية العالمية» (٣٥).

وفي خط مواز، وبما ان قضية الصراع العربي - الإسرائيلي تأتي على رأس أولويات السياسة الأمريكية في المنطقة، فإن التحليلات الأمريكية تفترض - أو بتبسيط بالأحرى - أن العراق الجديد الديمقراطي «سيدفع بعملية السلام مع إسرائيل» (٣٦) إلى الأمام، إذ إن تقدم الحرية - يعلن بوش بإيمان - يُفضي إلى السلام (٣٧). بيد أن المسؤولين الأمريكيين يدركون جيدًا، ان الإطاحة بالنظام العراقي وإحلاله بنظام آخر ذي سمات ديمقراطية لمجتمع تعددي، ليس كافيًا، نعم قد يكون العراق «مصدر إلهام» لشعوب ودول المنطقة، لكن المشكلة التي أدت إلى أحداث أيلول/ سبتمبر أبعد وأكبر من أن تختزل بهذا البلد. إن الشرق الأوسط بمجمله يظل مشكلة كبيرة - أيضًا - وخصوصًا مع انتشار الفقر، والجهل، والتسلط، والفساد فيه، وإذا ظلت هذه المظاهر موجودة - فإنها، بحسب رأي المخططين الاستراتيجيين في الإدارة الأمريكية - ستستمر في توليد النزعات الأصولية، والتطرف، والإرهاب، التي اضحت تهدد الاستقرار في المنطقة والاستقرار العالمي، ومن ذلك الولايات المتحدة نفسها (٣٨). إن مشاعر الغضب، والإحباط، والكراهية، والتطرف، كما يعتقد هؤلاء، «إنما تتغذى من انتشار الفقر وتدني مستوى التعليم وسوء إدارة الدولة، وإن وضع حد للتطرف، والإرهاب، والأصولية الإسلامية، إنما يتطلب إصلاح أنظمة الحكم في البلدان العربية، ونشر الديمقراطية، وتحقيق إصلاحات اقتصادية، وفتح الأسواق، وجذب الاستثمارات، وتغيير مناهج التعليم والثقافة، أي: تحسين مستوى المعيشة، والتعليم، والديمقراطية» (٣٩).



تأثيرات عميقة لأحداث سبتمبر في السياسة الأمريكية



واستنادًا إلى هذا التحليل، المدعوم بدوره برفض «مبدئي» لما عدّه المسؤولون الأمريكيون فكرة متعالية؛ تزعم «أن الحرية لن تنمو في الشرق الأوسط، أو أن هناك منطقة في العالم لا تستطيع أن تحتمل الديمقراطية» (٤٠)، فقد ظهرت حزمة من المبادرات الأمريكية، التي تستهدف إحداث تغيير ملموس في الشرق الأوسط وبما «يؤكد أن امريكا تحولت بعد ١١ ايلول/ سبتمبر من دولة محافظة على الأمر الواقع إلى دولة مراجعة (رافضة) للأمر الواقع» (٤١).

المبادرة الأولى: أعلنها كولن باول - وزير الخارجية - في كانون الأول/ ديسمبر عام ٢٠٠٢م - أي: قبل الحرب على العراق، وحملت اسم «مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط». اما المبادرة الثانية: فاطلقها الرئيس الأمريكي في أيار/مايو عام ٢٠٠٣م - أي بعد احتلال العراق - وتقترح إقامة منطقة تجارية حرة بين بلاده والدول الشرق أوسطية، في غضون عشر سنوات. على أن ثالثة هذه المبادرات كانت الأهم والأكثر إثارة

للجدل، وقد جاءت - أول مرة - تحت اسم «الشرق الأوسط الكبير»، ثم عدلت في قمة مجموعة الثماني الكبار - التي ضيفتها الولايات المتحدة في حزيران/ يونيو عام ٢٠٠٤م، لتخرج تحت اسم جديد هو: «شراكة من أجل التقدم ومستقبل مشترك مع منطقة الشرق الأوسط الكبير وشمال إفريقية». وعلى اختلافها، تجتمع المبادرات الثلاث - كما في المبادرة الأخيرة التي مثلت مبادرتي باول وبوش السابقتين مجرد تمهيد لها - على تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة هي: تشجيع الديمقراطية، والحكم الصالح في المنطقة العربية، وبناء مجتمع معرفي، وتوسيع الفرص الاقتصادية.

وبإجماع الدول الصناعية الكبرى على هذه الأهداف، يمكن القول: إن أهم دول «العالم ما بعد التاريخي» - إذا استخدمنا لغة فرانسيس فوكوياما - باتت تتدخل لدمقرطة أهم دول «العالم التاريخي» وأكثرها ممانعة للطروحات الليبرالية الغربية وتغييرها. صحيح أن ثمة خلافًا في التصورات والأفكار بين أهم مكوني العالم ما بعد التاريخي، - أي: الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي - حول طبيعة هذا التدخل وشكله وخلفياته الإستراتيجية، بالنظر إلى طبيعة الرؤية التي يحملها كل منهما لنفسه ولدوره في العالم (١١). إلا أن هذا الخلاف لم يمس - في النتيجة - نظرتهما المتوافقة إزاء النظام العالمي الجديد، الذي - بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر - أخذ «يولد من تغير أنظمة الدول غير الديمقراطية باتجاه جعلها أكثر حرية وديمقراطية بالعمل العسكري إذا لزم الأمر» (١٢)، بوصف هذا النظام «هو عينه النموذج الأيديولوجي التاريخي المنتظر الذي قدمه فوكوياما في نهاية التاريخ: أي: الديمقراطية الليبرالية المقرونة باقتصاد السوق» (١٣).

الهوامش

١. للمزيد من التفاصيل، انظر: Michael Hirsh, "Bush and the World", Foreign Affairs, Vol.81, no.5(September/October 2002), pp.18-43.

٢. نبيل خليفة، «الإستراتيجية الأمريكية العاجزة أمام أبواب العالم العربي»، الوسط، العدد ٥٥٢ (أغسطس ٢٠٠٢م)، ص ٩.

٣. جمال عبدالجواد، «السياسة الأمريكية تجاه العراق: تشدد يميني وهوس أمني»، السياسة الدولية، السنة ٣٨، العدد ١٥٠ (أكتوبر ٢٠٠٢م)، ص ٨٥.

٤. انظر مثلاً: مينكسين باي، «مفارقة القومية الأمريكية»، فورين بوليسي - النسخة العربية، العدد ١٣٦ (مايو/يونيو ٢٠٠٣م) ص ٢٤؛ معاذ الأشهبي، «ذهنية الميلاد الجديد: كيف أضحى ٩/١١ الأمريكي بداية للتاريخ؟»، الموقف، العدد ٤٠ (سبتمبر ٢٠٠٢م)، ص ٢٠؛ عبدالله السيد ولد أباه، «الخطاب الغربي حول الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م»، التسامح، السنة ٢، العدد ٥ (شتاء ٢٠٠٤م)، ص ١٢٢.

٥. انظر: Francis Fukyama, "Their Target: The Modern World", Newsweek (25 Desember 2001); and "Has History Restarted Seince September 11?" (8August 2002), http://www.cis.org. au/Events/JBL/JBL02.htm.

وثمة طروحات مشابهة في: جوزيف أس ناي (الابن)، «الهيمنة المخملية»، فورين بوليسي - النسخة العربية، العدد ١٣٦ (مايو/ يونيو ٢٠٠٣م)؛ فريد زكريا، «سياسة الغضب: لماذا يكرهوننا؟»، نيوزويك - الطبعة العربية، العدد ٧١ (١٦أكتوبر ٢٠٠١م).

٦. عبدالجواد، «السياسة الأمريكية تجاه العراق: تشدد يميني وهوس أمني»، ص ٨٦.

٧. سعد محيو، «القوة والنفط وتغيير الخرائط: ٣ أسباب تحتم حرب العراق»، الوسط، العدد ٥٥٦ (٢٣ سبتمبر ٢٠٠٢م)، ص٩؛ أحمد دياب، «أمريكا: ثنائية القوة والحرب»، الأهرام (١نوفمبر ٢٠٠٢م)، ص ٢٨؛ حسام سويلم، «الإستراتيجية الأمريكية للهيمنة على المنطقة»، فلسطين المسلمة، السنة ٢١، العدد ٥ (مايو ٢٠٠٣م)، ص ٢٨.

٨. وردت في: محيو، «القوة والنفط وتغيير الخرائط: ٣ أسباب تحتم حرب العراق»، ص ٩؛ وسويلم، «الإستراتيجية الأمريكية للهيمنة على المنطقة»، ص٢٨.

٩. وردت في: محمود سريع القلم، «الإدارة الأمريكية الحالية: الأسس النظرية للسياسة الخارجية»، فصلية إيران والعرب، السنة ٢، العدد ٥ (صيف ٢٠٠٣م)، ص ٩٤.

١٠. عبدالجواد، «السياسة الأمريكية تجاه العراق: تشدد يميني وهوس أمني»، ص٨٦ و٨٧.

١١. مذكور في : «السياسة الأمريكية ذات المسارين تجاه طهران»، المشاهد السياسي، العدد ٣٣٦ (١٨ أغسطس ٢٠٠٢م)، ص ٢٣.

١٢. G.John Ikenberry, "America's Imperial Ambition", Foreign Affairs, Vol. 81,no. 5(September/October 2002),pp.47-48.

١٣. انظر: سريع القلم، «الإدارة الأمريكية الحالية: الأسس النظرية للسياسة الخارجية»، ص ٩٣–٩٤؛ نبيل خليفة، أمريكا وبقية العالم: من البراغماتية.. إلى أيديولوجية التغيير، الوسط، العدد ٦٢٧ (٢ فبراير ٢٠٠٤م)، ص ١٠، ١١.

١٤. نبيل خليفة، «حلم الإمبراطورية الأمريكية»، الوسط، العدد ٥٥٨ (٧ أكتوبر ٢٠٠٢م)؛ وقارن بـ:

Ivo H. Daalder and James M. Lindsay, America Unbound: The Bush Revolution in Foreign Policy (Washington, DC: Brookings Institute, 2003).

حيث يجادل المؤلفان ضمن إطار تحليلي واسع، أن بوش الابن، بعكس النظرة النمطية الشائعة التي تراه عديم الخبرة السياسية ويفتقر إلى رؤية محددة المعالم في التعامل مع العالم الخارجي، يمتلك تصورًا متكاملاً لدور الولايات المتحدة في عالم ما بعد الحرب الباردة، يقوم على الاقتناع بدوافعها الرسالية الأخلاقية: من أجل نشر الديمقراطية وردع النظم «المارقة» بما تمثله من تهديد للأمن القومي الأمريكي من ناحية، وللسلم والأمن الدوليين من ناحية أخرى.

١٥. المصدر نفسه، ص ١٢. ومما تجدر الإشارة إليه، في هذا الإطار، أن فوكوياما – في نظريته حول «نهاية التاريخ» – يعتمد تقسيمًا شبه «مانوي» لمكونات النظام العالمي الجديد، أو «نظام ما بعد نهاية التاريخ» إذا استعرنا تركيباته، يذهب فيه إلى أن العالم بات ينقسم إلى شطرين رئيسين: شطر تخطى التاريخ، أو عالم ما بعد التاريخ، ويتكون من الدول القومية المستقلة التي تصالحت مع الليبرالية. والشطر الثاني لا يزال غارقًا في التاريخ، أو العالم التاريخي، ويتكون من الدول التي لا تأخذ بالديمقراطية الليبرالية. وحيث إن الخط الفاصل بين العالمين التاريخي، وما بعد التاريخي، يتغير بسرعة، فإنه من الصعب تحديده، وهذا يعني أن عدد اللاعبين في النظام الدولي المتشكل في مرحلة ما بعد التاريخ، سوف يتغير باستمرار، وذلك لانتقال بعض الدول – تقدمًا، أو تقهقرًا – بين العالمين. فالصين على سبيل المثال، بدت بعد أحداث ميدان تيانانمين الدموية في صيف ١٩٨٩م، أبعد ما تكون عن تحقيق الديمقراطية، غير أن سياستها الخارجية اتخذت، منذ بداية الإصلاح الاقتصادي، طابعًا برجوازيًا، على نحو متزايد وملحوظ، «ويبدو أن القيادة الحالية في الصين تدرك أنها لن تستطيع النكوص عن الإصلاح الاقتصادي، وأنه على الصين أن تبقى مفتوحة على الاقتصاد الدولي. وقد ثبط هذا الإدراك كل عزم يستهدف العودة إلى سياسة ماو الخارجية، مع محاولة إحياء بعض مظاهر الماوية على الصعيد الداخلي. وإلى جانب الصين، يرى فوكوياما أن الدول الأكبر في أمريكا اللاتينية (المكسيك، والبرازيل، والأرجنتين) قد انتقلت، خلال الجيل الماضي، من العالم التاريخي إلى عالم ما بعد التاريخ. ومع أنه من الجائز أن ينزلق أي منها إلى الوراء، فهي الآن وثيقة الارتباط بالديمقراطيات الصناعية الأخرى؛ بفضل الاعتماد المتبادل في المجال الاقتصادي. انظر: فرانسيس فوكوياما، «نهاية التاريخ وخاتم البشر»، ترجمة حسين أحمد أمين (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢م)، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

١٦. «نظرة مستقبلية إلى العلاقات الدولية: عولمة الديمقراطية وديمقراطية العولمة»، المشاهد السياسي، العدد ٣١٧، ٧ أبريل ٢٠٠٢م، ص ١٦، ١٧.

١٧. ومن أبرز علامات هذا الإعجاب، تداول المفاهيم والتقسيمات التي اعتمدها فوكوياما في نظريته وترويجها، مثل مفهومي «العالم التاريخي» Historical World، و«العالم ما بعد التاريخي» Post- Hisotrical World، وما يقابلهما أو يتولد عنهما. فنجد روبرت كاجان، الباحث والمفكر المحافظ المعروف – على سبيل المثال – يستدعي هذا التمييز – في ظل وجود مفارقة ملفتة وواضحة – في سياق مناقشته العلاقة بين أمريكا وأوربا، وأسباب التباعد بين شقي الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث يذهب إلى أن ثمة تنافرًا أو تضادًا بين طرفي الرابطة الأطلسية: فأوربا، على ما يرى، تزمع التخلي عن القوة، والانصراف عنها، إلى عالم «كانطي» تسعى إلى تحقيقه من خلال الدبلوماسية والديمقراطية والحوار، عالم يمثل جنة السلم والرخاء النسبي التي وعد بها «ما بعد التاريخ»، في حين لا تزال الولايات المتحدة «تعيش في التاريخ»، أسيرة لعالمه «الهوبزي» المتوتر حيث تسود الفوضى، وحالة أشبه بحرب دائمة الاحتمال بين كياناته ودوله!!

Robert Kagan, "Power and Weakness", Policy Review, no. 113 (June/July 2002); and of Paradise and Power: America and Europe in the New World Order (New York: Knopf,2003)

١٨. مايكل إيغناتييف، «أمريكا الإمبراطورية وأمريكا الجمهورية»، ترجمة خالد المكاري، أبواب، العدد ٣٣ (٢٠٠٢م)، ص ٣٨.

١٩. سريع القلم، «الإدارة الأمريكية الحالية: الأسس النظرية للسياسة الخارجية»، ص ٩٥.

٢٠. استراتيجية الأمن القومي الأمريكي (الصادرة في سبتمبر ٢٠٠٢م)، منشورة في: شؤون الأوسط، السنة ١٣، العدد ١١٠ (ربيع ٢٠٠٣م)، ص ٩٤.

٢١. المصدر نفسه، ص٩٧-٩٨.



٢٢. المصدر نفسه، ٩٨.

٢٣. المصدر نفسه، ص ١٠٠.

٢٤. لتحليلات معمقة ومناقشات أكثر تفصيلاً حول هذا الموضوع، انظر على سبيل المثال لا الحصر: حسام سويلم، «الضربات الوقائية في الاستراتيجية الأمنية الأمريكية الجديدة»، السياسة الدولية، السنة ٣٨، العدد ١٥٠ (أكتوبر ٢٠٠٢م)، ص٢٩٠، ٢٩٧؛ حسن الرشيدي، «الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في العالم»، البيان، السنة ١٧، العدد ١٧٩ (سبتمبر - أكتوبر ٢٠٠٢م)، ٥٦-٦٢؛ سعد محيو والياس حنا وغسان العزي، «إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي: ندوة العدد»، شؤون الأوسط، السنة ١٣، العدد ١١٠ (ربيع ٢٠٠٣م)، ص ٧-١٦؛ محمد سيد أحمد، «نظرية بوش الأمنية وتطبيقاتها في المنطقة»، شؤون عربية، العدد ١١٣، (ربيع ٢٠٠٣م)، ص ٦٨، ٧٨؛ عبدالله محمد عباس، «الدفاع الوقائي: الإستراتيجية الأمريكية الجديدة؟»، الموقف، العدد ٣٧ (يونيو ٢٠٠٣م)، ص ٢٩- ٤٥؛ نصير عاروري، «حروب جورج دبليو بوش «الوقائية» بين مركزية الخوف وعولمة إرهاب الدول»، المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد ٢٩٧ (نوفمبر ٢٠٠٣م)، ص ٨، ٢٥.

٢٥. خليفة، «أمريكا وبقية العالم: من البراغماتية .. إلى أيديولوجية التغيير»، ص ١٠، ١١.

٢٦. المصدر نفسه، ص ١١.

٢٧. فريد زكريا، «كيف يتم إنقاذ الوطن العربي»، نيوزويك - الطبعة العربية، العدد ٨١ (٢٥ ديسمبر ٢٠٠١م)، ص ٢٤.

٢٨. خطاب الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش أمام «الصندوق القومي للديمقراطية»، بواشنطن العاصمة (٦ نوفمبر ٢٠٠٣م).

٢٩. سعيد محيو، «خطاب بوش أمام «صندوق الديمقراطية»، الهدف: جغرافيا العراق لا تاريخ الحرية»، الوسط، العدد ٦١٦ (١٧ نوفمبر ٢٠٠٣م)، ص ٧.

٣٠. كلوفيس مقصود، «السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط»، المستقبل العربي، السنة ١٩، العدد ٢٠٧ (مايو ١٩٩٦م)، ص ٥٧، ٦٦.

٣١. زكريا، «كيف يتم إنقاذ الوطن العربي»، ص ٢٤.

٣٢. انظر: محيو، «خطاب بوش أمام «صندوق الديمقراطية»، الهدف: جغرافيا العراق لا تاريخ الحرية»، ص ٧، ٨ وذلك، في رأيه، يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة: الأول هو وجود لغم خطير في كل التوجهات الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، وهذا اللغم له اسم محدد: الانحياز لإسرائيل. فعبثًا تحاول الولايات المتحدة كسب قلوب العرب والمسلمين وعقولهم، ما دام بقيت القضية الفلسطينية بلا حل عادل. أما السبب الثاني فيتمثل في الحرب الأمريكية المحمومة ضد «الإرهاب»، التي يعتقد أنها ستدفع واشنطن دومًا - بحكم المصلحة - إلى أحضان التحالف مع الدول الاستبدادية. في حين ينصرف السبب الثالث، والأهم، إلى أن انتصار النزعة الإمبراطورية على النزعة الجمهورية في الولايات المتحدة - وهو ما يحدث حاليًا بالفعل - بحسب كثير من المراقبين - يعلي - بشكل أو آخر - من شأن المصالح والقوة، على أي شأن ديمقراطي، أو مبدئي آخر في سياسات واشنطن.

٣٣. زكريا، «كيف يتم إنقاذ الوطن العربي»، ص ٢٥.

٣٤. زكريا، «سياسة الغضب: لماذا يكرهوننا؟»، ص ٢٠.

٣٥. انظر خطابه أمام «الصندوق القومي للديمقراطية»، بواشنطن العاصمة (٦ نوفمبر ٢٠٠٣م).

٣٦. حسن الحاج علي أحمد، «تغيير الثقافة باستخدام السياسة: الولايات المتحدة وتجربة العراق»، المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد ٢٩٤ (أغسطس ٢٠٠٣م)، ص ٦٩.

٣٧. خطاب بوش أمام «الصندوق القومي للديمقراطية» .. وقارن بـ: كوندوليزا رايس، «تحويل ملامح الشرق الأوسط»، الشرق الأوسط (٩ أغسطس ٢٠٠٣م)

٣٨. ماجد كيالي، «التحول في الإستراتيجية السياسية الأمريكية من احتلال العراق إلى دعوات التغيير في المنطقة»، شؤون عربية، العدد ١١٤ (صيف ٢٠٠٣م)، ص ٢٧.

٣٩. المصدر نفسه، ص ٣٧.

٤٠. كولن باول (وزير الخارجية الأمريكي)، خطاب حول «مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط: بناء الأمل للسنين القادمة»، ألقي في « مؤسسة التراث» بواشنطن العاصمة (١٢ديسمبر ٢٠٠٢م).

٤١. سعد محيو، «شرق أوسط كبير أم مناورة كبيرة؟»، الوسط، العدد ٦٣٠ (٢٣ فبراير ٢٠٠٤م)، ص ٨.

٤٢. للاطلاع على بعض تفاصيل هذا الخلاف، الذي يمتد إلى الإستراتيجيات، والوسائل، والسياسات إضافة إلى القيم والمعتقدات، انظر على سبيل المثال:

Kagan, of Paradise and Power: America and Europe in the New World Order

وكذلك: كريستوفر ديكي، «الانقسام العظيم»، نيوزويك - الطبعة العربية، العدد ١٤١ (٢٥ فبراير ٢٠٠٣م)؛ فيليب هـ. جوردن، «نحو تجسير هوة الخلاف الأطلسي»، وصامويل إف ويلز، «اعتلال عبر الأطلسي»، في الثقافة العالمية، العدد ١٢٢ (يناير/ فبراير ٢٠٠٤م).

٤٣. نبيل خليفة، «النظام الدولي الإمبراطوري، يضع الأمم المتحدة على المحك»، الوسط العدد ٦٠٥ (١ سبتمبر ٢٠٠٣م)، ص٦.

٤٤. هشام يونس، «الأيديوستراتيجيا الأمريكية»، شؤون الأوسط، السنة ١٤، العدد ١١٤ (ربيع ٢٠٠٤م) ص ١٢١.



استطلاع

«تيتي كاكا»
بحيرة في السماء

سمير أحمد عطا

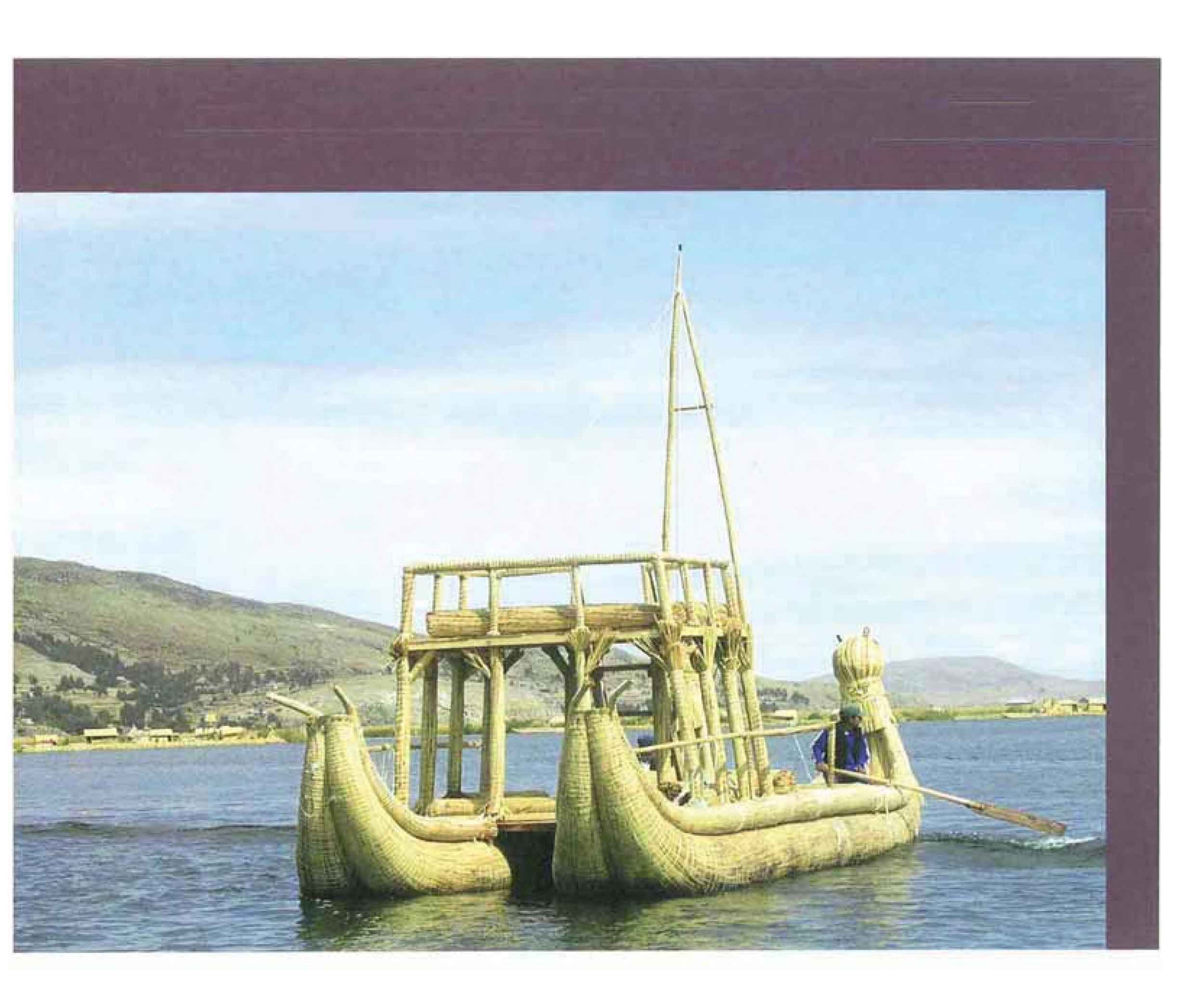
القاهرة - مصر

"الألتي بلانو" Altiplano: كلمة إسبانية تعني "الهضبة المرتفعة". وهي تمتد في أمريكا الجنوبية ابتداء من جمهورية "البيرو Peru" شمال بحيرة "تيتي كاكا Titi Caca" حتى حدود جمهورية "الأرجنتين Argentine" جنوبًا، مارة بجمهورية "بوليفيا Bolivia".

وتختلف الهضبة في ارتفاعها من مكان إلى آخر، بالنسبة إلى مستوى سطح البحر. وأكثر أجزاء هذه الهضبة إثارة، هو الجزء الواقع في بوليفيا: جنوب البيرو، حيث تختطها سلسلة جبال كورديليرا - وهي جزء من جبال الإنديز. ويبلغ متوسط ارتفاع هذه الجبال ٥٥٠٠ متر، ١٦٥٠٠ قدم، فوق سطح البحر، وتبلغ إحدى قممها ٧٥٤٢ مترًا، ١٩٦٢٦ قدمًا.

هناك يختلط الأفق بقمم الجبال، وكأنها تذوب فيه، ويشكل السراب خليطًا من البحيرات التخيلية؛ التي تظهر بين الحين والآخر؛ كأنها بحيرات عالقة في السماء وحين تنظر إليها، وتطالعك مساحات بيضاء كثيرة، لا تستطيع أن تفرّق بين كونها سحابات عابرة، أم قممًا ثلجية راسية.

وأكثر ما يثير المرء في ذلك كله تلك البحيرة: التي ترتفع عن سطح البحر بنحو ٤٨٢٠ مترًا، ١٢٠٠٠ قدم، وبذلك تكون أعلى مسطح مائي ملاحي في العالم، ومساحتها نحو ٩٠٠٠كم٢، وهذه المساحة قد تتسع مع وجود الفيضان؛ فتزداد كمية المياه فيها، كما حدث عام ١٩٨٥و١٩٨٦م، حين ارتفع مستوى المياه



عدة أمتار، فأضاف إلى مساحتها ١٠٠٠ كم٢.

وتقتسم السيادة على البحيرة كل من: «بوليفيا» جنوبًا، و«البيرو» شمالاً، وفي المنتصف خط حدود وهمي، بينما يميز خط الحدود الأرضي بين الدولتين حائط حجري مقام على جانب أحد الطرق البرية.. وكثيرًا ما نرى قطعان حيوان «اللاما llama» واقفة تستظل بظله، وتتحرك هي والهنود بحرية تامة..

وتبدو البحيرة بمياهها الزرقاء كقطعة زمرد وسط أراضي هضبة الآلتي بلانو، وترتبط الدولتان بجسر متلألئ، وإن كان جسرًا من الماء.. وعبر البحيرة، وعلى امتداد البصر تمتد قمم الجبال الثلجية؛ التي يرتفع بعضها إلى ٢٠ الف قدم.. بينما تختط أجزاء من شواطئها قنوات كثيرة ضحلة المياه تمتد لمئات الكيلومترات، يمكن أن يتوه المرء فيها؛ قبل ان يتمكن من الخروج إلى مياه البحيرة المنبسطة.

نبات البردي وقوارب البالساس

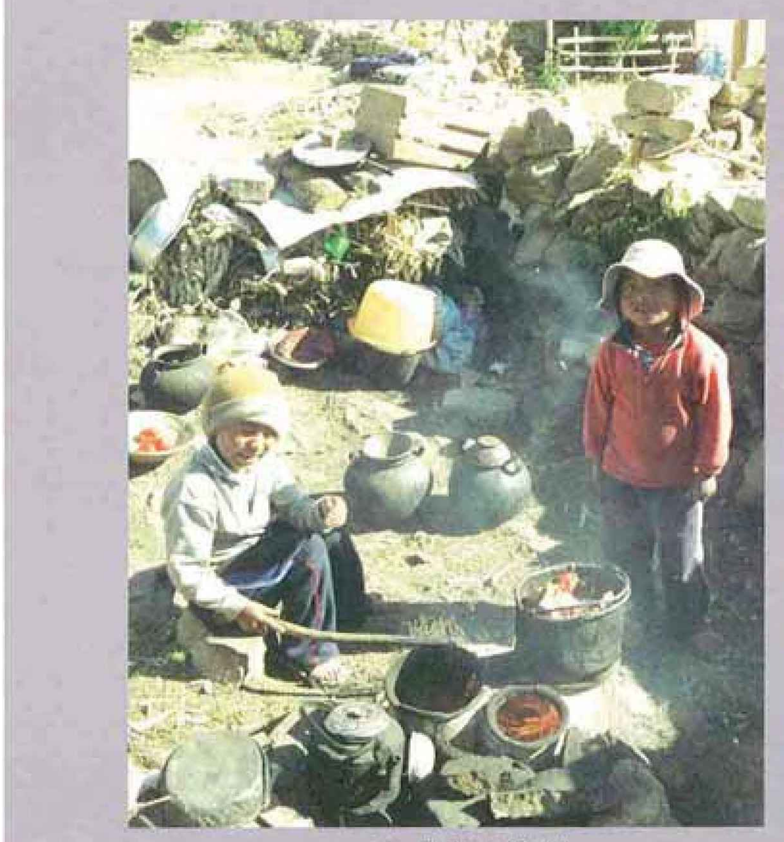
في هذه المياه ينمو - بكميات هائلة - نبات

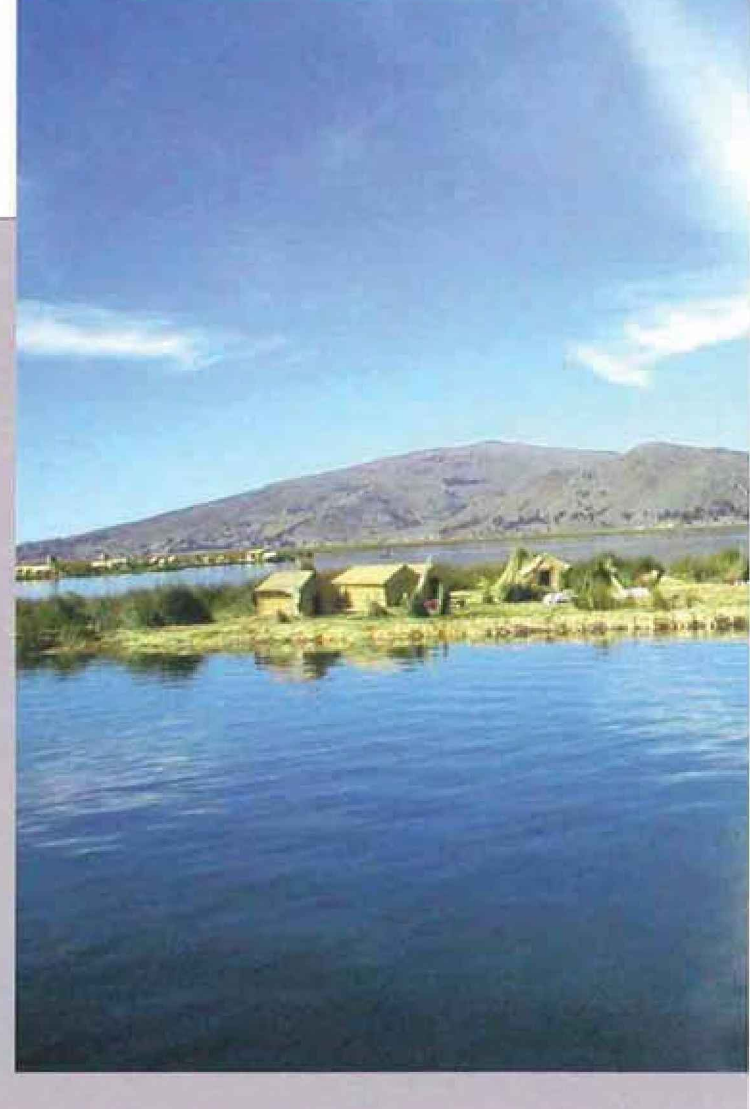




السائحون تستهويهم المنتجات اليدوية

أعشاب البردي، ويسمونه «التوتورا Totora» الذي ترتكز عليه حياة الهنود حول البحيرة وداخلها، إذ يأكلون أجزاء منه، ويبنون منه منازلهم. وقواربهم.. تلك القوارب ذات الشكل المميز تسمى «بالساس Balsas»؛ وقد استعان بمثلها الرحالة النرويجي «ثورهايردال Thor Heyerdahl» في أوائل السبعينيات من القرن الماضي في رحلته الشهيرة «رع» ليثبت نظريته؛ التي تقول: أن قدماء المصريين قد سبق لهم استخدام مثل هذه القوارب للوصول إلى أمريكا في الزمن القديم، بناء على ما رآه في جداريات الآثار المصرية لقوارب مماثلة، تصنع من نبات البردي؛ الذي اختفى حاليًا من مصر، ولكنه مازال ينمو في بحيرة «تيتي كاكا» وحولها، وفي بلاد أخرى مثل «تشاد» في إفريقية، لذلك استعان «ثورهايردال» ببعض بناة القوارب من «بوليفيا» و«تشاد» لصنع قاربيه «رع ١» في الجيزة بمصر، و«رع ٢» في المغرب. وقد تفنن الهنود في صنع هذه القوارب منذ عهد ما قبل «كولومبوس». وصناعتها أمر بسيط حيث تجمع الأعشاب الخضراء وتترك تجف في الشمس، وحالما يصفى ما بها من ماء، أو رطوبة، يتم جمعها في أربع حزم ضخمة، ويربط بعضها ببعض بحبال متينة من الحشائش. وغالبا ما يركّب فيها قلع من الأعشاب نفسها. ومتوسط عمر هذه القوارب ستة أشهر، حيث تمتص حزم الأعشاب الماء في هذه المدة فتعرضها



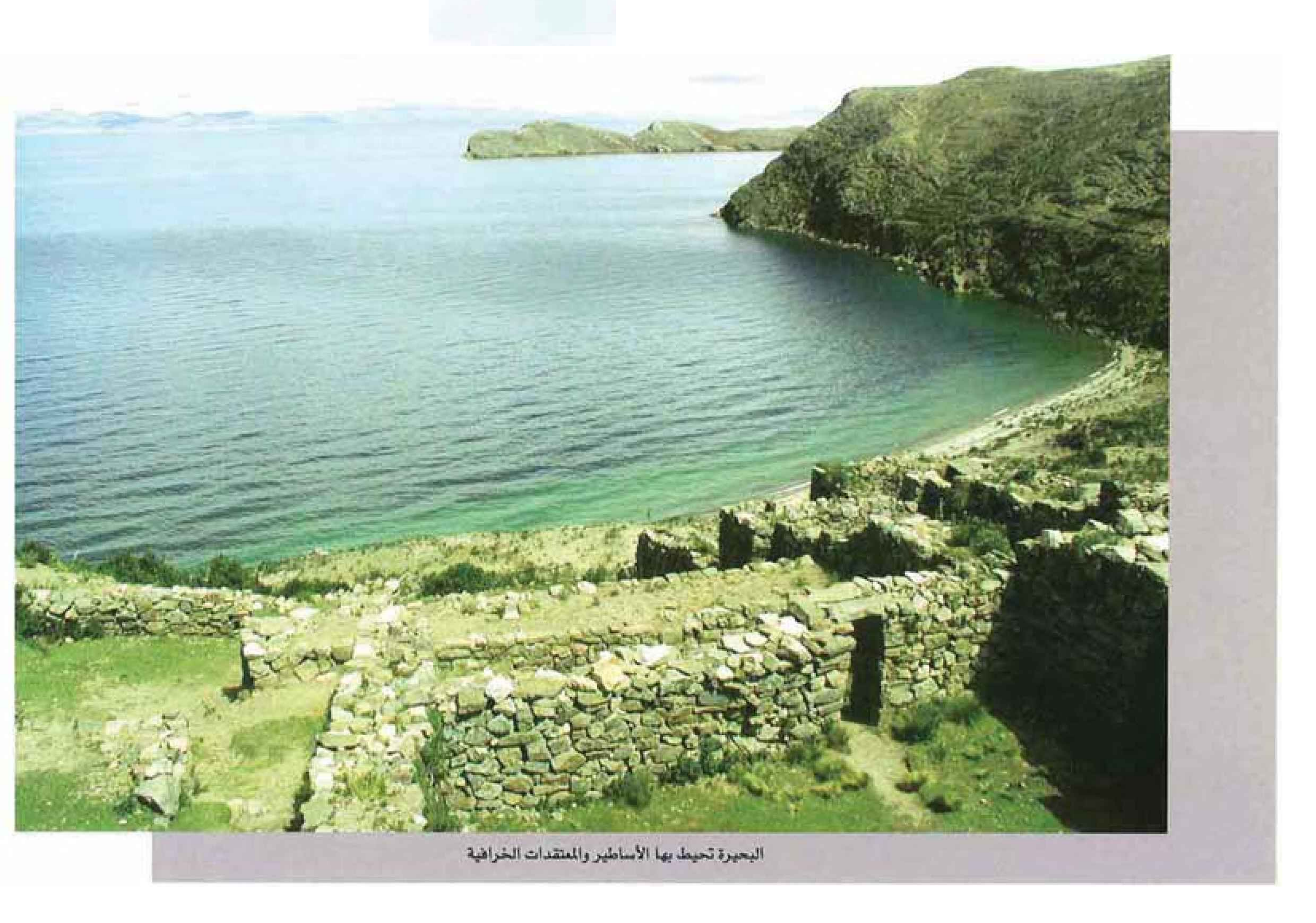


حياة السكان ترتبط بالبحيرة

للغرق إذا استخدمت فترة أطول من ذلك.. لذلك لم تنجح رحلة «رع ١». وحينما أعاد «هايردال» إنشاء قارب جديد «رع ٢» تلافى هذا العيب في بناء قاربه الجديد. وهذه القوارب وإن كانت في الماضي من لوازم الحياة في البحيرة، فهي لم تعد تستخدم الآن إلا في عمليات الصيد. أما شؤون الملاحة فتعتمد على قوارب وسفن وحوامات حديثة. ولما كانت «بوليفيا» بلادًا مغلقة - أي لا ساحل لها على المحيط - فقد كان يتم نقل السفن - مجزأة - بطريق البر ويعاد تركيبها على شواطئ البحيرة لتبحر بين ميناء «جواكي-Guaqui» على الساحل البوليفي - وموانئ «البيرو». غير أنه في فيضان عام ١٩٨٥ و١٩٨٦م طغت مياه البحيرة على ميناء «جواكي» فاختفى تحت الماء، فأنشئت خطوط ملاحية جديدة تربط بين «سان بدرو» في بوليفيا و«سان باولو» وفي البيرو عبر مضيق في البحيرة يسمى «تكينا». يرتبط هذا الخط الملاحي بخط حديدي يمتد من «لاباز La Paz» عاصمة بوليفيا إلى «كوبا كابانا Copacabana» أشهر الموانئ البوليفية على البحيرة، وميناء «بونو Puno» في البيرو.

البحيرة وأساطير الخلق

كان سكان الألتي بلانو يعتقدون ان الشمس ومعها إلههم المسمى «فيرا كوشا Viracosha» ذو اللحية البيضاء، قد نشأا وبرزا معًا من الأعماق الغامضة



البحيرة تحيط بها الأساطير والمعتقدات الخرافية

للبحيرة. وفي معتقدات الإنكا Inca أن البحيرة هي المهد الأول لهم جميعًا، او جنة عدن التي ظهر فيها آدم وحواء بالإنكا.

وعندما تنظر إلى البحيرة يمكن أن تدرك من النظرة الأولى - وانت ترى المياه تلتفعها السحب وأشعة الشمس كأنها خليط منصهر بين السماء والأرض - تدرك لماذا ربط سكان الهضبة بين البحيرة ومعتقداتهم الخرافية.

وعندما جاء الإسبان إلى القارة، أطلقوا على البحيرة اسم «بحيرة الشمس» اشتقاقًا من اسم أكبر جزيرة من جزر البحيرة، وهي: «جزيرة الشمس Isla del Sol» وأول من دون ملاحظات عنها ضابط يدعى «جارسيلا سو ديلا فيجا» ومما جاء في ملاحظاته: أن الإنكا كانوا يعتقدون ان الشمس - واسمها عندهم إنتي Inti، وهي مذكر في لغتهم - وضعت طفلين فوق سطح البحيرة، وهما ولد يسمى «مانكو كاباك Manco Capac» وابنة، وهي «ماما اوكلو .. Mama Ocllo».

وحين كبر الولد والابنة أرسلتهما الشمس ليعلّما الحكمة البرابرة المنتشرين فوق الأرض. وفي أساطيرهم أن أشعه الشمس شوهدت بعد «الطوفان» الذي غمر الكون، وهي تسطع فوق البحيرة قبل اي مكان من العالم.

اما المستكشف «بدرو دي جيزاليون» فتشير مذكراته عام ١٥٥٣م إلى أن الهنود كانوا يعتقدون أن العالم ظل

> من المرجح أن "تياهوانكو" كانت على درجة أرقى من "هواري"، وتفضلها من الناحيتين المدنية والدينية. بينما كانت "هواري" تتميز بوجود مراكز عسكرية متقدمة تحمي كلاً من الحضارتين.. ثم بدأت الحضارتان في التدهور نحو عام ٩٠٠ م لأسباب غير معروفة

أمدًا في ظلام دامس، حتى برزت الشمس من جزيرة «تيتي كاكا - جزيرة الشمس»، وأطلق اسمها على البحيرة كلها. ففي ظلام الليل رفرف طائر بجناحيه، وهبت ريح حادة ضربت صفحة المياه في البحيرة.. وفجأة برق نور من جزيرة «تيتي كاكا»، وانتشرت أشعة فوق المياه، ثم امتدت إلى الشواطئ وما وراءها؛ لتغطي كل الأرض؛ ذلك لأن «إنتي» Inti إله الشمس قد برز من الأعماق.. ومن يومها أصبحت الجزيرة مكانًا مقدسًا، وابتنوا بها معبدًا لعبادة الشمس.

سكان البحيرة

كغيرها من مناطق الحضارات القديمة في العالم نجد الاختلاط كاملاً بين الأسطورة والتاريخ. وكانت حضارة «تياهوا ناكو»، التي نشأت على ضفاف «تيتي كاكا»، أهم مظاهر هذا التاريخ أعقبتها حضارة «الإنكا» التي شملت رقعة كبيرة من البلاد، امتدت من الإكوادور إلى البيرو، ثم بوليفيا، وشمال شيلي والأرجنتين. وهي الحضارة التي قضى عليها الإسبان بعد غزوهم أمريكا الجنوبية. ويقسم الدارسون فترات الحضارة التي شهدتها هذه المنطقة - ولا سيما تلك التي قامت حول شاطئ البحيرة - إلى ثلاثة مستويات Horizons .. قديم، ومتوسط، وأخير..

المستوى الأول: الشافينيز .. Chavins

كان الوصول الأول إلى جبال الأنديز على يد أسلاف أناس عبروا مضيق «بهرنج» من سيبريا في آسيا، إلى أقصى الشمال في أمريكا الشمالية.. وكانوا صيادين ورحالين يتنقلون من مكان إلى آخر حتى عام ١٤٠٠ ق.م.. حينما بدؤوا بإقامة أول مستوطنات مستقرة لهم على شواطئ البحيرة - بعد أن وصلوا إلى جبال الأنديز في أمريكا الجنوبية - إلى جانب الصيد والرعي والزراعة البسيطة، واستمرت حضارتهم الأولى هذه حتى ٤٠٠ ق.م.. وهي فترة ظهرت فيها أيضًا الإرهاصات الهندسية الأولى.. ومن بقايا هذا العصر حطام قرية «شافين دى هوانتار Chavin de Huantar» على منحدرات الأنديز الشرقية في البيرو.

المستوى الثاني: تياهوا ناكو

في هذه الفترة جاءت موجة من الهنود يتكلمون بلغة اسمها «الأيمارا»، وبعد ذلك أطلق عليهم اسم هنود الأيمارا.. جاؤوا للاستقرار على شواطئ البحيرة، حيث وجدوا شعبًا يسمى «الأوروس Urus» يعيش معظمهم في أكواخ من التوتور على الشاطئ، وفي المياه الضحلة، ويستخدمون قوارب التوتورا في

> اليوم يتكون سكان الآلتي بلانو من طبقتين: الهنود الخلص من الآيمارا والأوروس والكيشوا؛ ثم المستيزوس Mestizos، وهم الذين اختلطت دماؤهم بدماء أوروبية. وكثيرًا ما يتعالى المستيزوس على الهنود الآخرين فيسمونهم - احتقارًا - "شولاس"



أطفال يروجون لمنتجات تقليدية

تنقلاتهم بين جزر البحيرة. وشكل الأيمارا بداية المستوى الثاني؛ الذي عرف باسم حضارة «تياهواناكو Tahuanaco» التي امتدت من ٤٠٠ ق. م إلى ٩٠٠ م.. وعرفت أولاً باسم «تياهواناكو - هواري» وكان مركزها على شواطئ «تيتي كاكا»، وفيها تطورت الفنون الهندسية خصوصًا بناء المدن، وما تحوي من أعمدة، وقوائم فلكية، ونقوش، وإشارات ما زالت غامضة حتى الآن، ولم تحل بعد.. في هذا العصر توسعت المعارف الزراعية ولا سيما زراعة الذرة؛ التي كانوا يستخدمونها - إلى جانب الغذاء - لأغراض دينية.. فضلاً عما أقاموه من طرق للري، والمصاطب الزراعية، وبناء القوارب الخشبية؛ لاستخدامها في البحيرة، حيث ينقلون عليها الأعشاب، والأخشاب، والأحجار، والصخور، لإقامة المباني والمعابد.. ومن

هذه الصخور ما تزن الواحدة ٤٥ طنًا، وهو ما يصعب على الذهن تصور كيف كانوا ينقلونها، ومن أين يأتون بها.. وإذا كانت حضارة تياهوانكو قد ازدهرت على ضفاف البحيرة وشواطها فإن قرينتها حضارة «هواري» المعاصرة قد قامت في المناطق الواقعة في وادي «أياكو تشو Ayacaucho داخل حدود البيرو حاليًا..

ومع أن العلاقة بين هاتين الحضارتين ما زالت غير واضحة للدارسين - وإن كان ما خلفتاه من آثار توحي بأنه كان هناك تعاون واتصال بينهما على وجه ما - فإن من المرجح أن «تياهوانكو» كانت على درجة أرقى من «هواري»، وتفضلها من الناحيتين المدنية والدينية. بينما كانت «هواري» تتميز بوجود مراكز عسكرية متقدمة تحمي كلاً من الحضارتين.. ثم بدات الحضارتان في التدهور نحو عام ٩٠٠ م لأسباب غير معروفة، منها أنه حدث انخفاض في مستوى المياه ببحيرة تيتي كاكا؛ مما نشأ عنه «ابتعاد» مواقع الاستيطان عن شواطئ البحيرة وجزرها، وهذا الأمر أثر في حياتهم المعيشية واليومية، ومنها أنها تعرضت لهجمات جيرانها من الغرب من قبائل kollas المحاربة، وتنطق أحيانا شولاس Chollas.


سمك التروت

المستوى الثالث والأخير: الإنكا Inka

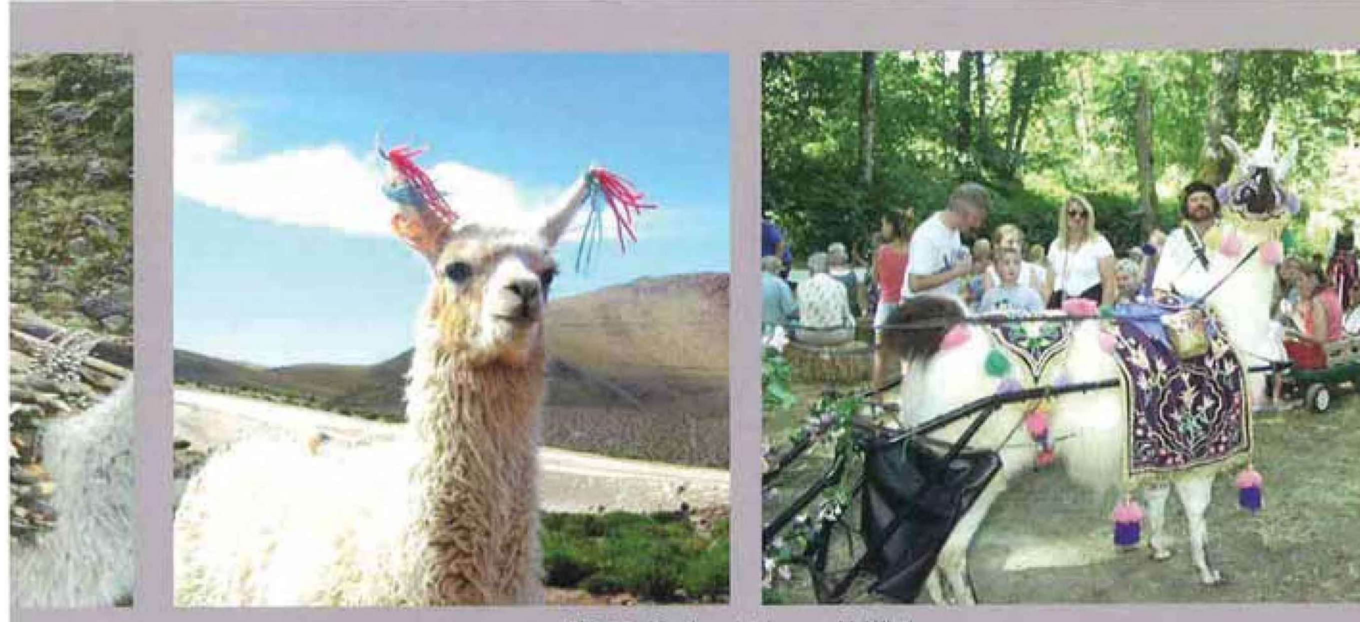
ومع تدهور حضارة تياهواناكو وهواري، فإنها استمرت في ظل هذا التدهور حتى عام ١٢٠٠ م حين تعرضوا لهجمات من هنود يتكلمون لغة اسمها الكويتشا Quecha وهم الذين عرفوا بعد ذلك باسم هنود الإنكا.. إذ ظلت المناوشات بينهم - فضلاً عن محاولات الإنكا استقطاب الأيمارا والشولاس - حتى منتصف القرن الـ ١٥ حيث تمكن إمبراطور الإنكا توباك يوا بانجي Tupac yupangi من فرض معتقداتهم وديانتهم وإلههم «فيرا كوتشا»، واصبحت إمبراطورية الإنكا «المركز الأصلي» للعالم الجديد مع تموجها بجنسيات متعددة، وشبهّ إمبراطورهم «Tupa Inka توبا إنكا» بالإسكندر الأكبر، وجنكيز خان.

واليوم يتكون سكان الألتي بلانو من طبقتين: الهنود الخلصّ من الأيمارا والأوروس والكشوا؛ ثم المستيزوس Mestizos، وهم الذين اختلطت دماؤهم بدماء أوروبية، وكثيرًا ما يتعالى المستيزوس على الهنود الآخرين فيسمونهم - احتقارًا - «شولاس».

ومن الوهلة الأولى لزيارة بوليفيا، لا تخطئ العين هؤلاء الشولاس إذ إن لهم ملابس مميزة هي جزء من تقاليدهم الحالية.. وقد يبدو - لأول وهلة - أن هذا



زي توارثه الشولاس عن أسلافهم.. لكن الطريف أن هذا الزي قد فرض عليهم من المحتل الإسباني ليميزهم من غيرهم من الأهالي، كما فرض عليهم تسريحة شعر مميزة وهي فرق في منتصف الرأس، ومن الجانبين تتدلى ضفيرتان تحت قبعة مستديرة كالقبة، ولها حواف كاملة الاستدارة. ومن النادر أن «Pollera» بوليرا» وهذا الزي قد تبدو فيه المرأة بدينة، لكن ذلك تصور غير حقيقي. ويتدلى على الظهر ما يشبه العباءة الصغيرة وهي تربط بالرقبة برباط اسمه «أهوايو «Ahuayo» له خطوط أفقية ملونة. وهذه العباءة هي في الواقع نصف كيس «جوال» تحمل المرأة فيه - حسب ما تريد - أوراق نبات الكوكا والخضراوات والأطفال.



حيوان اللاما له وجود بارز في حياة سكان تيتي كاكا

ترى امرأة من الشولاس من دون هذا الزي، أو هذا المظهر.. والملابس تتكون عادة من قميص عليه «جاكتة» من القطن وتحتها «جونلة» واسعة لها طيات رأسية كثيرة، بلون أخضر أدكن، مع طيات سوداء أو بنية.. وتربط ضفيرتا الشعر بمنديل صوفي أسود يسمونه «بوكاتشا Pocatcha». أما الجونلة فاسمها

أطلانطس بوليفية

ومنذ أن وصل الإسبان إلى المنطقة، وغزا «فرانسيسكو بيزارو» إمبراطورية الإنكا عام ١٥٣٢م، انتشرت أقاويل وأساطير حول وجود كميات كبيرة من الذهب في بحيرة تيتي كاكا، وأن الإنكا - وهم يهربون خوفًا من الإسبان - دفنوا هذا الذهب في أعماق

البحيرة ليحرموا الإسبان من الاستيلاء عليه.. واتسعت رقعة الأساطير التي تدور حول أعماق البحيرة فقيل: أنها تضم مدنًا غارقة. مع أن أحدًا لم يعثر على مثل هذه المدن، ولم يتعد الأمر بعض المستكشفات في جزيرة «كوا» Koa شمال غرب جزيرة الشمس؛ وهي بعض الصناديق الحجرية وتمثال فضي لحيوان اللاما، وبعض



فيضان عام ١٩٨٥ و١٩٨٦م طفت مياه البحيرة على ميناء "جواكي" فاختفى تحت الماء. فأنشئت خطوط ملاحية جديدة تربط بين "سان بدرو" في بوليفيا و"سان باولو" وفي ألبيرو عبر مضيق في البحيرة يسمى "تكينا"

الصدفيات والمحارق. وأخيرًا قام الباحث والرحالة الفرنسي جاك - إيفيز كوستو بمحاولة لاستكشاف قاع البحيرة عام ١٩٦٨م، فلم ير غير غابات كثيفة تحت الماء؛ لأعشاب التوتورا، وآلاف من الضفادع التي لا يقربها الأيمارا؛ لاعتقادهم أنها من المحرمات. غير أنه في عام ١٩٩٢م تم اكتشاف عدد آخر من الصناديق تحتوي على بعض الأعمال اليدوية - بعضها مصنوع من الذهب - تحت مياه المنطقة المعروفة باسم ماركا باميا -Marca pam pa في البحيرة، وهي منطقة سبق أن أطلق عليها الأهالي اسم المدينة الغارقة La cuidad Subergida؛ وهو اسم توارثه الأجيال. وفي أغسطس عام ٢٠٠٠ م تم العثور على مكتشفات جديدة تمثلت في وجود معبد حجري، وبعض الطرق المتعرجة، وحائط دائري تحت المياه.. وما زالت الأبحاث جارية حول هذه المستكشفات.

جزر تيتي كاكا

تيتي كاكا: تعني في الأصل صخرة الأسد، وهو اسم كان يطلق على جزيرة الشمس Isla del Sol؛ أكبر جزر البحيرة. ومن ثم عرفت البحيرة أولاً باسم بحيرة الشمس، ثم بحيرة تيتي كاكا. وتضم البحيرة ٤١ جزيرة تحمل أسماء مختلفة. وجزء البحيرة الجنوبي - الواقع في بوليفيا، وهو الجزء الأصغر ولكنه الأهم - يحمل اسمًا فرعيًا، هو بحيرة.. «هواينا ماركا».. ويقع في هذا الجزء أهم جزر البحيرة، وهي: جزيرة الشمس، التي يعتقد الهنود أن كل معبوداتهم قد ولدوا عليها.. ويعيش عليها عدة آلاف من البشر.

وأكبر تجمع سكاني على الجزيرة؛ يوجد في قرية «شايا باميا»، وتعرف اختصارًا باسم «شايا»، ولا توجد مواصلات على الجزيرة؛ وإنما يطاف حولها بالقوارب، وداخلها بالأقدام. ومن أهم معالمها وجود أطلال لما يعرف

باسم قصر الإنكا، كما يعرف أيضاً باسم اللابرنت؛ أي: قصر التيه El Laberinto، ويسميه الأيمارا Incanotapa، وكان قد بناه أحد أباطرة الإنكا.. وإلى جانب هذه الأطلال يوجد نبع ماء تخرج منه ثلاث قنوات اصطناعية، وكان الإسبان الأوائل يعتقدون أن هذا النبع، هو نبع الشباب، والذي يشرب منه تطول فترة شبابه.. وبالنسبة إلى الإنكا فقد كانت هذه المجاري الثلاثة تشير إلى شعارهم القومي: أماسوا Ama sua، وأما لولا Ama lulla، وأما خلا .. Ama khella ومعناها: لا تسرق، لا تكذب، لا تكن كسولاً.. ومازالت مياه النبع تجري حتى اليوم، حيث اعتاد السكان في هذه الجزيرة والجزر القريبة ملء جرارهم منها، وحملها إلى مساكنهم.. وإلى جوار القصر والنبع مصطبة تعرف باسم مائدة الاحتفالات Mesa Ceremonica، وربما كانت مكانًا لتقديم القرابين البشرية، والحيوانية.

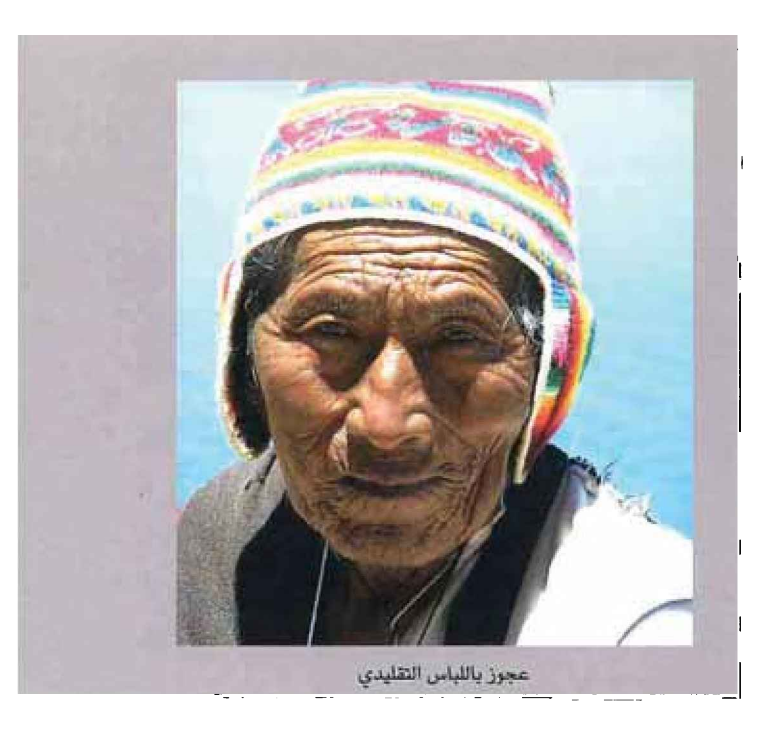
وهناك جزيرة القمر Isla de la luna، ويوجد بها بعض آثار الإنكا.. وكانت هذه الجزيرة تعرف من قبل باسم كواتي Koati، وجزيرة كالاهوتا kalahuta وتعني بلغة الأيمارا البيوت الحجرية، وكانت تستخدم مقبرة للموتى من الإنكا، وتشاهد بقايا القبور في كل مكان بها؛ لذلك يتركز سكان هذه الجزيرة في قرية بها تسمى «كويجويا Cuyiguia»؛ وذلك لخشيتهم من (ساكني القبور) الذين يتصورون أنهم مازالوا أحياء يعيشون فوق الجزيرة..

أما جزيرة «باريتي pariti» فسكانها تجار؛ يتاجرون في السمك، والسلع الصوفية. كما تغص شواطئها بأعشاب التوتورا.. وجزيرة سوركي Suriki تشتهر بصناعة القوارب من التوتورا..

كما تشتهر جزر البحيرة عامة باستزراع سمك التروت Trout لصلاحية مياه البحيرة لإنتاجه، ويعدُّ هذا النوع من أجود أنواع سمك التروت في العالم، ونصف البحيرة الآخر يقع في البيرو، حيث مازال يعيش على جزرها بقايا السكان القدماء من الأوروس. وأهم الموانئ البيروية عليها، هو ميناء بونو puno، الذي أنشئ عام ١٦٨٦م.

حيوان اللاما

وحول البحيرة، وعلى قمم الهضبة بارتفاع ١٧٠٠٠



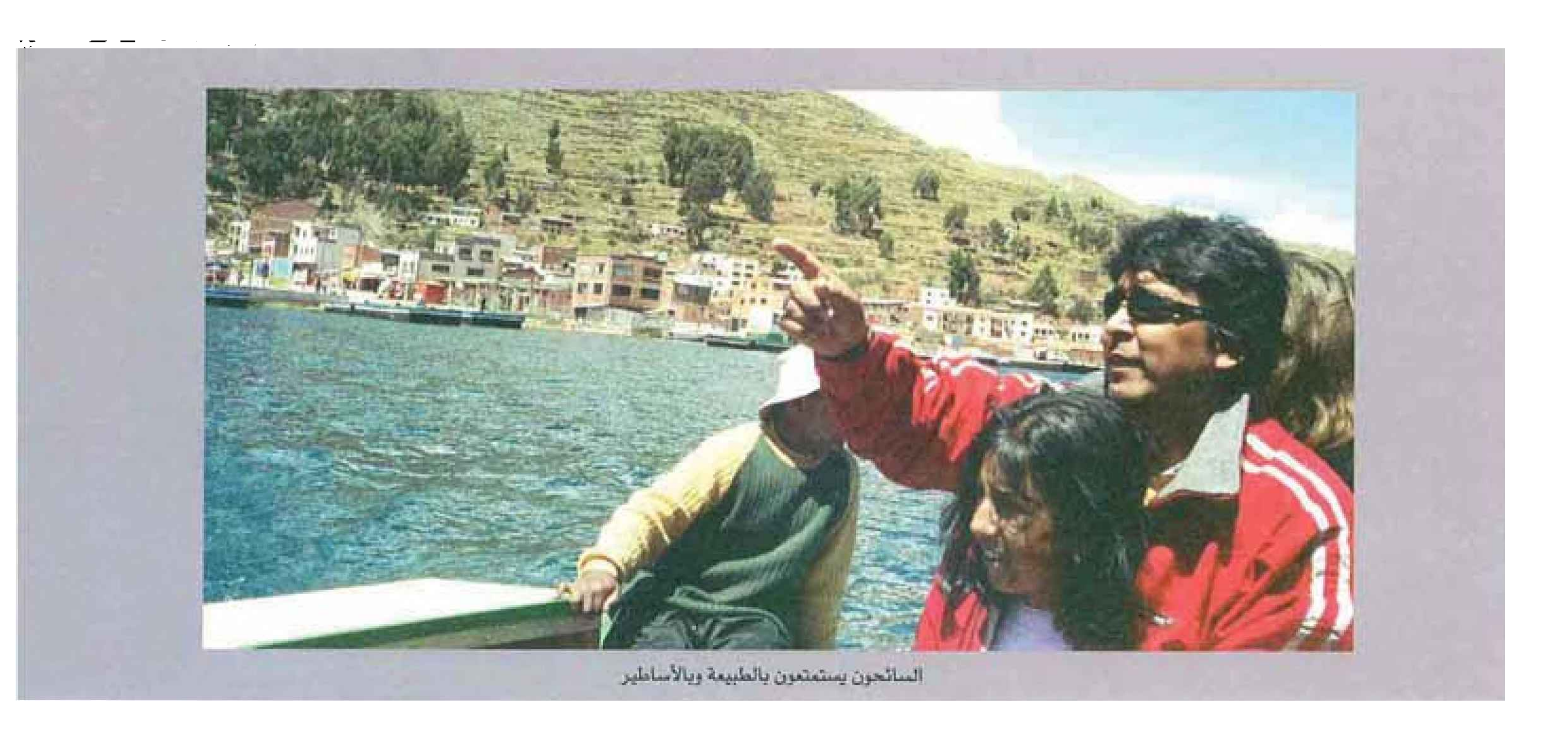
عجوز باللباس التقليدي

تيتي كاكا: تعني في الأصل صخرة الأسد، وهو اسم كان يطلق على جزيرة الشمس Isla del Sol؛ أكبر جزر البحيرة. ومن ثم عرفت البحيرة أولاً باسم بحيرة الشمس، ثم بحيرة تيتي كاكا

(سبعة عشر ألف قدم) يعيش الرعاة الهنود: الذين ترتبط حياتهم بحيوان اللاما llama: وهو حيوان عثر على بعض حفريات له منذ ٥٢ مليون سنة، وكان شكله أقرب إلى جمل صغير. ظل يتجول في أمريكا شمالاً وجنوبًا حتى عبر إلى آسيا وإفريقية. ومنه نشأ الجمل الحالي ذو السنام الواحد، وذو السنامين حسب بعض الدراسات.

يرفض أن يمتطيه إنسان.

وقد بلغ اعتماد الهنود على حيوان اللاما حدًا أصبح معه - وبخاصة في عهد الإنكا - عماد القوة العسكرية الهندية، إذ لم تكن «العجلة» معروفة لديهم لنقل معداتهم وأسلحتهم. وهناك أربعة فصائل من اللاما، هي: الياما، والباكا، وجوانا كو، وفيسونيا.



السائحون يستمتعون بالطبيعة وبالأساطير

و اللاما، وينطقونه ياما، يستخدم في حمل الأثقال من ٧٥ إلى ١٠٠ رطل، لكنك إذا حملته فوق طاقته فإنه يرقد على الأرض ويأبى التحرك، أو يلقي حمله من فوق ظهره في احتجاج ظاهر، ثم يبصق من فمه سائلاً أبيض كالرُّغاوى (رغوة) يصيب كل من يقف أمامه أو بالقرب منه. ومن طبائع اللاما أيضًا أنه

ويتميز نوع الألباكا بكبر الراس نسبيًا، وغلظ الرقبة وقصرها، وقرون طويلة. أما الفيسونيا الأقرب في الشبه إلى الغزلان: فيتميز بأن صوفه من أجود أصناف الصوف في العالم؛ لذلك كان الإنكا يحرمون صيده. وكان من عاداتهم أن يقوم سنويًا بين ٢٠ ألفًا إلى ٣٠ ألف ضارب للطبول باكتساح المناطق الرعوية،

التي تتكاثر فيها الحيوانات البرية، ويسيرون في صفوف طويلة متراصة، وهم يضربون طبولهم. فتسارع الثعالب، والذئاب، والضباع، والدببة إلى الهروب؛ بينما تتقارب صفوف الضاربين في دوائر، شيئًا فشيئًا. وهنا تبدأ عمليات صيد جماعية تقتل فيها هذه الحيوانات، في حين يطلقون حيوان الفيسونيا من دون المساس به حتى لا ينقرض..

نبات الكوكا

في هذه الأجواء المرتفعة يمضغ الأهالي أوراق الكوكا، ويسمونها «بيكتشو picchu»، كما يمضغ أهل اليمن القات معتقدين أن ذلك يمدهم بطاقة أكبر للعمل، ويقلل الإحساس ببروده الجو، أو الجوع، أو النعاس..

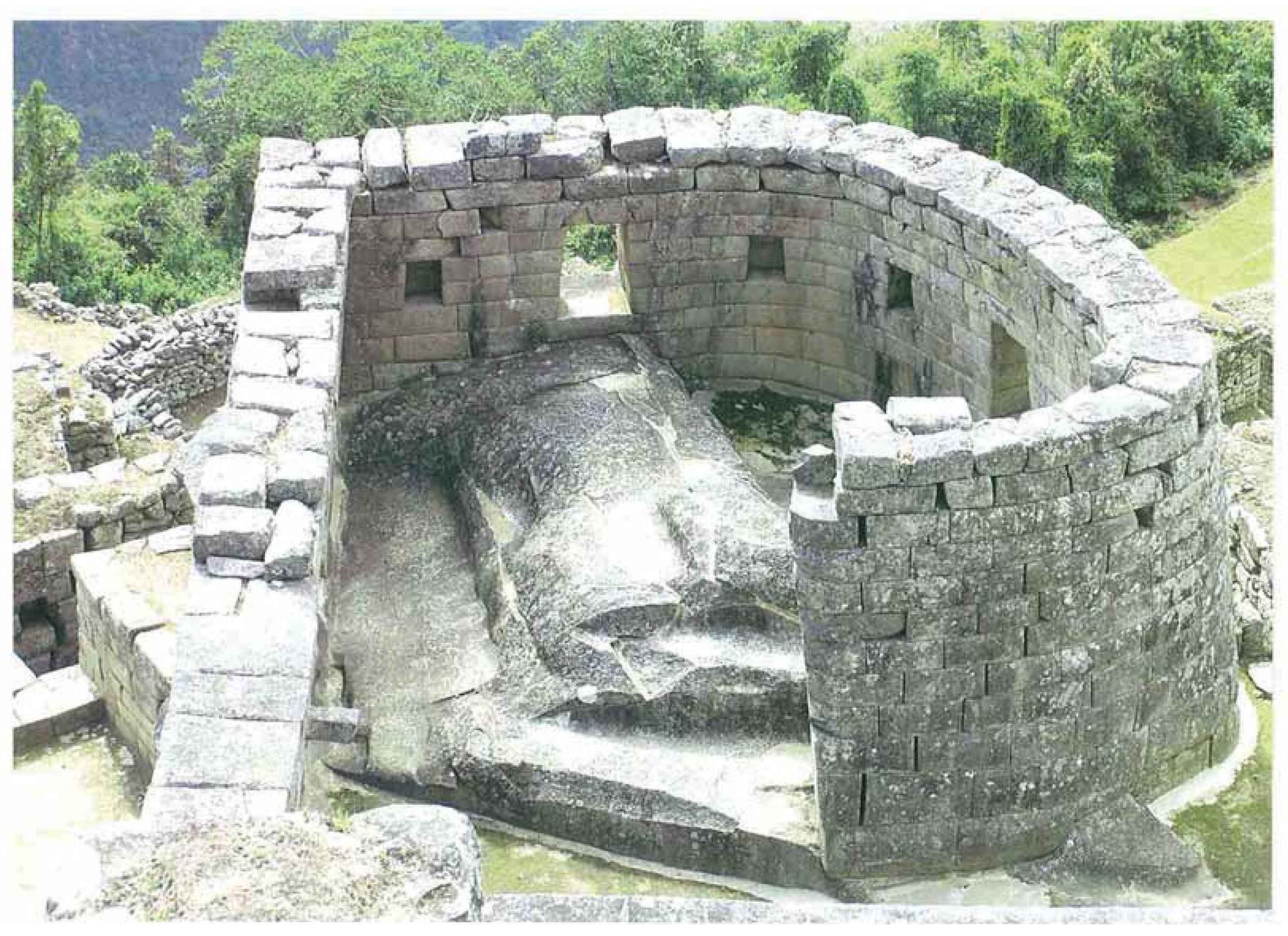
وأصبح مضغ أوراق الكوكا جزءًا من التراث البوليفي، ويعزون أثر هذا النبات وقوته إلى ارتباطه بماما كوكا Mama Coca؛ أي: الأرض الأم Patcha Mama. لذلك يعلقون أغصان هذا النبات على عتبات دورهم، ومداخل حقولهم؛ لطرد الأرواح الشريرة. كما يقدم شعب «الكويتشا» والأيمار إلى الآلهة قرابين من أوراقه عند بدء الزراعة، أو عمليات التعدين؛ لضمان الحصول على محصول طيب، أو حظ سعيد.. ويستخدم الياتيري. وهو الطبيب المعالج - أوراق الكوكا في طقوسه العلاجية، كما تستخدم الأوراق - في بعض الأماكن النائية - عملة تقايض بدلاً من النقود.. وقبل بداية السفر إلى أي مكان، يعمد البوليفي إلى وضع كمية من أوراق الكوكا تحت صخرة قربانًا لباتشا ماما، أملاً في رحلة سعيدة وموفقة، أو يأخذون معهم بعض الأوراق؛ لتقديمها هدية لمن يقابلون من الأهالي المحليين في رحلاتهم الطويلة؛ وهي هدية يرحب بها الأهالي كثيرًا.

وقد دهش الغزاة الإسبان حين رأوا أن الرجال، الذين يمضغون الكوكا، أكثر نشاطًا في عملهم، فعملوا على زيادة نشر زراعة هذا النبات.. وأحيانًا يستخدم البوليفيون الكوكا خلطة مع القهوة. كما يدخنون الأوراق بعد جفافها.. غير أن البوليفيين من أصل أوربي، ينظرون الآن إلى هذه العادات على أنها تقاليد هندية مقززة.. وبعيدًا عن هذه العادات المتوارثة، فقد أصبح نبات الكوكا - الذي ينمو في المثلث الخطر (حيث يجرى استزراعه) في كولومبيا، والبيرو، وبوليفيا - العنصر الأساسي في صنع مخدر الكوكايين.

الجو

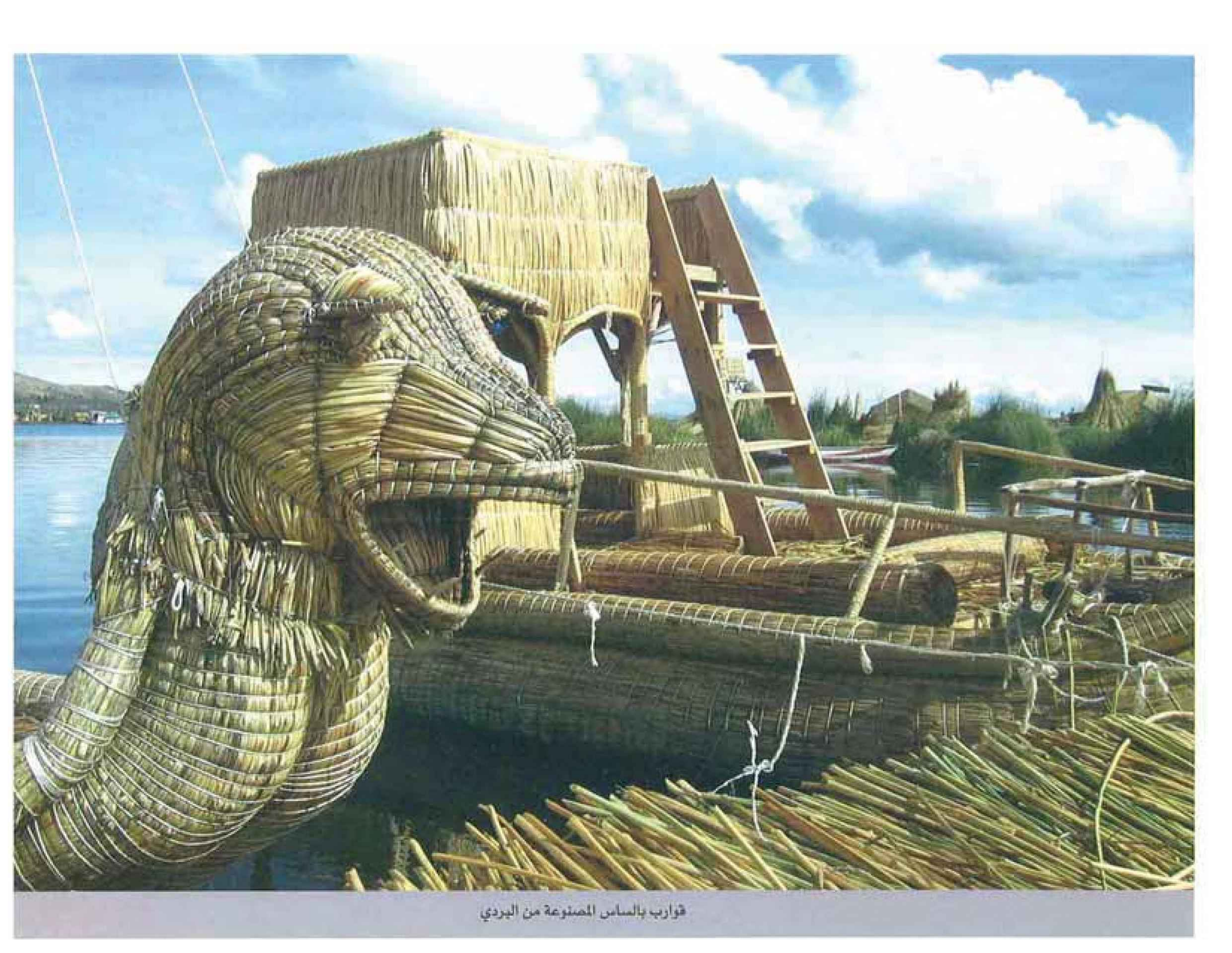
من أهم مظاهر الحياة في الألتي بلانو، وحول البحيرة، تناقص نسبة الأكسيجين في الهواء إلى ٤٠ ٪ بسبب الارتفاع الشاهق لهذه المنطقة، وهذا الأمر يجهد القلب والرئة كثيرًا؛ لكل من لم يتعوّد الحياة على هذا الارتفاع. والسلطات هناك أمينة في توجيه الزائر، إذ تنصحه بالتحرك ببطء، وعدم حمل أثقال مدة لا تقل عن أسبوعين عند الزيارة، وتشعر أنك تسير ببطء وتثاقل؛ وكأنك فوق سطح القمر.. ومن الأفضل ألا يتحرك ليومين، أو ثلاثة حتى يتأقلم - بيولوجيًا - على

منذ أن وصل الإسبان إلى المنطقة، وغزا "فرانسيسكو بيزارو" إمبراطورية الإنكا عام ١٥٣٢م، انتشرت أقاويل وأساطير حول وجود كميات كبيرة من الذهب في بحيرة تيتي كاكا، وأن الإنكا دفنوا هذا الذهب في أعماق البحيرة ليحرموا الإسبان من الاستيلاء عليه



معبد الشمس

عمليات التنفس الآمنة، وحتى لا يشعر بضيق في التنفس ونهيج يصحب كل حركة عضوية سريعة.. ويدهش الزائر لتحمل سكان هذه المنطقة الحياة في مثل هذا الجو، وكأنهم نوع آخر من الجنس البشري.. لكن الواقع - ولنشأتهم هناك منذ البداية - تتميز أجسادهم بصدر أكثر عمقًا، وقلب وطحال أضخم من المعتاد، كما أن الجسم يصنع مزيدًا من كريات الدم الحمراء؛ لتحمل ما يكفي من الأكسيجين إلى المخ. وليس من الغريب أن يطلق عليهم دكتور كارلوس مونج - وهو طبيب بيرووي متخصص في طب الأجواء المرتفعة - اسم السوبر مان؛ لمقدرة الأهالي على التعامل مع هذا الهواء الخفيف الفقير في الأكسيجين، وكثير الإشعاع الشمسي. وقد كشف عام ١٩٢٨م عن وجود مرض اسمه المرض الجبلي المزمن، يصيب الزائر الذي لا تتوافق ظروفه الجسدية وهذه الأجواء. ويصف طبيب آخر الأعراض التي يشعر بها الزائر؛ الذي يصاب بهذا المرض فيقول: إنه يشعر بهبوط حاد في الشعب الهوائية؛ يشبه الاختناق، ويؤثر سلبًا في عمليتي الشهيق والزفير، مع شعور بخفة الرأس، وصداع، وغثيان، ودقات قلب متسارعة.. وحتى سكان الأودية والأراضي المنخفضة - من أهل البلاد - عندما (يصعدون) إلى الهضبة، فهم يستغرقون شهورًا حتى يتعودوا هذه الأجواء. وينتج الجسم كريات حمراء



قوارب بالساس المصنوعة من البردي

أكثر، لمساعدة المخ على تأدية وظائفه الحيوية. والإنسان العادي عادة يراوح عدد كريات دمه الحمراء نحو خمسة ملايين، ولكن في الألتي بلانو يزداد العدد إلى أكثر من نصف بليون.

والأمر لا يتعلق بالشعور البشري فقط، لكن قلة الأكسجين تؤثر في بعض الظواهر الحياتية للإنسان. فالماء يغلي في درجة أعلى، وتستغرق عمليات الطبخ وقتًا أطول مما تستغرقه في الأودية.

كوبا كابانا وعذراء كاندا لريا

تتسابق شركات السياحة في لاباز La paz - عاصمة بوليفيا - في الدعاية إلى زيارة البحيرة، وترتيب رحلات بحرية، إلى جزرها. لكنها تحرص في الوقت نفسه على إرشاد الزائرين إلى كل المخاطر؛ التي قد يتعرضون لها. وكيف يتجنبونها. وانسب أوقات الزيارة هي: الأوقات التي تتوافق واحتفالات الربيع في معظم مدن البحيرة وجزرها، وهي احتفالات يشهدها، ويفد إليها آلاف من المواطنين من بوليفيا والبيرو.

واهم هذه الاحتفالات ما تشهده مدينة كوبا كابانا Copacabana، وهي تقع في واد منخفض بين تلين - ولا يعني ذلك أنها منخفضة عن مستوى البحر - فهي نفسها تقع على ارتفاع ١٢٠٠٠ قدم. وجوها عادة طيب، ومعتدل. وينزل بها المطر في منتصف فصل الصيف..

لا يكتفي سكان البحيرة، ومدنها، وجزرها بالاحتفالات الموسمية؛ بل يقيمون احتفالاً دوريًا يوم السبت من كل أسبوع. أهم مظاهره طلاء عربات الباعة الجوّالين، بل والعربات الخاصة بألوان زاهية متعددة؛ لإضفاء البركة المستمرة عليها، ويسمونه احتفال "شاء اللا" Chaila

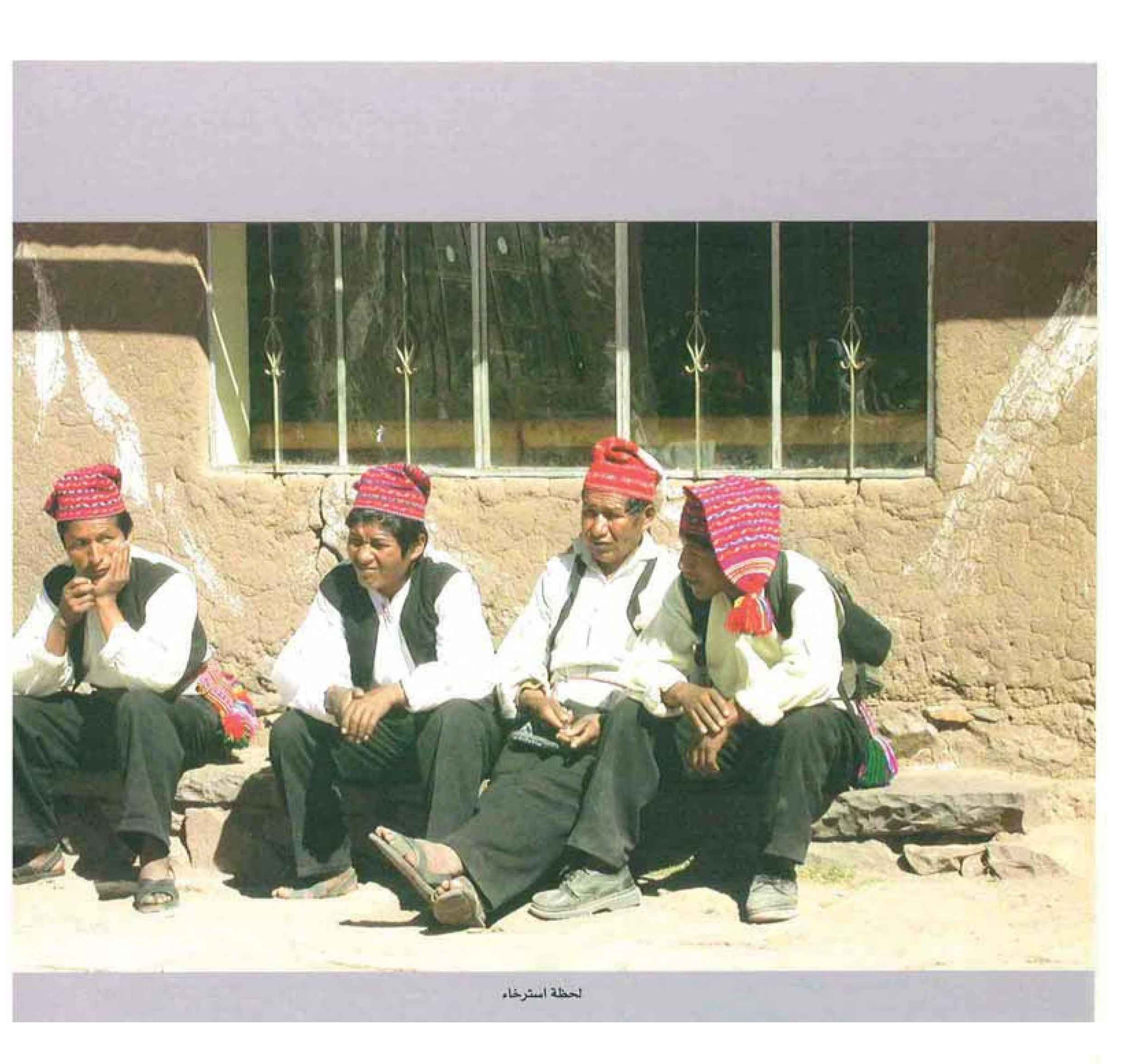
وقد أنشئت كوبا كابانا على يد إمبراطور الإنكا المسمى وياك يوبانكي، لتكون محطة استراحة في الطريق من لاباز إلى ميناء هواكا Huaca، حيث يقع المذبح الذي تقدم فيه القرابين البشرية في جزيرة الشمس، داخل البحيرة. وهناك ترجمات مختلفة للفظ (كوبا كابانا ومشتقاته) من لغة الأيمارا على ثلاث صور، هي: معبد الرب، وتلال الأبدية، وسكة السماء.. وكلها أسماء ارتبطت بموقعها، وسماتها الدينية التي تعد مقصدًا للحجاج الذين يفدون عليها؛ لحضور احتفالاتها المميزة والمشاركة فيها.

وبعد وصول الإسبان اعتنق كثير من الأهالي المسيحية، وخلطوها بعقائدهم الوثنية، بما يمكن أن يقال: إنهم أنشؤوا دينًا خاصًا بهم؛ لذلك كان لا بد من وجود «قديس حام» أو «قديسة حامية» لهذا الدين، فانتخبوا قديسة مجهولة كانت تعرف باسم «عذراء كاندلريا Santisima Virgin de Candelaria la»، إذ قام احد أحفاد أباطرة الإنكا بعمل تمثال لهذه العذراء من الصلصال، ووضعه في الكنيسة؛ التي ابتنيت في كوبا كابانا، لكن التمثال كان بدائيًا، وبه عيوب فنية كثيرة، فرحل المثّال إلى مدينة «بوتوسي» - إحدى مدن بوليفيا - لدراسة أصول فن النحت، وعمل نموذجًا أفضل للقديسة، حتى تمكن عام ١٥٨٣م من صنع تمثال خشبي أسماه «عذراء البحيرة السوداء La vir-gen Morena del lago»، وعاد إلى كوبا كابانا، ونصبه فوق مذبح الكنيسة.

وسرعان ما بدأت تشيع بين الناس معجزات هذه العذراء، وبدأ مئات منهم يقصّون كيف نالوا «الشفاء» على يديها.. ومن معتقداتهم: أنه لا يجب تحريك التمثال من مكانه، وإلا حدثت فيضانات ماحقة في البحيرة تغرق كل ما حولها من أراض.

وفي عام ١٦٠٥ م رأى القساوسة «الأوجستيون» أنه يجب بناء كاتدرائية تليق بالتمثال، وتم بناؤها على مراحل خلال ٢٠٠ سنة وتم الانتهاء منها عام ١٨٢٠م بطراز معماري يسمونه موديجار Mudejar، وهو مشتق من الطراز المعماري العربي؛ الذي عرف في إسبانيا باسم Moorish. وفي عام ١٩٥٢م صدر مرسوم من الفاتيكان يعترف بقداسة التمثال؛ الذي صنعه فرانسسكو تيتو يوا يانكى في بوتوسي، وهذا الأمر جعل من كوبا كابانا مركزًا للاحتفالات الشعبية، والدينية المختلفة، وأضخم هذه الاحتفالات ما يقام مع مجيء الربيع في كوباكابانا حيث يرد عليها آلاف من الحجاج، والزائرين، والراقصين والراقصات من

أصبح مضغ أوراق الكوكا جزءًا من التراث البوليفي. ويعزون أثر هذا النبات وقوته إلى ارتباطه بماما كوكا Mama Coca؛ أي: الأرض الأم Pacha Mama، لذلك يعلقون أغصان هذا النبات على عتبات دورهم، ومداخل حقولهم؛ لطرد الأرواح الشريرة



لحظة استرخاء

بوليفيا، والبيرو في مهرجان شعبي كبير.

وفي اليومين الأولين من فبراير، يقام عيد عذراء كاندالريا، أو العذراء السوداء، وهو عيد لم يعد قاصراً على كوباكابانا وحدها، وإنما أصبح الاحتفال به يجري أيضاً في غيرها من مدن بوليفيا؛ بدرجات متفاوتة من الإبهار.

وفي يوم الاحتفال باستقلال بوليفيا، يتوافد على كوباكابانا آلاف من الزائرين، والراقصين، والمغنين، والموسيقيين، والمهرجين، واللاعبين بالنار، والسيوف، يجوبون أنحاء المدينة في هرج ومرج. تبلغ ذروته عندما يطلق بعضهم ثيرانهم الهائجة في الشوارع.. وعلى من يعتقد في نفسه الشجاعة أن يتصدى لها، وإثارتها مع محاولة تجنب أن يصيبه أذى، وهو حذر يخفق في كثير من الأحيان في تحقيق الأمان له.

تتسابق شركات السياحة في لاباز La paz - عاصمة بوليفيا - في الدعاية إلى زيارة البحيرة، وترتيب رحلات بحرية إلى جزرها. لكنها تحرص في الوقت نفسه على إرشاد الزائرين إلى كل المخاطر التي قد يتعرضون لها

وهناك احتفال آخر يقام في ما يسمى يوم «الجمعة الطيب»، حيث تغص المدينة بالحجاج القادمين إليها؛ لرؤية «صليب سيرو كالفارو»، ويأتي كثير منهم سيرًا على الأقدام من لاباز العاصمة التي تبعد من كوبا كابانا نحو ١٥٨ كم، ويقام الاحتفال فوق قمة تل يشرف على المدينة، ويشتري الزائرون كثيرًا من الهدايا التذكارية، يحتفظون بها تبركًا طوال العام.. وعندما يحل الظلام يصطف الزائرون في صفوف طويلة، وفي أيديهم الشموع، وأمامهم تمثال للمسيح في كفن من الزجاج، وتحيط به صورة العذراء السوداء التي أصبحت حامية بوليفيا - وليس كوباكابانا وحدها - ويقوم أحد القساوسة بالإعلان عن بدء الاحتفال من خلال مكبر للصوت، يعقبه فريق من الموسيقيين يغني مقطوعة دينية تسمى «آفي ماريا» Ave Maria تحية للسيدة مريم العذراء.

ما شاء الله

ولا يكتفي سكان البحيرة، ومدنها، وجزرها بهذه الاحتفالات الموسمية؛ بل يقيمون احتفالاً دوريًا يوم السبت من كل أسبوع، أهم مظاهره طلاء عربات الباعة الجوّالين، بل والعربات الخاصة بألوان زاهية متعددة؛ لإضفاء البركة المستمرة عليها، ويسمونه احتفال «شاء اللا» Challa وربما جاءت الكلمة من «ما شاء الله»، تلك التي يضعها المسلمون على منازلهم وعرباتهم اتقاء الحسد، وجلبًا للبركة.. وذلك عن طريق انتقالها من قبل الإسبان.

ومن أهم الأماكن التي يتردد عليها الزائرون: قرية سياحية اسمها «لاكوبولا»، La Cupula، تتميز بقبابها البيضاء (على طراز مباني المهندس المصري حسن فتحي الذي أقام قرية مثلها في المكسيك، وعلى الساحل الشمالي بمصر) وهي أكثر الأماكن ازدحامًا بالزائرين، وتملكها سيدة من أصل مصري اسمها (آمندا) - تحريفًا لاسم أمينة - وهي التي أضفت هذا الجو الشرقي على المكان مع أن كل حجرة من الداخل تتميز بطراز هندسي مختلف، وينافسها في مجال الفندقة «سونيا واصي» اللبنانية الأصل.

وبعد نهاية كل احتفال يعود الزائرون المحليون إلى بلادهم، بينما يواصل بعض الأجانب رحلاتهم عبر البحيرة إلى ميناء «بونو» البيرووي؛ على ساحل البحيرة الشمالي الذي يبدو أول وهلة وكأنك هبطت في جنوب إسبانيا، بطرازه المعماري المميز، لكنها رحلات أقل إبهارًا مما تجده في الجزء الجنوبي من بحيرة تيتي كاكا.. (صخرة الأسد) الذائبة مع الأفق بين السماء والأرض.

المراجع

١- معايشة شخصية للكاتب في أثناء خدمته بالسفارة المصرية في لاباز أواخر الثمانينيات.

2- Bolivia: Deanna Swaney & Robert Straus

٣- الحضارة القديمة في الدنيا الجديدة: فرانك هيبين، ترجمة: محمد محمود الصياد، مكتبة مصر - القاهرة (وهو ترجمة لكتاب Digging up America)

4- South American Hand Book 1989

5- Americas- v 25 no5 - may 1973





الوأد عند العرب

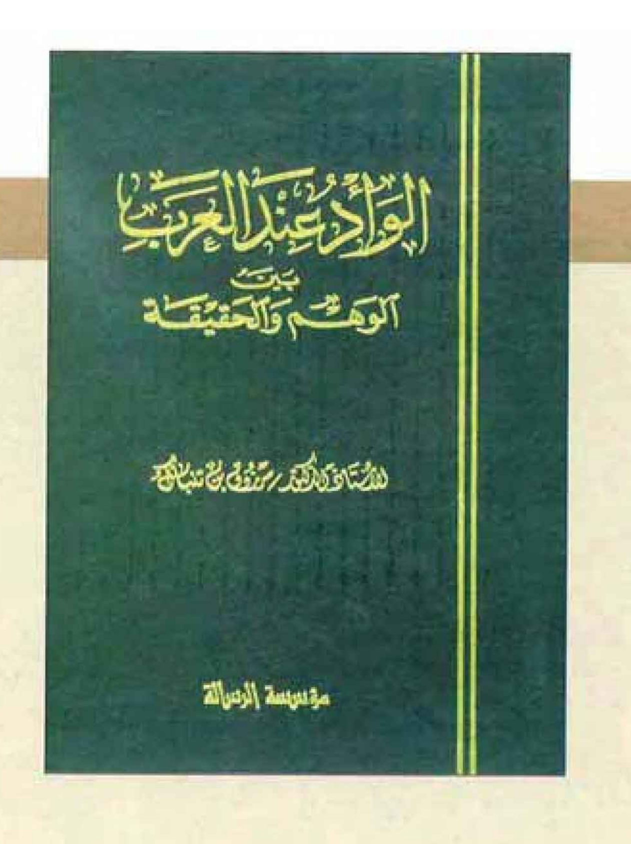
سلطان القحطاني

الرياض - السعودية

كُتِبَ التاريخ العربي الإسلامي في عصر التدوين على أيدي الشعوبيين من أفواه الرواة، وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يسأل المعمرين والرواة من العرب، عن الأيام العربية المعروفة في التاريخ الشفهي، فيصدّق بعضهم ويكُذّب آخرين، وممن قربهم وسألهم: وهب بن منبه، صاحب كتاب (التيجان)، وهو حصيلة نقاشات مع معاوية عن ملوك اليمن. كان معاوية يقصد من ذلك تأسيس دولة وراثية على غرار تلك الدول. وكان مما جاء في تلك الروايات الشفوية والمكتوبة فيما بعد، رواية (الوأد)، أي: دفن المولودة وهي حية، ولا ننكر الوأد، لأنه ورد في القرآن الكريم، وكان لي اهتمام بهذا الموضوع ذكرت بعضًا منه في كتاب (التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي)، وقد فهم المصطلح خطأ، أو قصد منه تشويه التاريخ، ليس من صدقه أو عدمه، ولكن من ناحية المبالغات، التي وردت في حق أمة لها تاريخها كسائر الأمم. فمن يقرأ ما كتب عنها يجد أنها أمة بلا تاريخ، وهذا أمر لن يصدقه عقل عاقل، وعلى الرغم من ذلك تناقله الرواة على أنه حقيقة مسلم بها، وقد عزز هذا الرأي الذي كنت أعمل عليه على مدى ثلاث سنوات متواصلة حتى صدر في كتاب احتج بعضهم على بعض ما ورد فيه من آراء، ووافقه بعضهم، وأعجب به آخرون، ورفضه آخرون.

حقيقة أم وهم؟

وهذا الكتاب لم يتعمق في هذه المسألة مثلما تعمق فيها الباحث الدؤوب، الدكتور مرزوق بن تنباك



الوأد عند العرب بين الوهم والحقيقة
المؤلف: الدكتور مرزوق بن تنباك
الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
عدد الصفحات: ١٧٨ صفحة

في كتابه (الوأد عند العرب بين الحقيقة والوهم) إذ عرض حقائق علمية استنتجها من قراءات متانية ذات عمق علمي، ناقشها بكل صراحة وتجرد، مبرئًا من نُسب إليهم الوأد بطريقة علمية بحتة، فقد تواترت الروايات عن أول من وأد البنات في الجاهلية، وهو قيس بن عاصم المنقري التميمي، الذي لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد أهل الوبر، وأورد الباحث الحجج والبراهين من خلال سياق لغوي يدل على انه لم يقم بهذا العمل الذي نسب إليه، كما نسب إلى جد الفرزدق، الشاعر المعروف، إنقاذه الموؤودات من بنات تميم، لكن الفرزدق لم يورد في شعره اسم واحد ممّن أنقذ جده ابنته!، كما أن هذه الروايات اخذت شكل الثنائيات، التي عرفت في الرواية العالمية التقليدية - على وجه الخصوص - بالتضاد، مثل وجود الشر مقابل الخير، وفي النهاية ينتصر الخير على الشر. هذه معادلات للقصة الشعبية منذ القدم، يجري الصراع بين الطرفين فيتدخل القدر في الطرف الثاني، وينقذ الموقف بمعجزة، أو ما يشبهها.

وفيما يخص التراث العلمي العربي توجد هناك مشكلة أزلية، تلك هي: النقل والتصديق بكل ما ورد في التراث، وجعل المستثنى قاعدة في كثير من الأحوال، فنجد الباحثين ينقلون ممن سبقهم من دون مناقشة، وإذا ورد ذلك من مفسر للقرآن الكريم، فإن الأمر سيكون اشد تصديقًا، بل إن الذين نشروا هذه الأفكار هم المحدّثون والوعاظ؛ باسلوب الوعظ المباشر في اوساط المجتمعات السطحية. وفي اماكن



ليس فيها مجال للمناقشة، مثل المساجد، وأماكن التجمعات العامة. وإذا حصل النقاش فسيكون الجواب هو الطرح نفسه بلا تعليل، كما أن هناك مشكلة أخرى تعترض المفسرين والمحدثين على وجه الخصوص، وهي معرفة النص من خارجه، وليس من داخله، إضافة إلى الشعوبية، والمذهبية، وتسخير الفكر لهذه الأيديولوجيات أو تلك، مما رسخ الفكرة في أذهان الناس عدة قرون.

لماذا العرب

الدكتور ابن تنباك يعالج هذه القضية من منظور علمي بحت، من خلال النصوص البلاغية ومعنى النص من داخله، مؤيداً فكرته بكل ما يستطيع من نصوص تسندها؛ لإيضاح الفكرة العامة من موضوع تواتر على ألسنة المفسرين والرواة والمحدثين والواعظين وأقلامهم، الذين غزوا العامة بأفكار

تحدث الباحث عن الهجاء الذي استمر ثمانية عقود بين جرير والفرزدق. لم يذكر فيه نقض لما افتخر به الفرزدق من إنقاذ جده الموؤودات. وهما اللذان لم يتركا منقبة من مناقب تميم إلا ذكراها. ولا سيئة من سيئاتها إلا ذكراها أيضًا

وعبارات بعيدة كل البعد عن الحقيقة العلمية، فقد سمعت في منى محدثًا يقول: إن جريمة حلق اللحية، وجريمة مستعمل المخدرات واحدة!! وسمعت آخر، في مكان آخر يقول: إن كل العرب يئدون البنات، ويشربون الخمر، ويقامرون (التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي) «ص٣٠». كنا نصدق بذلك بل نتناقله، مثلنا مثل غيرنا، لكننا - في الآونة الأخيرة - بدأنا نفكر لماذا العرب؟ وما السبب في ذلك؟، على الرغم من الأسباب التي أوردها المفسرون، مثل: العار، والفقر، ولم ننكر ذلك إلى اليوم، لكن ما الآلية المتبعة في ذلك؟ لم لا نجد إلا الدفن، فلماذا الدفن؟.

هذه عدة أطروحات طرحها الباحث، فهل توصل إلى إجابة منطقية تكشف الحقيقة؟.

انبرى الدكتور ابن تنباك إلى هذه الرؤى المتناقلة في التراث العربي، ليصحح هذه المفاهيم بأسلوب علمي غاية في الدقة، ولم يكن في البداية يقصد هذا الموضوع، بل كان مثلنا يبحث عن الآلية، يقول في المقدمة: «هذا عمل بدأت البحث عن غيره، وقادني البحث إليه، كنت أبحث عن أسباب الوأد عند العرب، لماذا وأدوا بناتهم، ولماذا اختاروا الدفن لهن وهن أحياء، ولماذا لم يقتلوهن بطريقة غير الدفن؟. كانت هذه هي الأسئلة التي أردت البحث عنها، ولم يكن يخالجني شك في صحة رواية الوأد وحقيقتها، معتمدًا على ما دار في التراث العربي من روايات ترددها المصادر التي جعلت حدوثها أشبه بمسلمة لا تقبل الجدل». ثم يذكر أنه عندما جمع المصادر والنصوص، وحلّلها وجد كثيرًا من الملاحظات تظهر أمامه، وتلزمه إلى إعادة النظر مرة أخرى، من خلال مفهوم جديد، إلى هذه القضية، كيف فهمها المفسرون، وكيف تناقلها الرواة والمحدثون، وما الأدلة على صحتها من عدمها؟.

لقد أحسن عندما بدأ بحثه بما ورد من تعريف اتفق عليه في اللغة، وقد أثبته الباحث من الفعل (وأد) كما جاء في اللسان؛ أي: دفن البنت وهي حية، وتناقلت هذه المعجمات المصطلح فيما بينها، واعتمدته التفاسير في نقل بعضها عن بعض، والكلمة في معناها العربي صحيحة. ثم أورد بعض أقوال الشعراء في ذلك، مثل المثقب العبدي، والمشمرج اليشكري، ثم أقوال مؤرخي الأدب والأنساب، مثل كتاب (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) للألوسي، الذي ذكر أن الوأد عند العرب بدأ بتميم؛ والسبب في ذلك أن تميمًا منعت الملك النعمان بن المنذر من دفع الإتاوة، فغضب عليهم، واستاق نساءهم وأطفالهم وأموالهم، ومن بينهم بنت أميرهم، قيس بن عاصم المنقري، وعندما عفا الملك عن النساء. شاورها في العودة إلى أهلها أو في البقاء مع زوجها، الذي سباها من بكر بن وائل، ففضلت زوجها على العودة مع أبيها، وبذلك غضب قيس بن عاصم، وأمر بوأد بناته أحياء، حتى إنه وأد ثماني عشرة بنتًا، قبل إسلامه. وبهذه السُّنة التي سنها قيس وأد العرب البنات.

وفي مقابل ذلك هناك من أنقذ كثيرًا من البنات في الجاهلية، بدفع الثمن لأهلهن، مثل صعصعة جد الفرزدق الشاعر المعروف، الذي تزعم الروايات أنه أنقذ أربعمئة

تواترت الروايات عن أول من وأد البنات في الجاهلية، وهو قيس بن عاصم المنقري التميمي، الذي لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد أهل الوبر، وأورد الباحث الحجج والبراهين من خلال سياق لغوي يدل على أنه لم يقم بهذا العمل الذي نسب إليه

طفلة من الموت. وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل، ابن عم الخليفة عمر بن الخطاب، كان ينقذ الموؤودات في مكة. والذي أعرفه أن زيدًا هذا كان على غير دين قومه، فقد كان حنيفيًا، ومفروضة عليه الإقامة الجبرية من عمه الخطاب بن نفيل. حتى إنه أوصى عليه صفية بنت الحضرمي تراقبه، وتبلّغ عنه إذا عزم على الرحيل (انظر التيارات الفكرية) «ص٢٧». ويستشف الباحث ضعف هذه الروايات، واعتماد المفسرين عليها.

ومن الغريب أن كل من انقذ بنتًا من الوأد تأتي حكايته من نوع المصادفة، فيكون في رحلة بحث عن ناقتين لقحتين على وجه النتاج (الولادة)، ويكون على جمل، فيجد الناقتين وقد نتجتا عند شيخ يصيح وينمى حظه، فيسأله عن ناقتيه، فيقول له: هاتان مع الإبل، وقد انتجتا. فيسأله الرجل عن مصيبته، فيجيبه أن امرأته أنجبت بنتًا وينوي دفنها، لأنه لا يستطيع غذاءها، فيفاوضه الرجل على إنقاذها بناقتيه، فيرفض إلا إذا كان الجمل معهما، فيوافق الرجل شريطة أن يوصلوه إلى أهله!!. ثم يقول: هذه مكرمة لم يسبقني إليها أحد من العرب. اشتهرت هذه العبارة المشتركة بين (صعصعة وزيد بن نفيل بن الخطاب) ومن سواهما لم يذكر.

ويطرح الباحث عددًا من الأسئلة، ويجيب عنها، منها: لم يجد أحدًا من الشعراء هجا تميمًا بوأدهم البنات، ولم يجد أحدًا مدح المنقذين من الوأد، ما عدا الفرزدق يفخر بجده، ولم يردّ عليه أحد هذا المدح بهجاء!! ثم يطرح سؤال الاستغراب من أبي بكر وعمر - وهما من هما في معرفة أحوال العرب - عندما سألا قيس بن عاصم، ما حملك على هذا؟؟!!. ويستنتج من صيغة السؤال غرابة الموقف، فلو كان معروفًا لما استغربا، وواحد منهما - كما تزعم الروايات - من الوائدين. وكيف يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قيسًا بدفع الدية، أو الكفارة عن كل بنت وادها (ناقة)، ولم يأمر عمر بذلك!!.

ثم يسأل الباحث عن الفقر في المجتمع المكي المترع أهله بالثراء، الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قريش: ٤، فهم لم يخافوا السبي ولا الجوع، وهما شرطان في الوأد، ثم إن قريشًا لم تغز أحدًا ولم تُغْزَ، في تاريخها، إلا محاولة تكفل الله بردها في نحور أهلها (غزوة الفيل). ومن كلام أبي طالب إلى أبرهة الحبشي في صنعاء، أن الله يحمي البيت، أما هو فيبحث عن إبله، فهو ربها، أما البيت فله رب يحميه.

ويتحدث الباحث عن الهجاء الذي استمر ثمانية عقود بين جرير والفرزدق، لم يذكر فيه نقض لما افتخر به الفرزدق من إنقاذ جده الموؤودات. وهما اللذان لم يتركا منقبة من مناقب تميم إلا ذكراها، ولا سيئة من سيئاتها إلا ذكراها أيضًا. ثم يفتح الباحث للخيال الشعبي صفحة يناقش فيها ما ورد على ألسنة الرواة، والواعظين، والشعوبيين، مثل شعوبية أبي عبيدة، والهيثم بن عدي، وقد ألف الثاني كتابه المعروف «بقايا قريش في الجاهلية،

الدكتور ابن تنباك يعالج هذه القضية من منظور علمي بحت، من خلال النصوص البلاغية، ومعنى النص من داخله، مؤيدًا فكرته بكل ما يستطيع من نصوص تسندها؛ لإيضاح الفكرة العامة من موضوع تواتر على ألسنة المفسرين، والرواة، والمحدثين، والواعظين، وأقلامهم

واسـمـاء من ولدن» ويرى البـاحث أن هؤلاء بقـدر الخدمة التي قدموها للتراث أساؤوا له، من حيث تناقل الرواية وتدوينها، مما جعل للخيال الشعبي اثرًا في تنمية الفكر الشعوبي «ص٤٥».



حيرة بين جرير والفرزدق

ومن الإشكالات التي يطرحها الباحث: إشكالية صمت جرير عن فخر الفرزدق بأن جده أنقذ الموؤودات من الوأد، ولم يكن الأمر بالصعب على جرير لينقض مقولات الفرزدق، فقد نقض غيرها مما هو أصعب!. حقًا، أن الأمر لمحير، فإذا افترضنا أن جريرًا كان طرفًا في القضية، عن طريق أجداده، فإن الأمر لن يغيب عن الفرزدق، وهو العالم، وجليس كبير المحدثين في البصرة، الحسن البصري، ودأبه البحث عن مثلبة لجرير، لكنه لم يجد حتى عندما هجا جرير أخته (جعثن)، وقذفها علنًا بالزنى، وهي المشهود لها بالتقى والصلاح. أما الجانب الثاني، فربما يكون قد نُحل على الفرزدق، وعدد الأبيات التي أحصاها الباحث (سبعة أبيات) في كل ديوانه، وهذا اقرب من الاحتمال الأول. لقد كان للخيال الشعبي أثر كبير في ترسيخ هذه الأساطير. واستغل ذلك من له عداوة للعرب، من المسلمين الذين لم يبق لهم غير الإسلام، فجردوا العرب من كل فضيلة عرفوا بها، واختاروا لذلك الخيال مشاهير الأدب والفروسية والكرم، فقالوا عن امرئ القيس: إنه مئناث. أي: ليس له أبناء، وإن نساءه عندما علمن أنه يقتل البنات، أخذن في استيداع بناتهن عند أحياء العرب، وعلم بذلك، فذهب يستشرف ذلك من خلال الشعر، وفي كل مرة يجد مجموعة من البنات يلعبن يطرح عليهن بيتًا من الشعر، ويطلب منهن إكمال معناه، فيعجزن إلا واحدة يجدها - دائمًا - تلعب مع بنات الحي الذي يحل عليه، تكمل المعنى الذي يريده فيقتلها، فهي ابنته!!! يا له من خيال سخيف، ورواة أسخف، ومستمع سطحي لا يفكر في السياق الخارق للعادة. وينتقل الباحث إلى باب مهم جدًا، ذلك أن حب الولد الذكر ليس عند العرب فقط كما تزعم تلك الروايات المفرضة، بل عند كل العالم، من شرق وغرب،



فوجدها عند الفرس، الذين يتشوقون إلى رؤية الذكر، ويرونه ثروة لأبيه، كما يذكر الدكتور أحمد الحوفي، ثم يؤكد أن القرآن الكريم أنصف الأنثى، في قوله تعالى: ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون﴾ «الصافات: ١٤٩». ويذكر تلك الأحاديث، التي تعِدُ من ربّى البنات، وأحسن تربيتهن بدخول الجنة، وأن حصة الأنثى من الميراث في الشريعة هي نصف ما للذكر. ويصل الباحث إلى لب القضية المطروحة ليفصل فيها، ويفند آراء المفسرين حول قضية النفس، وأنهم فهموا أن المقصود بالوأد، الأنثى فقط، لكن الله - تعالى - ذكر الولد: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم..﴾ «الإسراء:٣١». فالباحث يرى أن الله أنزل أحكامًا عامة، سواء عملها العرب أم لم يعملوها، فلم يعرف عن العرب، أنهم تزوجوا أمهاتهم، ولا بناتهم، ولا أخواتهم، «ص١٣٥». وقل مثل ذلك النهي في القرآن الكريم عن قتل النفس، ومنها الأولاد، وليس بالضرورة أن يكون العرب يقتلون أولادهم، حتى يكون للنص القرآني معنى سابق على النزول، أو سبب في نزول آية، كما هو معروف من أسباب النزول المتعددة. ويصل الباحث في النهاية إلى معنى (الموؤودة) يقول: «وغرضنا هنا ليس ترديد ما قال

المفسرون، ولكن بيان ما نظن أن النص القرآني قد عناه، بعدما مر من عرض كافٍ لتاريخ العرب في الجاهلية، وتفصيل للروايات الأدبية، التي اعتمد عليها المفسرون، والوهم الذي حدث في فهمهم، وما صاحب ذلك من قصص ومواعظ، تحدثت عنها الفصول السابقة من هذا الكتاب» ص١٥٥.

ويرى المؤلف أن التأنيث صرف بداهة أذهان أول المفسرين، فاجتهدوا بدلالة المعنى المباشر «الموؤودة» وجعلوها البنت التي تدفن وهي حية، فتابع بعضهم بعضًا. وبهذا الصدد يرى الباحث أن المفسرين لم يجتهدوا في المعنى، أكثر من اجتهاد أولهم لينقل عنهم آخرهم، وقد بينت في بداية هذا المقال مشكلة النقول في البحوث العربية، حتى صار كثير منها مسلمة لا تقبل النقاش، والآن يؤكد الدكتور ابن تنباك هذه الإشكالية، ليكشف في تواضع شديد أن معنى الوأد ليس خاصًا بالأنثى، من جانب، وأنه ليس من الفقر من جانب آخر، وأن السبب فيه العار من جانب ثالث، أي: أن المعني به أولاد العلاقات غير الشرعية، للتخلص من العار، ويستشهد بشعر حسان رضي الله عنه، حيث يصف حالة الفتاة التي حملت سفاحًا، وأرادت أن تداري سوءتها بعيدًا عن أنظار الناس، تخشى أن يوجد حيًا أو ميتًا، ويظهر الشبه عليه، لذلك تدفنه مخافة أن ينكشف أمرها:

لمن الصبي بجانب البطحاء
في الترب مُلقى غير ذي مهد
نجلت به بيضاءُ آنسة
من عبد شمس صلتة الخد. «ص١٥٨».

ليس خاصًا بالأنثى!

وهذا القول شاهد الباحث، على أن الوأد ليس خاصًا بالأنثى والمعني به (النفس) سواء كان ذكرًا أو أنثى. كما يؤكد الباحث أن هذه الحالات توجد في كل زمان ومكان، حتى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن ينزل، فهناك من زنى، ومن زنت، ومنهن من حملت وجاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تعترف بذنبها. وذكر الفرزدق النساء اللاتي يلدن وليس لهن بعولة، فيقول:

«والوالدات وما لهن بعولة
والقاتلات لهن كل صغير
والمدلجات إذا النجوم تغورت
والتابعات دعاء كل صغير»

ثم يورد أدلة على ذلك، بمقالات من الصحافة، والأخبار في الوقت الحاضر؛ ونحن نرى كل يوم خطيئة، طفلاً ليس له أهل، في مكان ما في الصحف، ويدعو المؤلف المفسرين، والواعظين، والقراء إلى التمعن في النظر إلى ما يقرؤون، وإلى النظر في النصوص التي وردت عن الرواة، والمحدثين الواعظين، وفحصها ومقارنتها مع غيرها من النصوص.

هذه نظرة كلية في كتاب «الوأد عند العرب بين الحقيقة والوهم»، لم ينكر فيه المؤلف ما ورد في القرآن الكريم، لكنه يصحح مفاهيم درج عليها كثير من المفسرين والرواة، ودخلها الهوى الشعوبي، فألبسها ثوب الثقافة العربية، ونسب كل الخطايا إلى العرب، بيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة، وخاطب القرآن كل الناس، حتى وإن نزل بلغة العرب، فالعرب كُلفوا بنقله إلى كل الناس، وقد قال فيه المؤلف شيئًا كثيرًا، بأسلوب العالم، من حيث المناقشة الهادئة، والمعلومة الموثقة، والفكرة المثيرة؛ لإعادة النظر في تاريخنا العربي ولغتنا، وما فيهما من أسرار جعلت العلماء يجتهدون في تنظيرها، وتحليل نصوصها، ليكشفوا عما في داخلها من أسرار ومعان غامضة.



مدينة إستانبول

تجارب في الحركة والنقل والمرور

محمود زين العابدين

الرياض ـ السعودية

تعدّ مدينة إستانبول إحدى أهم المدن الإسلامية التي شهدت عدة حضارات منذ العهد البيزنطي حتى العهد العثماني. وتتميز بموقع فريد يربط بين قارتي آسيا وأوربا. وهذا ما أكسبها أهمية خاصة لتصبح إحدى أهم المدن الإسلامية.

وقد عانت مدينة إستانبول - وهذا حال كثير من المدن العربية - من كثافة سكانية؛ بسبب هجرة سكان الريف إلى المدينة؛ لأهميتها التجارية والصناعية، وهذا ما أدى إلى حدوث تدهور شديد، انعكس سلباً على تخطيطها العمراني، وعلى حركة المرور والنقل فيها.

ومع هذا النمو السكاني، والتوسع العمراني السريع لمدينة إستانبول، ظهرت الحاجة إلى إيجاد حلول في قضية المرور والنقل العام، وبخاصة في المناطق التاريخية لتلك المدينة؛ ولما تحتوي عليه من أوابد تاريخية، لا تسمح بفتح شوارع جديدة، وواسعة فيها، فانقذت بلدية مدينة إستانبول التخطيط العمراني، من خلال إيجاد الحلول المناسبة ذات الأساليب والتقنيات الحديثة، في مجالات الحركة والنقل والمرور، إضافة إلى إعداد مشروعات متعلقة بحركة المرور والنقل العام وتنفيذها، كان من أهمها: استخدام القطارات الحديثة؛ التي تسير على السكة الحديدية، وتعمل على الطاقة الكهربائية، واستخدام مترو الأنفاق والترام. وغيرها من وسائل النقل الأخرى، التي ساهمت جميعها في الحفاظ على



التخطيط العمراني للمدينة، وفي إعادة الحيوية إلى المدينة، كما كانت عليه في السابق، إضافة إلى زيادة الأنفاق والجسور المعلقة؛ لتحويل الطرق العادية المكتظة بالإشارات الضوئية، إلى طرق سريعة تساهم في انسياب حركة المرور من دون توقف. كما أوجدت حلولاً مناسبة لمواقع الاختناقات المرورية.

النسيج العمراني لمدينة إستانبول

يتميز النسيج العمراني لمركز مدينة إستانبول بعدد كبير من الأوابد التاريخية؛ التي يعود معظمها إلى العهد العثماني، وقد بدأت هذه النهضة في عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١م)، إذ انتشر في عهده - ومن تلاه من سلاطين عثمانيين - كثير من المساجد الضخمة، والكليات التي تحمل اسم السلطان، وبخاصة في عهد المعماري سنان، الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، وهي الفترة التي حكم فيها السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م)، وضمت كثيرًا من المباني المهمة، مثل الجوامع، والخانات، والمدارس،



شارع أكساراي من الشوارع التي خصصت لمرور القطارات الحديثة

والحمامات، والحدائق، والساحات، والأسبلة، والجسور. وتم تأمين المياه إلى المدينة من خلال القنوات، فلبست مدينة إستانبول حلة جديدة، ومتكاملة. وحوت جميع عناصر المدينة الإسلامية التقليدية، من حيث المخطط العام للمدينة، ولم تقتصر النهضة العمرانية على القصور والمساجد فحسب، بل شملت بناء الحمامات، والخانات، فأصبحت إستانبول مركز الثقل في العالم الإسلامي كله، وموئلاً لعلمائه، ومقراً لتراثه العلمي والثقافي والفني (١).

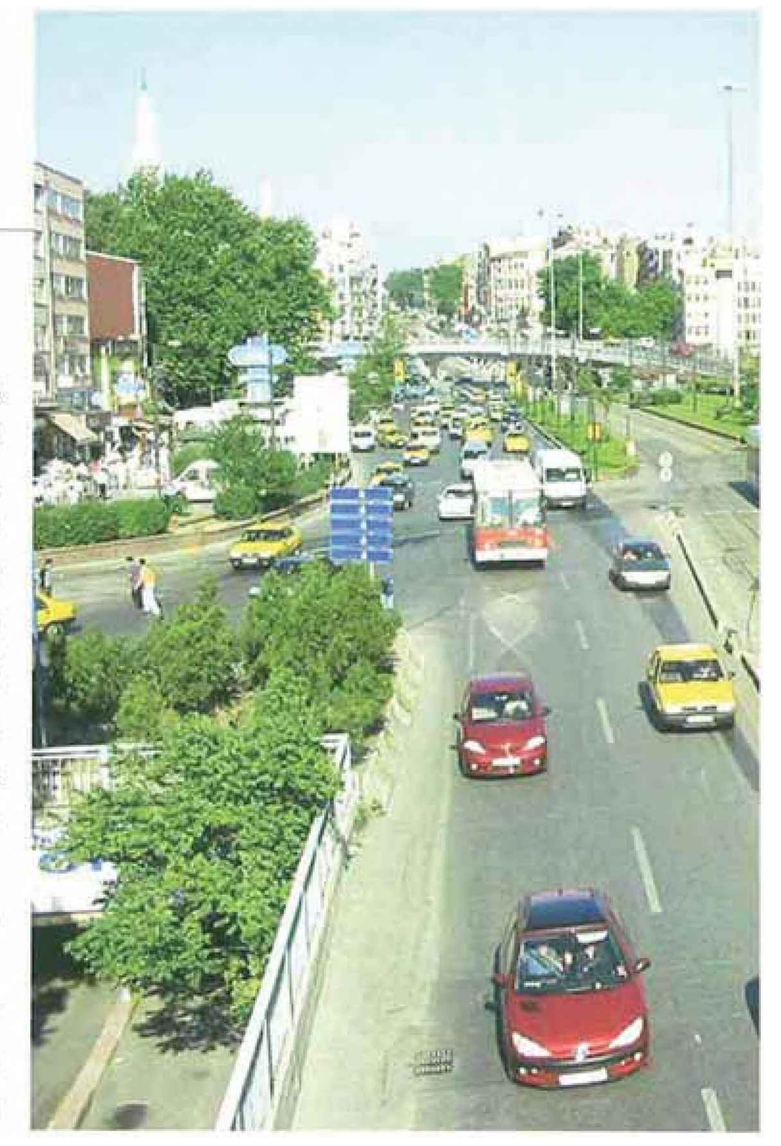
وكانت مدينة إستانبول مركزاً ثقافياً مشعاً بعمائرها، وفنونها الإمبراطورية؛ التي تجسد عظمة السلاطين العثمانيين وقدراتهم، فانتشرت فنونها في كل اتجاه، وتركت آثرها في الحواضر العربية في غرب آسيا، وشمال إفريقية، مثل دمشق، وبغداد، والقاهرة، وتونس (٢).

وفي القرن التاسع عشر، وبخاصة في عهد السلطان عبدالعزيز (١٨٦٧ - ١٨٧٦م)، كان يسود البلاد الأوربية أسلوب فني آخر - انتقائي أو خليط - هو خلاصة مزيج منتخب من عدة أساليب معمارية، جمعت الهندي وحتى القوطي، ونلاحظ هذا الأسلوب على واجهات المباني، وامتدت حتى فترة عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) إذ ظهر أسلوب غريب بالكامل عن الذوق التركي، وبخاصة في واجهات البنوك العثمانية في منطقة (بي أوغلو) وسواها (٣).

التطور السكاني لمدينة إستانبول

شهدت مدينة إستانبول (القسطنطينية) عدة حضارات، وقد سعى العثمانيون إلى تحويل هذه المدينة - وهي عاصمة الدولة العثمانية - إلى مدينة ضخمة بزيادة عدد سكانها، وتشجيع تطورها بوصفها مركزًا تجاريًا. فقبل الفتح العثماني كان سكان القسطنطينية قد هبطوا إلى نحو ٣٠ إلى ٤٠ ألف نسمة (٤)، وبعد أن فتح السلطان محمد الثاني مدينة إستانبول في (٢٩ أيار (مايو) ١٤٥٣م) تحولت العاصمة العثمانية من أدرنة إلى القسطنطينية، وسميت

غرقت المدينة في عدة مشكلات أهمها المواصلات؛ بسبب تزايد عدد السكان السريع، الناجم من الهجرة إلى المدينة؛ لطلب العيش والعمل، وتحوّل مدينة إستانبول إلى مدينة صناعية تجارية كبيرة، أدى إلى ظهور عدد كبير من التجمعات السكانية العشوائية



بإسلام بول؛ أي: مدينة الإسلام، ودار السعادة، وسميت بالأستانة؛ لتتحول إلى قاعدة للأعمال العسكرية في الشرق والغرب. وأتى السلطان محمد الفاتح بأسر تركية وعربية كثيرة من الأناضول، وأسكنها في العاصمة الجديدة، لتتكون من الأسر الإسلامية. وفي أوائل عام ١٩٥٠م، ومع التوجه الحكومي إلى جعل مدينة إستانبول مدينة صناعية وتجارية، انطلقت هجرة سريعة وغير منظمة من الأناضول والمدن المجاورة إلى مدينة إستانبول؛ للبحث عن فرص العمل. وقد أثبتت آخر الإحصاءات السكانية التي شهدتها مدينة إستانبول، أن ٦٢,٧٪ من سكانها، ليسوا من مواليدها؛ بل هاجروا إليها من مناطق أخرى، وبخاصة منطقة الأناضول، بهدف البحث عن العمل ولقمة العيش (٥).

مظاهر تدهور الحركة والمرور والنقل

تعد قضية المواصلات والنقل العام، إحدى أهم القضايا، التي تواجهها مدن العالم، لما تسببه من اختناقات مرورية، وتلوث بيئي؛ ناتج من دخان المركبات، وقد شهدت مدينة إستانبول - في السنوات الأخيرة - تدهوراً ملحوظاً في قضية المواصلات والنقل العام، بسبب الكثافة السكانية السريعة، التي شهدتها المدينة، والتي لم تكن الجهات الحكومية قادرة على استيعابها، مما أثر سلباً في البنية التحتية للمدينة، فغرقت المدينة في عدة مشكلات أهمها المواصلات: بسبب تزايد عدد السكان السريع، الناتج من الهجرة إلى المدينة؛ لطلب العيش والعمل. وتحوّل مدينة إستانبول إلى مدينة صناعية تجارية كبيرة، أدى إلى ظهور عدد كبير من التجمعات المسكانية العشوائية، وإلى زيادة دخول السيارات، والمركبات، وحافلات النقل العام إلى مركز المدينة؛ التي باتت لا تستوعب شوارعها هذا الكم الهائل من السيارات، إضافة إلى زيادة عدد وسائل النقل العام وتنوعها، وزيادة عدد السيارات الخاصة لاعتماد أغلب سكان مدينة إستانبول عليها؛ وبخاصة المتجهة إلى مركز المدينة، فسبب إشكالية في تأمين مواقف خاصة

مع النمو السكاني، والتوسع العمراني السريع لمدينة إستانبول، ظهرت الحاجة إلى إيجاد حلول في قضية المرور والنقل العام، وبخاصة في المناطق التاريخية لتلك المدينة؛ ولما تحتوي عليه من أوابد تاريخية، لا تسمح بفتح شوارع جديدة

يعود استخدام الترام وسيلة للمواصلات في مدينة إستانبول إلى عام ١٨٦٩م

لتلك السيارات، أو عند توقفها على أطراف الشوارع الضيقة، محدثة عرقلة في حركة المرور وانسيابيته.

أهم القرارات المتخذة بشأن الحركة والمرور والنقل

خصصت بلدية إستانبول - كغيرها من المدن العالمية الكبرى - ميزانية خاصة، وأعدت بنية تحتية لمشروعات النقل العام، لتحويلها إلى وسائل جذب، وقد اتخذت القرارات الآتية:

وسائل النقل المعتمدة على سكك الحديد:

تقديم عدد من الحلول في أنظمة النقل العام، وذلك باعتمادها السكك الحديدية؛ وسيلة نقل مثالية بمدينة



منطقة تقسيم من المناطق الحيوية في إستانبول

إستانبول، وكانت تلك المشروعات موزعة على ثلاث مراحل: قصيرة المدى (٢ – ٥ سنوات) بطول ٧٦ كم، ومتوسطة المدى (٥ – ١٠ سنوات) بطول ٨٠ كم، وطويلة المدى (١٠ – ٢٣ سنة) بطول ٧٤ كم، ليصل طول هذه الخطوط إلى ٢٣٠ كيلو متر من سكك الحديد، بهدف الاستفادة منها في حل قضية النقل العام. إضافة إلى دراسة سبل توفير النظافة داخل تلك القطارات، وتأمين الراحة، التامة، والسرعة، والأمان، وأسعار التذاكر المناسبة.

وقد وضعت خطة مستقبلية للتركيز في زيادة النسبة المئوية لوسائل النقل العام التي تعمل على السكك الحديدية(٦)، فهناك خطة لزيادة نسبة هذه الوسائل من ١٨٪ في عام ٢٠٠٥م إلى ٢٨٪ في عام ٢٠١٠م، وإلى ٤٢٪ في عام ٢٠٢٣م.

شركات نقل تابعة للبلدية:

انطلاقاً من قناعة بلدية مدينة إستانبول الكبرى، بأن وجود جميع المؤسسات تحت إدارة واحدة؛ لتقوم بعمل معين، سيكون اقل كفاءة وفاعلية، وبأنه من الأنسب أن يكون هناك وحدات تنظيمية منفصلة، تقسم بينها المسؤولية عن المهام الإستراتيجية والتكتيكية، فقد اعتمدت بلدية إستانبول في مشروعاتها على جهتين متفرعتين عنها، ذاتي استقلالية في اتخاذ القرارات، هما: مديرية النقل العام «IETT» التي تأسست عام ١٩٣٩م، وشركة النقل «ULASIM» التي أسست عام ١٩٨٨م، وهي الشركة المسؤولة عن تشغيل عدد من خطوط النقل الداخلي؛ التي تعمل بواسطة شبكة سكة الحديد بمدينة إستانبول، مثل: مترو الأنفاق، والمترو الخفيف الكهربائي، والترام. وتقوم هذه الشركة – أيضاً – بتصنيع جميع القاطرات وصيانتها، إضافة إلى الإشراف على شبكات سكك الحديد. وبعد مرور ١٧ سنة على نظام القطارات، وتقديم خدماتها وتجاربها لبلدية مدينة إستانبول الكبرى، بدأت تساهم في دعم جميع البلديات المنتشرة في المدن التركية، وخارج تركيا أيضاً (٧).

شبكة الطرق الجديدة:

لم تقتصر خدمات بلدية إستانبول على توفير وسائل النقل؛ بل شملت إعداد شبكة جديدة من الطرق، يصل طولها نحو ٣٣٢ كم، إضافة إلى البنية التحتية المناسبة لوسائل النقل العام، وإيجاد الحلول للمواصلات، وحركة المرور، مثل دراسة الطرق، وأنظمة المرور الحديثة، وإشارات المرور، ومشروعات تدفق حركة المرور وانسيابيتها وبشكل مريح من خلال الجسور والأنفاق (٨).

مواقف السيارات:

أثبتت الدراسات والبحوث – التي قامت بها بلدية مدينة إستانبول الكبرى حول عدد مواقف السيارت، وعن طاقتها الاستيعابية للسيارت – أنه يوجد ١,٦٣٠ موقفاً، تستوعب ٢٢٨,١١٠ سيارة، مع العلم أن الطاقة الاستيعابية لمواقف السيارات، يجب أن تصل إلى ٨٠٠ ألف سيارة، مما دفع بلدية مدينة إستانبول الكبرى إلى القيام بدراسة مواقع جديدة وإعدادها وتخصيصها لمواقف السيارات، بطاقة استيعابية تصل إلى نحو ٢١٤ ألف سيارة (٩).

> لم تقتصر خدمات بلدية إستانبول على توفير وسائل النقل: بل شملت إعداد شبكة جديدة من الطرق، يصل طولها نحو ٣٣٢ كم، إضافة إلى البنية التحتية المناسبة لوسائل النقل العام، وإيجاد الحلول للمواصلات، وحركة المرور

لمحة تاريخية عن الترام

يعود تاريخ الترام إلى عام ١٨٤٢م إذ كان أول

مترو الأنفاق أسهم في حل مشكلة المواصلات في إستانبول



استخدام له في مدينة (نيويورك) بأمريكا، ثم بدأ يستخدم في أوربا عام ١٨٥٤م، وفي مدينة باريس، ومن ثم ظهر في إنجلترا عام ١٨٦٠م، أما في مدينة إستانبول فكان أول استخدام له بتاريخ ٣ سبتمبر/أيلول عام ١٨٦٩م، واستخدم للربط بين منطقتي طوب خانة To-phane وأورطاكوي Ortakoy، وفي ٣٠ أغسطس/آب عام

يعود تاريخ الترام إلى عام ١٨٤٢م إذ كان أول استخدام له في مدينة (نيويورك) بأمريكا، ثم بدأ يستخدم في أوربا عام ١٨٥٤م، وفي مدينة باريس، ومن ثم ظهر في إنجلترا عام ١٨٦٠م، أما في مدينة إستانبول فكان أول استخدام له بتاريخ ٣ سبتمبر/أيلول عام ١٨٦٩م

١٨٦٩م تم إنشاء شركة للترام سميت «دار السعادات لتأسيس الترام»، وقد تم إعداد اتفاقية مع هذه الشركة؛ لإعداد السكة الحديدية؛ بهدف نقل سكان مدينة إستانبول، إضافة إلى الأحمال، وقد تم الاتفاق مع مؤسس هذه الشركة ولمدة ٤٠ عاماً. وقد بدأ الترام العمل داخل حدود الإمبراطورية العثمانية، وكان يعتمد على الخيل في سحب قاطراته، كما توسعت استخدامات الترام في عدد من المدن الخاضعة للحكم العثماني، مثل: مدينة (سيلانيك) باليونان، ودمشق، وبغداد. وفي ١٢ يونيو/ حزيران عام ١٩٣٩م، صدر قانون برقم (٣٦٤٢) بتشغيل الترام من قبل الحكومة، وقامت بلدية إستانبول بذلك، وتم تأسيس مديرية النقل العام بمدينة إستانبول في ١٦ يونيو/حزيران عام ١٩٣٩م (١٠).

سلالم كهربائية حديثة

أهم المشروعات التخطيطية والمرورية

قامت بلدية مدينة إستانبول الكبرى، بعدد من المشروعات التخطيطية والمرورية التي كان لها أثر إيجابي في إيجاد الحلول المناسبة لقضية المرور، وحماية النسيج العمراني للمدينة، وقد تم اختيار أهم ثلاثة مشروعات، نتعرف إليها ونستعرضها وفق الترتيب الآتي:

إعادة تأهيل شارع الاستقلال:

يقع شارع الاستقلال بمنطقة بي أوغلو Beyoglu، وهي منطقة مؤلفة من ٤٥ حيًا، وعدد سكانها نحو ٢٢٥ ألف نسمة، وتتميز هذه المنطقة من سائر مناطق مدينة إستانبول بانتشار الفنادق الكبيرة، والمراكز التجارية، والترفيهية، والثقافية، وعدد من السفارات الأجنبية، وتشهد إقبالاً وازدحامًا شديدين طوال ساعات اليوم، ويعدّ شارع الاستقلال الشارع الرئيس - المحور - لهذه المنطقة، وتنتشر فيه البنوك، والمطاعم، والمقاهي، والمسارح، ودور السينما، ولهذا يشهد هذا الشارع حركة دائمة من قبل زواره. وتعود أهمية هذا الشارع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، فقد اكتسب أهمية تجارية كبيرة؛ لانتشار البنوك الأجنبية فيه، وشركات التأمين. وفي القرن التاسع عشر ظهر الترام الكهربائي في هذا الشارع، ومع زوال الإمبراطورية العثمانية، وإعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م، سمي الشارع بشارع الاستقلال، وحافظ على أهميته وحيويته؛ لتدفق الناس في هذا الشارع وبكثرة، بهدف التسوق، أو التوجه إلى المراكز الترفيهية، ودور السينما، والمسارح، والمطاعم. ومع توقف الترام عن الخدمة في مدينة إستانبول بتاريخ ١٢ أغسطس/آب عام ١٩٦١م سيطرت السيارات على

الشارع، وسببت كثيرًا من الازدحامات المرورية وعرقلة في حركة الناس.

وفي أواخر عام ١٩٩٠م أعادت بلدية مدينة إستانبول الكبرى خط الترام التاريخي، الذي كان يربط بين أهم منطقتين بمدينة إستانبول، هما: التونال والتقسيم، إلى ما كان عليه في السابق، حيث تعمل في الشارع ثلاث عربات تم ترميمها وإصلاحها، والاستفادة منها، علماً أن طول الخط ١٦٤٠م، ويقوم هذا الخط كل سنة بـ ١٤،٦٠٠ رحلة، ويقطع ٢٣،٩٤٤ كم، وبمعدل يومي بنقل ٦،٠٠٠ راكب بين طرفي شارع الاستقلال (١١).

وقد استعاد الشارع حيويته، واكتسب بعداً إنسانياً مهماً، بمنع دخول السيارات، وبإعادة تأهيله إلى ما كان عليه في العهد العثماني، وبتدفق زوار الشارع - بكل سهولة - بعيداً من المركبات، والسيارات، والضجيج، وما يرافقه من تلوث بيئيّ ناتج من تلك المركبات، وكان لهذا المشروع بعد سياحي مهم أيضاً.

أهداف المشروع

يهدف المشروع إلى عدد من النقاط الآتية:

- إعادة إحياء الشارع إلى ما كان عليه في العهد العثماني؛ وذلك بالعودة إلى الصورة التاريخية والتوثيقية للشارع قبل تشويهه، من خلال المحافظة على الواجهات المطلة على الشارع، وصيانة بعضها وترميمه؛ لإعادة شكل الشارع إلى ما كان عليه في السابق.

- الاعتماد على الترام التاريخي القديم، بمثل ما كان عليه في السابق؛ للاستفادة منه سياحيًا. بعد أن تمت صيانته من جديد، والاستفادة منه؛ وسيلة نقل عام تنقل الركاب من أول شارع الاستقلال (ميدان التقسيم) إلى آخره (منطقة التونال)، وليتحول إلى تجربة ذات أهداف سياحية.

-عدم السماح بدخول المركبات إلى شارع الاستقلال؛ لتفادي الأضرار الفيزيائية على المباني التاريخية القديمة، ولتخفيف الضجيج، وتلوث الهواء الناتج من المركبات، وللمساهمة في خلق جو مناسب للتسوق في الشارع.

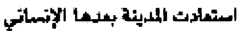
- حل قضية النقل العام، بواسطة الترام الذي يسير على السكة الحديدية، وتم تحديد ثلاثة مواقف له، عند بداية الخط، وفي وسطه، وعند آخره.

- إيجاد الحلول لمرور السيارات من خلال الشوارع الفرعية الضيقة، التي تقاطع مع شارع الاستقلال، وتوحيد اتجاهات السير فيها.

- تأمين مواقف للسيارات خارج شارع الاستقلال، وبخاصة عند بداية الشارع ونهايته؛ لوقوف سيارات أصحاب المحلات التجارية، وزوار الشارع، بهدف التسوق، أو الترفيه.

- رصف أرضية الشارع بالحجارة، وبشكل منتظم، وتزيينه بالأشجار، ونباتات الزينة، والأزهار، إضافة إلى استخدام وحدات إنارة ذات شكل كلاسيكي يتماشى وهذا الشارع وأهميته التاريخية.

- وضع مصدات إسمنتية تمنع دخول السيارات إلى الشارع.


استعادت المدينة بعدها الإنساني





يربط مشروع الأنفاق بين منطقتي تقسيم ولافنت لكثرة المراكز التجارية بينهما

مشروع القطار الكهربائي

اعتمدت بلدية مدينة إستانبول على وسيلة السكة الحديدية، في مركز المدينة التاريخي حلاً أمثل لمعالجة الاختناقات المرورية، وانطلاقاً من حرصها على الحفاظ على النسيج العمراني، أجرت دراسة شاملة لشبكة الشوارع الواقعة ضمن النسيج العمراني لمركز المدينة، لإيجاد الحلول المناسبة في قضية تخفيف الاختناقات المرورية داخل مركز المدينة التاريخي وخارجه، وقد اعتمدت على القطار الكهربائي بخطين مهمين: أولهما يمر من مركز المدينة التاريخي، والثاني يربط بين مركز المدينة التاريخي ومطار مدينة إستانبول الدولي Yenihosna.

ففي عام ١٩٩٤م منعت البلدية حركة مرور المركبات في شارعي عالم دار Alemdar واردو Ordu، اللذين يعدان الشريان النابض في مركز المدينة التاريخي، ويربطان بين أهم المناطق الواقعة في مركز المدينة، مثل: أمين انو Eminonu والسلطان أحمد Sultan Ahmet وبيازيد

Bayazit وأكساراي Aksaray، وتم رصفه بالحجارة، وخصص الشارع لمرور قطارات حديثة ذات مظهر حضاري وعصري، وتسير على السكة الحديدية، وتعمل على الطاقة الكهربائية. يصل طول خط القطار إلى ١٢ كم، ويربط بين منطقتي: أمين أنو Eminonu وزيتبورنو Zeytiburnu، ويتم يومياً نقل ١٥٠ ألف راكب، وبهذه الطريقة تم الاستغناء - بشكل كامل - عن حافلات النقل العام الأخرى، داخل مركز المدينة التاريخي (١٢).

أما المشروع الآخر فقد تم إنشاء خط من سكة الحديد يربط بين منطقة أكساراي Aksaray ومطار مدينة إستانبول الدولي، يبلغ طول الخط ٢٠ كم، وعدد محطاته: ١٨ محطة، أما عدد القاطرات فهو ٧٤ قاطرة، ويقوم القطار بـ ٢٥٥ رحلة، وبمدة زمنية تستغرق ٣٠ دقيقة بين مركز المدينة أكساراي Aksaray ومطار مدينة إستانبول الدولي Yenibosna. وينقل هذا القطار ١٦٥ ألف راكب يوميًا.

وينطلق أول قطار من المطار الدولي وإليه في الساعة السادسة صباحاً، وإلى منتصف الليل، والمدة الزمنية بين تحرك القطارات في ساعات الذروة من ٦ إلى ٨ دقائق. أما في الساعات العادية فكل ١٠ دقائق يتحرك قطار، لتأمين وصول المسافرين من المطار وإليه في الموعد المحدد من دون تأخر عن موعد إقلاع الطائرة، أو في سهولة وسرعة وصول المسافرين القادمين من الخارج إلى مركز المدينة (١٣).

أهداف المشروع:

يهدف المشروع إلى عدد من النقاط الآتية:

- منع دخول المركبات إلى مركز المدينة التاريخي، للحفاظ على المباني التاريخية من الأضرار الفيزيائية، ومن التلوث الناتج من احتراق وقود المركبات.
- حل قضية النقل العام، بواسطة مركبات كهربائية تسير على السكة الحديدية، ولها مواقف محددة.
- إعطاء الأولوية لحافلات النقل العام على طرق الحركة المرورية وشوارعها، وتخصيص طريق ثابت وسط الشوارع الرئيسة، لاستخدام حافلات النقل العام فقط.
- إنعاش المراكز التجارية، والأنشطة التجارية، والعقارية على طول الممرات المخصصة للنقل العام، وبخاصة عند أطراف مواقف القطارات.
- تصميم المخططات المرورية وتنفيذها ضمن نطاق مخطط تنظيمي شامل لمركز المدينة التاريخي ولأطرافه.
- تم تنفيذ المواقف بشكل مدروس، من ناحية ارتفاع مستواها بما يتناسب مع مستوى خط القطارات، ومما يسهل حركة صعود النساء والأطفال والمسنين وذوي الاحتياجات الخاصة ونزولهم. وتوفير أماكن للجلوس، والمنحدرات، و(الحواجز والدرابزينات) والمظلات عند جميع المواقف.
- توفير اللوحات الإرشادية؛ التي توضح طول خط القطارات وعددها، وأسماء المواقف عند المواقف، وداخل القطارات، (يوجد على كل أبواب القطارات مخططات سير حركة القطار، وعند كل محطة يصل إليها يضاء اسم المحطة) مما يسهل حركة تنقل السكان، أو السياح.
- الربط بين مركز المدينة والمطار الدولي، بوسيلة

كانت مدينة إستانبول مركزاً ثقافياً مشعاً بعمائرها، وفنونها الإمبراطورية؛ التي تجسد عظمة السلاطين العثمانيين وقدراتهم. فانتشرت فنونها في كل اتجاه، وتركت أثرها في الحواضر العربية في غرب آسيا، وشمال إفريقية، مثل دمشق، وبغداد، والقاهرة، وتونس


ازدحمت المدينة بسبب كثرة الهجرة من الريف إلى المدينة

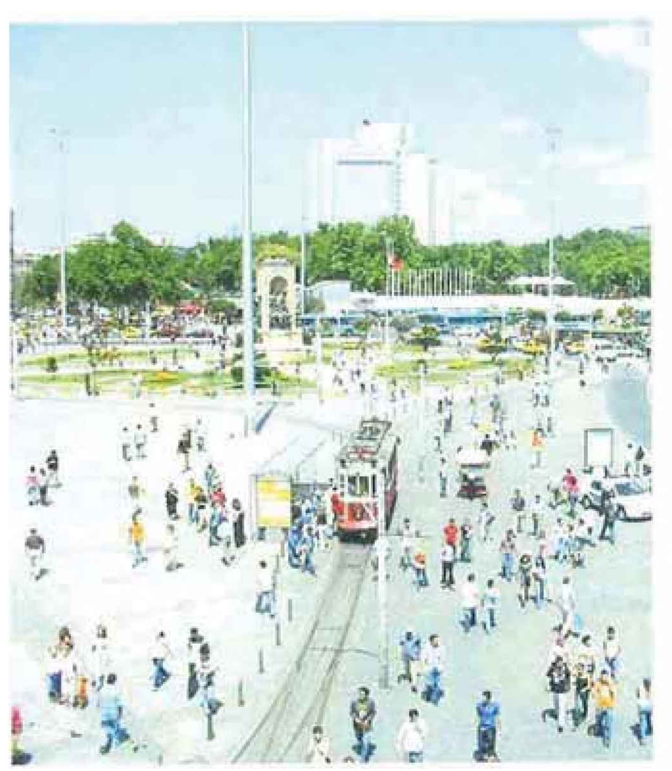
سريعة ومريحة، وبمدة زمنية مناسبة ومحددة، بعيداً عن الازدحامات المرورية.

مشروع مترو الأنفاق بين منطقتي تقسيم Taksim ولافنت الرابعة Levent:4

بدأ العمل بهذا المشروع عام ١٩٩٢م، للربط بين أهم منطقتين، هما تقسيم Taksim ولافنت الرابعة Levent:4 لكثرة المراكز التجارية بينهما، ولشدة الازدحام المروري اليومي، ليصبح جاهزاً بتاريخ ١٦ سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠٠م، وبشكل جمالي وحضاري يناسب مدينة إستانبول، وقد تم توزيع هذا الخط على ٦ محطات، هي: تقسيم - Taksim، عثمان بيك - Osmanbey وشيشلي - Sisli، وغيرات تابا - Gayrettepe، ولافنت - Levent، ولافنت الرابعة Levent4.

ومما يؤكد نجاح تجربة مدينة إستانبول في استقطابها حول مترو الأنفاق، والاستغناء عن استخدام السيارات الخاصة، فقد أثبتت الإحصاءات التي قامت بها بلدية مدينة إستانبول الكبرى عام ٢٠٠٤م، أن عدد الركاب زاد من ٢،٦٥٥،٨٨٣ في يناير كانون الثاني إلى


جامع السلطان أحمد


خطوط الترام حلت كثيرًا من مشكلات المواصلات

٢٩٠، ٤٨١، ٤ في ديسمبر/ كانون الأول.

اهداف المشروع:

يهدف المشروع إلى عدد من النقاط الآتية:

- توفير محطات تحت الأرض وبدرجات حرارة مناسبة، مع توفير جميع سبل الرفاهية والراحة، كوجود أماكن مخصصة للجلوس، ووجود اللوحات الإعلانية، والخرائط التوضيحية لحركة سير المترو، ومعرفة مواعيده؛ وهذا ما يدفع أصحاب السيارات الخاصة إلى اللجوء إلى المترو، والاستغناء عن استخدام سياراتهم الخاصة.

- سرعة الوصول إلى المكان المطلوب، من دون حدوث أي تأخر ناتج من الازدحام اليومي في شوارع مدينة إستانبول، وبخاصة في ساعات الذروة، أو في فصل الشتاء القاسي، وهطول الثلوج التي تسبب - في كثير من الأحيان - انقطاع الطرق، وحدوث كثير من الحوادث المرورية الناتجة من الجليد أو الضباب.

- تخفيف الضغط عن حركة السيارات، بإنقاص عدد وسائل النقل العام من الشوارع الرئيسة، ولتسهيل حركة السيارات في شوارع مدينة إستانبول الضيقة.

- تأمين أجهزة الإنذار ضد الحرائق، وتأمين مخارج الطوارئ والنجاة، مع سرعة الوصول إليها من خلال اللوحات الإرشادية.

- توفير كاميرات للمراقبة، موزعة عند جميع المحطات،


الأوابد التاريخية لا تسمح بفتح شوارع جديدة

تسمح أكبر مساحة ممكنة. إضافة إلى وجود الموظفين الرسميين والمدنيين، لتوفير الأمن والسلامة في محطات المترو، وفي حافلاته في أثناء الرحلة.

أثبتت آخر الإحصاءات السكانية التي شهدتها مدينة إستانبول، أن ٦٢.٧٪ من سكانها، ليسوا من مواليدها؛ بل هاجروا إليها من مناطق أخرى، وبخاصة منطقة الأناضول، بهدف البحث عن العمل ولقمة العيش

- تأمين أجهزة إنذار ضد الزلازل؛ لأن مدينة إستانبول خاضعة للزلازل، وقد شهدت كثيرًا منها.
- توفير المصاعد والسلالم الكهربائية، والأرضيات المتحركة الكهربائية، وبخاصة لذوي الاحتياجات الخاصة.
- توفير الحلول عند حال انقطاع التيار الكهربائي، وذلك بعمل المولدات الكهربائية خلال ١٥ ثانية بعد انقطاع التيار، ووصول القطار رغم انقطاع التيار إلى أقرب محطة، وفي حال عدم التمكن من تشغيل المولدات الكهربائية أو توقفها عن العمل، يمكن المداخلة عن طريق نظام الإضاءة، ونظام الضبط الإلكتروني ولمدة ثلاث ساعات (١٤).



انسياب الحركة في المركز التجاري بعد مشروعات النقل والمواصلات

كيفية الاستفادة من تجربة مدينة إستانبول:

وللاستفادة من تجربة مدينة إستانبول في مجالات النقل العام، نستعرض أهم النقاط التي يمكننا أن نستفيد منها ونطبقها في المدن العربية، ومن أهمها:

- الاستفادة من وسائل النقل العام التي تسير على السكك الحديدية، والتي تعمل على الطاقة الكهربائية، للحد من التلوث البيئي الناتج من دخان المركبات، وللحد من الضجيج الناتج من الحركة المرورية داخل مركز المدينة العربية التاريخي.

- حماية النسيج العمراني لمراكز المدن العربية التقليدية، بمنع دخول السيارات والمركبات إلى محاور مركز المدينة التاريخي، والحد من الضغط المروري للمحاور المتوجهة إلى مركز المدينة التاريخي. ودراسة حركة الشوارع الفرعية المحيطة بمركز المدينة التاريخي، من خلال دراسة تحديد الاتجاه المروري (اتجاه مروري واحد) لضيق الشوارع.

- دراسة إمكانية تخصيص بعض الشوارع ذات الوظائف التجارية، أو الترفيهية للمشاة فقط، بعيداً من الضوضاء، ومن التلوث الناتج من احتراق وقود المركبات، وذلك بمنع دخول المركبات، لسهولة حركة المشاة في تسوقهم، إضافة إلى الاستفادة من وسائل نقل تاريخية، أو جمالية لاستثمار هذا الشارع سياحياً، مثل الترام التاريخي.

- الاعتماد على الطرق المحيطة بالمدينة (الطريق الدائري)

يتميز النسيج العمراني لمركز مدينة إستانبول بعدد كبير من الأوابد التاريخية، التي يعود معظمها إلى العهد العثماني. وقد بدأت هذه النهضة في عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١م). إذ انتشر في عهده - ومن تلاه من سلاطين عثمانيين - كثير من المساجد الضخمة، والكليات التي تحمل اسم السلطان

من دون الدخول إلى مركز المدينة، لتخفيف الازدحامات، في حال توجّه المركبة إلى منطقة أخرى من مناطق المدينة من دون الدخول والمرور من مركز المدينة، مع إيجاد الحلول الشاملة للمشكلات المرورية، على شبكة الطرق الرئيسة، وعدم الاعتماد على الطرق الفرعية فقط.

- تأمين خط حديدي يربط بين مركز المدينة، ومطارها الدولي، مما يسهل سرعة حركة المسافرين، أو القادمين إلى المدينة.

- نقل الأنشطة التجارية والدوائر الحكومية، من مركز المدينة إلى أطرافها؛ لتخفيف الضغط المروري، اليومي وبخاصة من قبل الموظفين والمراجعين، وأن يتم إنشاء المجمعات التجارية الكبيرة ضمن مدن تجارية، أشبه بالمدن الصناعية، وبخاصة على الطريق الدائري للمدينة، بعيداً من مركز المدينة، ومن مبانيها التاريخية.

- الاستفادة من مترو الأنفاق بوصفه وسيلة نقل عام سريعة وحضارية، حتى يستطيع مالكو السيارات الخاصة، الاستغناء عن تلك المركبات، لتساهم في تخفيف الازدحامات المرورية في شوارع المدن العربية، وبخاصة المتجهة إلى مركز المدينة.

- إيجاد مخطط متكامل للنقل والمرور يتماشى مع المخطط العام الكامل للمدينة، وأن تكون المخططات والحلول المقترحة، من أنفاق، أو جسور (كباري) يتم إنشاؤها ستساهم في تحقيق سهولة المرور في جميع المناطق، وأن تتكامل، بعضها مع بعض، بحيث تخدم منطقة متكاملة، أو محوراً طولياً، وألاّ تحصر في منطقة واحدة فقط. مع مراعاة العنصر البيئي، مثل الجسور (الكباري) العلوية التي تم إنشاؤها من دون أن يكون هناك فراغ عمراني، ويؤدي ذلك إلى خدش خصوصية المواطنين المجاورين لهذه الكباري.

المراجع والهوامش

١. محمود زين العابدين: تطوير وإحياء النسيج العمراني لمراكز المدن التقليدية: مركز مدينة إستانبول التاريخي كتجربة متميزة. ندوة مركز المدينة العربية التقليدية بين الحاضر والمستقبل - حمص الجمهورية العربية السورية (١ - ٣) يونيو (حزيران) ٢٠٠٤م.

٢- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة: - المجلد الثاني - مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول - إرسيكا، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ٧٣٥.

٣. أوقطاي أصلان ابا: فنون الترك وعمائرهم، إستانبول، ١٩٨٧م، ص ٢١٤ - ٢١٥

٤. د. خليل إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: د. محمد م. الأرناؤوط: الأردن، ص ٢١٦.

٥. محمود زين العابدين: تطوير وإحياء النسيج العمراني لمراكز المدن التقليدية: مرجع سابق.

٦. موقع بلدية مدينة إستانبول الكبرى على الإنترنت: www.ibb.gov.tr

٧. موقع شركة النقل بمدينة إستانبول على الإنترنت: www.istanbul-ulasim.com.tr

٨. المصدر نفسه.

٩. موقع بلدية مدينة إستانبول الكبرى على الإنترنت: www.ibb.gov.tr

١٠. موقع مديرية النقل العام بمدينة إستانبول على الإنترنت: www.iett.gov.tr

١١. موقع بي أوغلو على الإنترنت: www.beyoglu.com

١٢. محمود زين العابدين: تطوير وإحياء النسيج العمراني لمراكز المدن التقليدية: مرجع سابق.

١٣. موقع بلدية مدينة إستانبول الكبرى: www.ibb.gov.tr

١٤. موقع شركة النقل بمدينة إستانبول: www.istanbul-ulasim.com.tr



الخيول العربية
تراث أصيل، وتاريخ طويل

عبدالعزيز إسماعيل أحمد
الحسكة - سورية

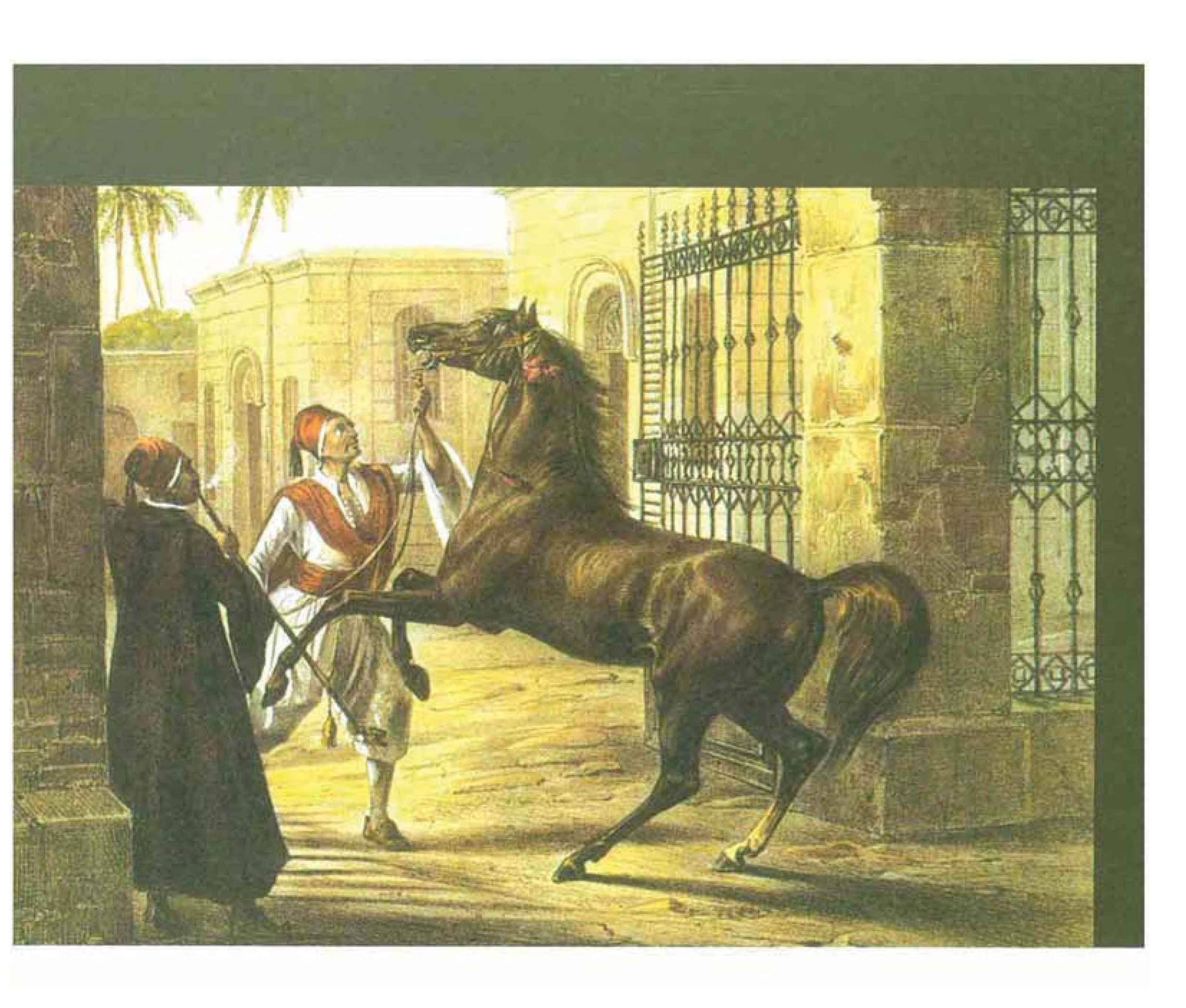
دلت الاكتشافات الأثرية، والنقوش القديمة على جدران الكهوف، والحفريات المتعددة، أن تاريخ الخيول يعود إلى ما يقرب من ٥٠٠ مليون عام، وذلك طبقاً لمتحف التاريخ الطبيعي في نيويورك، الذي أطلق على الأحصنة الأولى اسم (إيو هيبوس ثمّ ميزوهيبوس، وميوهيبوس)، حتى وصلت إلى (هيبوس، وإكويوس، والحصان الحديث).

ومنذ وجود الإنسان على سطح الأرض، أدت الخيول دوراً رئيساً في تطوره وحضارته، ولم يخدم الجنس البشري حيوان مثل الحصان خلال العصور كافّة (١).

لقد كانت الخيول في العصر الحجري، من الحيوانات المتوحشة التي تهيم في البراري، وتعيش في قطعان كبيرة، وكان الإنسان يلاحقها ليصطادها؛ لكونها إحدى الوجبات الغذائية التي يتناولها، ويؤكد ذلك، كميات العظام الهائلة التي تعود إلى هذه الحيوانات، والتي وجدت حول بعض الأماكن المأهولة في ذلك العصر.

وفي الألف الثاني قبل الميلاد، بدأ الإنسان بترويض الحصان وتدجينه؛ لأنه أدرك فوائده الكثيرة، وبخاصّةً عندما اكتشف الصيادون سرعة الحصان العجيبة، وطريقته الذكية التي كان يفتنّ فيها للتخلص من شراكهم.

وكانت سهوب آسيا الوسطى المنغولية، أول المناطق التي تمّ فيها ذلك، ومنذ ذلك التاريخ راح الإنسان يستخدم الخيول في الركوب والجر، ويعدّ الصينيون أول من استخدم الخيول للركوب، واتخذوها رمزاً للقوّة والنبالة. وفيما بعد، أصبحت

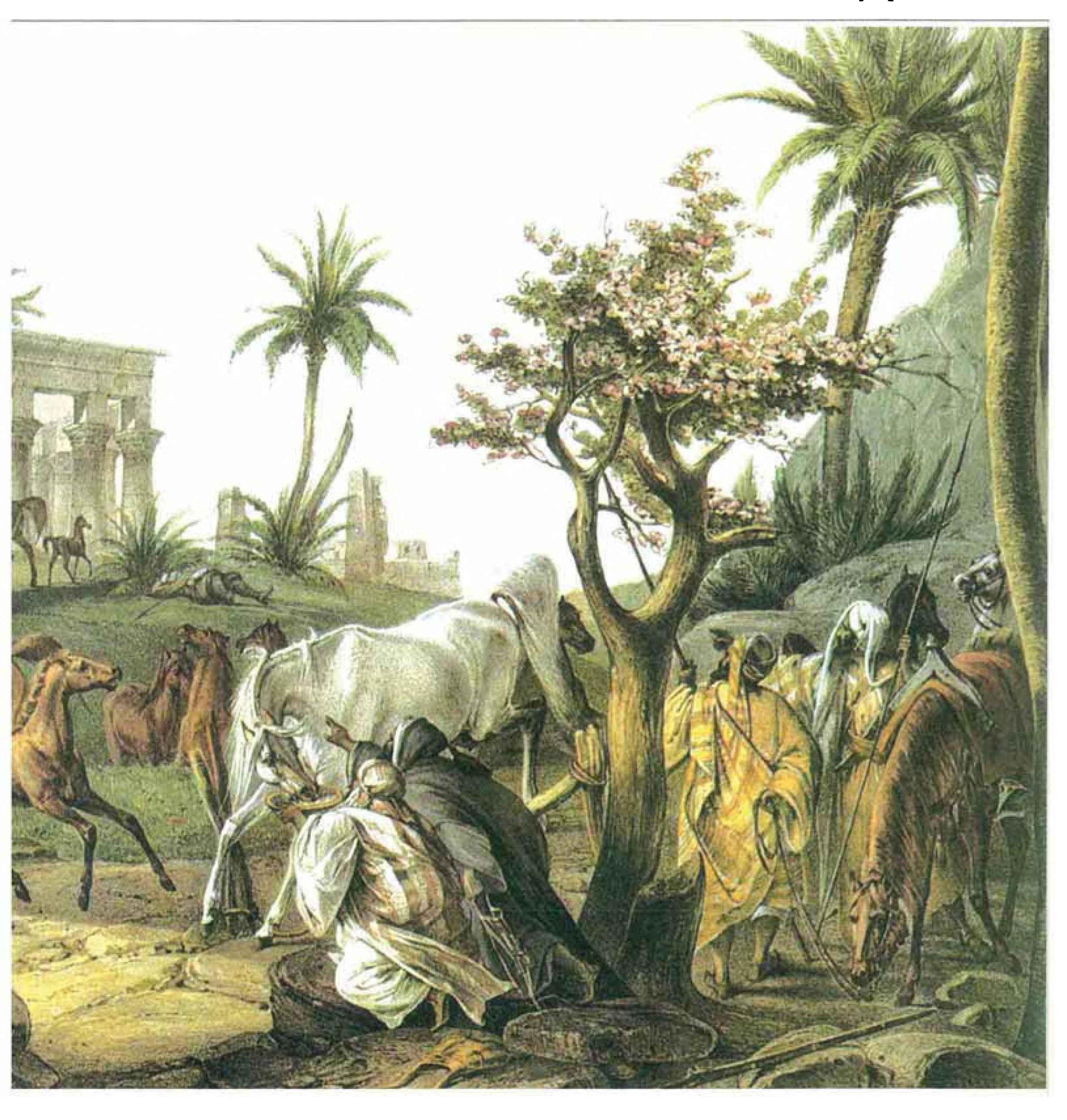


الخيول تدخل في المعتقدات الدينية، والتقاليد الاجتماعيّة لبعض الحضارات (٢).

وكلمة «حصان» مشتقة من اللغة اللاتينية، ومن «إيكوس كابايوس equus cabius»، وقد جاء ذكر الخيول والأحصنة في قصة سفينة نوح عليه السلام قبل ملايين السنين، كما جاءت في التاريخ البابلي القديم مجموعة كبيرة من المعلومات الخاصّة بالخيول وركوبها عام (١٦٠ ق٠م)، ونقشت صورة الحصان على تابوت الملك الفرعوني «حور محب»، وقد استخدمه قدماء المصريين عام (١٨٥ ق٠م) في حروبهم ضدّ الهكسوس (٢).

وقد اهتمّ «رمسيس الثاني» بالخيول اهتماماً بالغاً، وبخاصةً في مجال الحروب، وعرف عنه حبّه الشديد للخيول التي كان يطعمها بنفسه.

لقد كان الإنسان على مرّ العصور بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الخيول، لما لها من صفات تتميّز بها دون سواها من الحيوانات، (كالسرعة، والشجاعة، والوفاء، والذكاء)، فكانت رفيقةً أمينةً له في اي وقت، وفي أي مكان، وفي كل الظروف، في الحرب وفي السلم، في السفر وفي



يعدّ الصينيون أول من استخدم الخيول للركوب، واتخذها رمزاً للقوّة والنبالة، وفيما بعد أصبحت الخيول تدخل في المعتقدات الدينية، والتقاليد الاجتماعيّة لبعض الحضارات

الترحال، في الغزوات والفتوحات، وفي الصيد والقنص. وكل إمبراطوريّة في التاريخ قامت على ظهور الخيل، ابتداءً من إمبراطوريّات الصين والهند والمغول والتتار، إلى الإغريق والرومان، إلى الإمبراطوريات الحديثة نسبيّاً، كالفرنسية، والإسبانية، والبريطانية.

كما كان للخيول دور بارز ورئيس في الفتوحات الإسلاميّة وانتشار الحضارة العربية الإسلامية من الأندلس إلى الهند وإلى السند.

الخيل والفروسيّة عند العرب

تحتل الخيول مكانةً تاريخية مرموقة عند العرب، إذ كانت رمزاً للبطولة والشجاعة والبسالة؛ لأنّها مرتبطة بالفروسية، والخيل رمز من رموز الجمال والوفاء والصبر، فالفرس والفارس والسيف، عدّة الحرب في التاريخ

اعتنى الخلفاء بالخيل، وضاعفوا من رواتب الفرسان؛ ليوسعوا بالإنفاق على خيلهم، وكانوا يحاسبونهم على إهمالها حساباً عسيراً، ويقربون إليهم البارزين من الفرسان ويبالغون في إكرامهم

العربي، ولم تكن العرب تصون شيئاً من أموالها وتكرمه، كصيانتها الخيل وإكرامها، حتى إن العربي يبيت طاوياً ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وأهله وولده، وكانوا يعيّر بعضهم بعضًا بهزال الخيل، وسوء رعايتها، وينكرون ذلك في أشعارهم، يقول الشاعر الجاهلي «عنترة العبسي»:

أبني زبيبـــةَ مـــا لمهــركُمُ
مــتــهــوّشــاً وبطونُكم عُــجــرُ

ويقول عمرو بن مالك :

وســابحٌ كــعــقــاب الدّجن اجــملهُ
دون العــيــالِ لهُ الإيثــارُ واللُطفُ

وانطلاقاً من كون الخيول كانت عوناً للقوم على انتصاراتهم على أعدائهم، وصناعة أمجادهم، كانت تُكرَمُ وتُفَضّلُ على العيال، لذا أوصى «أكثم بن صيفي» قومه بالخيل قائلاً: «عليكم بالخيل، فأكرموها، فإنّها حصون العرب»، وقال فيها يزيد العبدي:

مُــفـــدّاةٌ مُكرّمَـــةٌ علينا
تجــاعُ لهــا العــيــالُ ولا تُجــاعُ

كما كانوا يفدونها في المعركة بأنفسهم، ويتلقّون دونها الضربات، فهي أكرم عليهم من انفسهم، وأعزُّ عليهم من أرواحهم، فهذا «ضبيعة القيسي» يحمي جواده بنفسه وبرمحه، كما يحميه جوادُهُ بلبانه ومنكبيه، فيقول:

يقـــيني باللبـــان ومنكبـــيـــهِ
وأحـــمـــيـــهِ بمطّردِ الكعـــوبِ

كما كانوا يفضلونها على نسائهم، وتطالعنا أشعارهم بما كان يدور بين العربي وشريكة حياته من حوار وملاحاة في هذا الشأن، يقولُ عنترة:

لا تذكــري مُــهــري ومــا أطعــمــتُــهُ
فــيكون جلدُكِ مــثلَ جلدِ الأجــربِ
إنّ الغــبـــوقَ لهُ وأنتِ مـــســوءةٌ
فــتــأوّهي مــا شــئتِ ثُمّ تحــوّبي

كَــذَبَ العـــتــيقُ ومـــاءُ شنٍّ باردٍ
إن كُنتِ سائلتي غبـوقـاً فـاذهبي

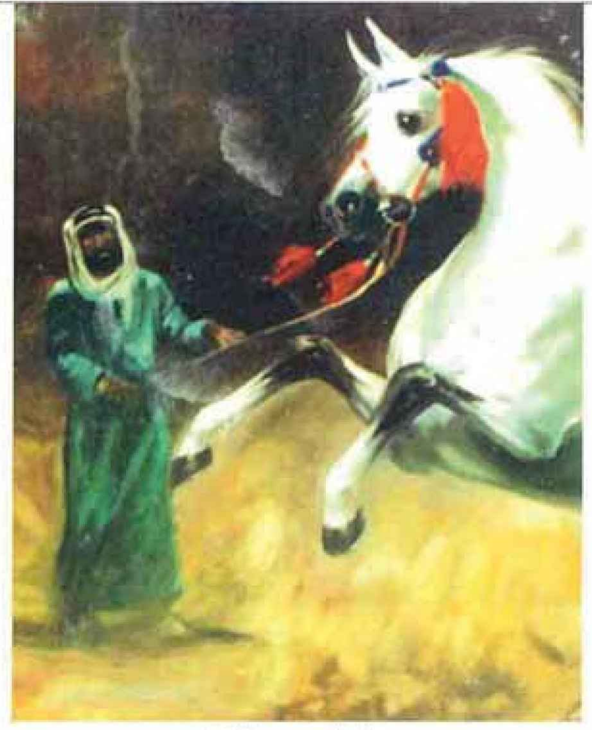
والأسمر الجعفي الذي قتل أبوهُ وهو غلام، فرضي إخوته لأبيه بالدية، وقنعوا بها، وقعدوا عن طلب ثارهم، وباعوا فرس أبيهم، وآثروا تزويج امهم بعد تسمينها، يهجوهم لذلك ويفخر بأنهُ اقتنى الخيل، وأدرك عليها ثار أبيه، فيقول:

باعـوا جـوادَهمُ لتـسـمـنَ أمُّـهـم
ولكي يعـودَ على فـراشـهـم فـتـى
علجٌ إذا مـــا بُزّ عنهـــا ثوبُهـــا
وتخـــامـصت قـالت لهُ: امّـا ترى

وقد ذكر «ابن الكلبي» في كتابه «أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام» أنّ أوّل من ركب الخيل، واعتنى بها، هو «إسماعيل بن إبراهيم» عليه السلام. وكان نبي الله داوود عليه السلام محبّاً للخيل، مشغوفاً بها، فجمع منها ألف فرس ورثها عنه «سليمان» عليه السلام، وقال فيها: «ما ورّثني داوودُ مالاً أحبُّ إليّ من هذه الخيل» وقيل: إنّه جلس يوماً يستعرض خيوله حتى شغلته عن صلاة العصر، ولم يبقَ منها سوى مئة فرس، فأدرك فوات الصلاة فغضب، وقام لصلاته، ثم عاد لاستعراض المئة الباقية قائلاً: (هذه المئة أحبُّ إليّ من التسعمئة التي فتنتني عن ذكر ربّي).

وتؤكد الأبحاث التاريخيّة أنهُ كان للفروسية والفرسان، عند العرب في الجاهلية، المقام الأكبر، والمكانة الأولى، إذ كانوا يسجلون بطولاتهم شعراً، فتنتشر بين القبائل، ويُتَغنّى بها في الأسواق، «كسوق عكاظ»، وفي البادية والأمصار.

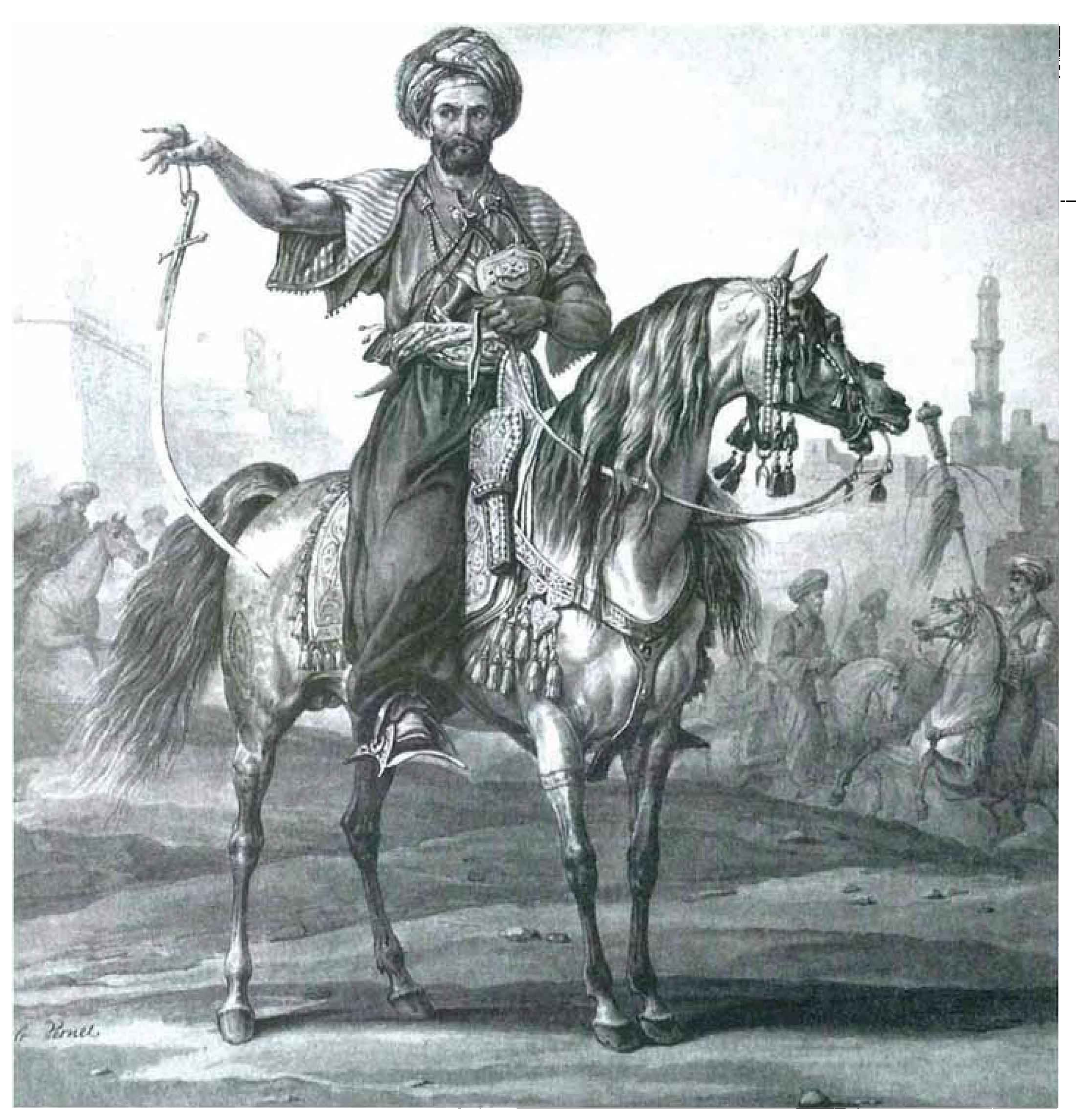
وهناك مجموعة كبيرة من الأسماء التي حفظتها ذاكرة التاريخ من الفرسان، الذين تجلّت فيهم صفات العروبة الحقّة، الجيّاشة بالفتوّة والبسالة، والمُثيرة



يتوارث العرب حب الخيل

للفخر والاعتزاز، ومن أشهر هؤلاء الفرسان (عامر بن مالك) الذي أسماهُ الرسول صلى الله عليه وسلّم فيما بعد «زيد الخير» بدلاً من «زيد الخيل»، ومن هؤلاء الفرسان أيضاً: «عمرو بن معد يكرب، ودريد بن الصمّة، وأميّة بن حرثان الكناني، وعمرو بن كلثوم، والشنفرى الحارثي القحطاني، والحارث بن عبّاد الرّبعي، والمُهلهل بن

كانت للفروسية العربية آدابٌ نبيلة تجمع بين النّخوة والشرف، والرّحمة والتّقوى، والإقدام. وقد خلب الفرسان العرب بآدابهم هذه ألباب الشعوب الأوربيّة، التي اتّصلت بهم في القرون الوسطى، سواء عن طريق الحروب الصليبية في الشرق أم عن طريق صقلية والأندلس



الخيول رمز للبطولة والشجاعة

ربيعة التّغلبي، وعنترة بن شدّاد العبسي، وربيعة بن مكدّم ».

هذا شأنُ الفروسية والخيل عند العرب، في تاريخهم المديد، وفي جاهليّتهم، إذ كانوا يرون الفرس رأس المال الأثمن، وكأنّها فردٌ من العائلة، وبواسطتها يتمُّ كسب الرّزق، لذا سارت أقوالهم:

«عليكُم باقتناء الخيل، فإنّ ظهورها عزٌّ، وبُطونَها كنز».

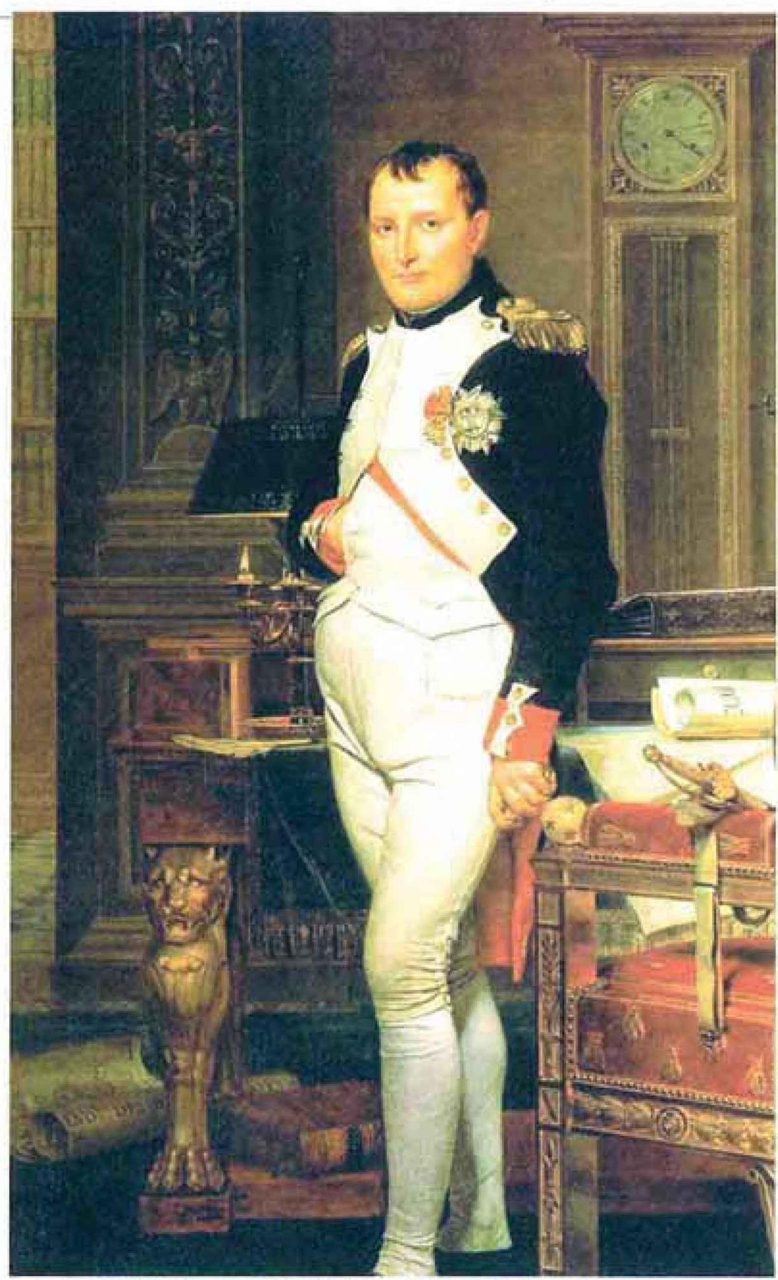
مكانة الخيل في الإسلام

عند بزوغ فجر الإسلام، وانبثاق الرّسالة العصماء أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باتخاذ الخيل،

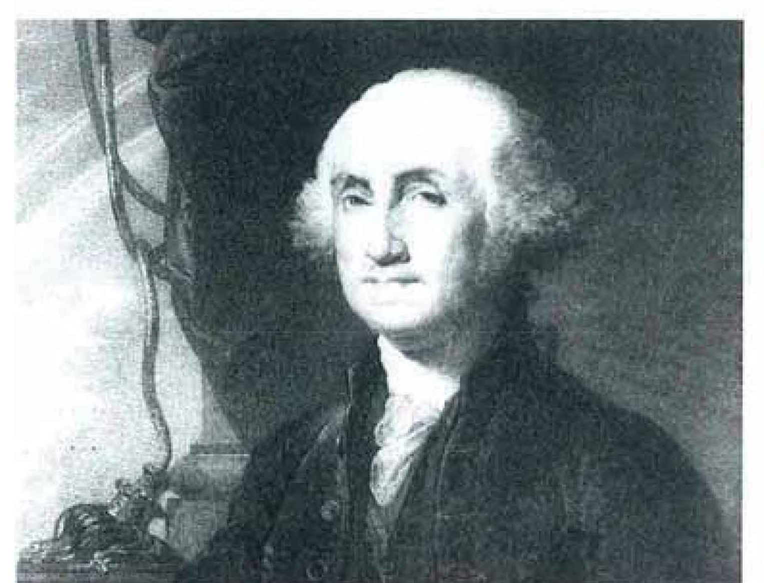
وارتباطها، وإكرامها، فقال صلى الله عليه وسلّم: «من ارتبط فرساً في سبيل الله كان لهُ مثلُ أجرِ الصّائم والقائم، والباسطُ يدهِ بالصدقة ما دام يُنفقُ على فرسه». وأكّد الرسول صلى الله عليه وسلم ارتباط الخيل لتكون جاهزةً للقتال ومجابهة الأعداء، انطلاقاً من قولِ الله تعالى:

﴿وأعِدّوا لهُم ما استطعتم من قوّةٍ ومن رباط الخيل تُرهبون بهِ عدوَّ اللهِ وعدوَّكُم﴾ (٤).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم من أصون الناس، وأكرمهم للخيل. وكان محبّاً لها، معجباً بها، يبتهج، ويُسرُّ لصهيلها، وكان يمسحُ وجه فرسه بثوبه، وأسهم صلى الله عليه وسلم للفرسِ سهمين، ولفارسها سهمٌ واحدٌ من مغانم الحرب، وعدّها فألَ خيرٍ إلى يومِ القيامة، فقال: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ



جورج واشنطن ونابليون من القادة الذين حرصوا على اقتناء الحصان العربي



لم تكن العرب تصون شيئاً من أموالها وتكرمه، كصيانتها الخيل وإكرامها، حتى إن العربي يبيت طاوياً ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وأهله وولده، وكانوا يعيّر بعضهم بعضاً بهزال الخيل، وسوء رعايتها، ويذكرون ذلك في أشعارهم

القيامة، وأهلُها مُعانون عليها»، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن إيذاء الخيل، وخصائها، وجزِّ أذنابها، وأعرافها ونواصيها، وكل ما من شأنه إذلالها؛ لأنّ من طباعها: «الخيلاء، والزهوّ بالنفس، ومحبّة صاحبها، وهي كبني البشر، طبعها المراح، والزّعل، والاكتئاب، ويُروى أنّهُ كان للرّسول صلى الله عليه وسلّم، ثمانية عشر فرساً، أشهرها: (اللزّاز (٥)، واللحّاف (٦)، والمرتجز (٧)، والسّكب (٨)، واليعسوب، والبحر (٩)، وسبحة (١٠)، والظّرب (١١)، والورد (١٢)، والمُلاوح (١٣) ..). وقد اعتنى الصحابة الكرام بالخيول، ووضع الخلفاء وصيّة الرسول صلى الله عليه وسلّم نصب أعينهم، من حيث إكرام الخيل، والعناية بها، فكان عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه من أشهر فرسان الصحابة، ومن أقواله المأثورة: «لن تخورَ قوىً ما دام صاحبها ينزع وينزو» (١٤).

انطلاقاً من كون الخيول كانت عوناً للقوم على انتصاراتهم على أعدائهم، وصناعة أمجادهم، كانت تُكرَمُ وتُفَضّلُ على العيال، لذا أوصى "أكثم بن صيفي" قومه بالخيل قائلاً: "عليكم بالخيل، فأكرموها، فإنها حصون العرب"

لقد اعتنى الخلفاء بالخيل، وضاعفوا من رواتب الفرسان؛ ليوسعوا بالإنفاق على خيلهم. وكانوا يحاسبونهم على إهمالها حساباً عسيراً، ويقربون إليهم البارزين من الفُرسان ويبالغون في إكرامهم، ومن أبرز الفُرسان في العصر العبّاسي «أبو الوليد بن فتحون» الذي برز في عهد المستعين، وكانت تُضرب بشجاعته الأمثال، فقرّبه الخليفة، وأغدق عليه الأموال، وذاع صيته بين الروم، الذين كانوا يخشونه من مجرّد ذكر اسمه.

وفي القرآن الكريم فضّل الله سبحانه وتعالى الخيل على سائر الحيوانات، وجميع الأنعام، والسّوائم، وأعلى من شأنها، ورفع من قدرها ومكانتها في نفوس عبادهِ المؤمنين، وحبّبها إليهم، ورغّبهم في اقتنائها واتخاذها، قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ للنّاسِ حُبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المُقنطرة من الذّهب والفِضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدُّنيا واللهُ عندهُ حُسن المآب﴾ (١٥)

وفي معرض الامتنان على عباده، وتعداد نعمه عليهم بما خلق من دواب سخّرها وذللها، لهم، وجعلها ركوباً وزينة، قال الله تعالى: ﴿والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةً﴾ (١٦).

لم يكن كل هذا التّكريم للخيل في الإسلام، إلا لتكون وسيلةً للمؤمنين للجهاد، وإعلاء كلمة الله. فقد رسمت الخيلُ لصاحبها طريق الفلاح بدقّةٍ واستقصاء، لم يُترك مَعهما ثغرةً أو تأويل، حين قال صلى الله عليه وسلّم: «الخيلُ ثلاثة، فرسٌ للرّحمن، وفرسٌ للإنسان، وفرسٌ للشيطان، أمّا فرس الرحمن فما اتُّخِذَ في سبيل الله، وقُوتِلَ عليهِ أعداؤه، وفرسُ الإنسان ما استطرق عليه، وفرسُ الشّيطان ما وهن عليه».



الفروسية العربية أساس الفروسية الغربية

الخيل والفروسية في الأدب العربي

انطلاقاً من كون الفرس كالولد عند العربي، كان يهنأ بوجودها، يقول ابن رشيق: «وكانوا لا يهنؤون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تُنتج»، ويقول ابن هُذيل: «فلم تزل العرب تُفضّل الجياد من الخيل على الأولاد، وتستكرمها للزينة والطرد، على أنّهم ليطوون مع شبعها، ويظمؤون مع ريّها، ويؤثرونها على أنفسهم، وأهليهم عند حلول الأزمة واللأواء، واغبرار آفاق السنة الشهباء»، ويقول الجاحظ: «لم تكُن امّة قط أشدُّ عجباً بالخيل، ولا أعجبُ بها من العرب». ومن فرطِ حب العربي للخيل واقتنائها كانوا يعدون من لا يملك فرساً هو الفقير، يقول الشاعر:

ولا مالَ إلا الخيل عندي أعدّهُ
وإن كُنتُ من حُمرِ الدّنانيرِ مُوسرا

أقاسمها مالي وأطعمُ فضلها
عيالي وأرجو أن أُعانَ وأؤجرا

لقد رافق العربي فرسه في السلم والحرب، وبثّهُ أفراحهُ وأتراحهُ. فهذا الشاعر امرؤ القيس يصف فرسه وصفاً جميلاً فهو: «مُقبلٌ مُدبرٌ معاً» أي: أنهُ سلسُ العنان، حسن الخلق، وقد شبّهه بالصخرة المندفعة بقوّة السيل من أعلى الجبل:

مُكرٍ مُفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً
كجُلمودِ صخرٍ حطّهُ السّيلُ من علِ

يزلُّ الغُلامُ الخفُّ عن صهواتهِ
ويلوي بأثوابِ العنيفِ المثقّلِ

ويصف الشاعر عنترة العبسي جواده في سياق وصفه المعركة، فنرى جواده تغطيه الدّماءُ، من كثرة الرّماح التي صوّبها الأعداءُ نحوهُ، ونحو فرسه، ولو أنّ الجواد يعرف الكلام لشكى أمرهُ يقول:

يدعون عنترَ والرّماحُ كأنّها
أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهمِ



مـا زلتُ أرمـيـهم بثـغـرةِ نحـرهِ
ولبـــانه حـــتى تســـربلَ بالدّمِ
فـــازورَّ من وقعِ القنا بلبـــانهِ
وشكـى إليّ بعـــبـــرةٍ وتحــمــحُـمِ
لو كـان يدري مـا المُحاورةُ اشـتكى
ولـكـان لـو عـلِـمَ الـكـلامَ مُـكَـلِّـمـي

صفات الجياد العربيّة

تتميز الجياد العربية الأصيلة بصفاتٍ خاصّةٍ بها، وهي ثابتة ومعروفة منذُ القِدَم، وهناك مجموعة من العلامات المُلازمة لها، التي تميزها من غيرها، وهي:



جُبل العرب على إكرام الخيل والعناية بها



«قصبة الأنف مُقعّرة، ابتعاد الذَّنَب عن الجسم وارتفاعه بشكل جميل، إذ يأخُذ شكل ريشة نعام، رأسُهُ مخروط الشكل، المنخران واسعان، النظرات ذكيّة، الأهداب سوداء طويلة ومُكحّلة، الأذُنان صغيرتان موجّهتان دوماً نحو الأمام، شعر الجلد قصير تبينُ منهُ العروق، عنق الأنثى مقوّسة نحوَ الأعلى، وعنق الذكر مثلثة، قويّة، عريضة القاعدة، والحارك ظاهرٌ وبارز، والصّهوة عريضة، الكفل مُكتنز مملوء، العرُف طويل وناعم كالحرير، الجبهة عريضة، شعر الذَّنَب طويل وناعم». وقد جمع شاعرٌ عربيٌّ قديم صفات الجواد العربي في بيتين من الشعر، هُما:

وقد أغـتـدي قـبلَ ضوء الصّباح
وورد القطا في الفـلاة الحـثـاث
بصـافي الثـلاث، عـريض الثـلاث
قـصـيـر الثـلاث، طويل الثـلاث

واختلف المفسّرون في معاني هذين البيتين، فمنهم من يرى أن صافي الثلاث: اللون، والعين، والصهيل، أو الأديم، والعين، والحافر. وعريض الثلاث تعني: الصدر والصهوة، والجبهة، أو الصدر، والجبهة، والمنخر. وقصيرُ الثلاث تعني: الرّسغ، ووظيف اليد، والعسيب، أو الظهر، والسّاق، والعسيب. وطويل الثلاث تعني: العُنُق، والخد، والذراع، أو الأذُن والفخذ، والسّالفة.

وتختلف الأفراس الإناث عن الذكور في الخيول العربية الأصيلة، برأسها الأصغر وأذنها الأطول، ورقبتها الأقلّ تقوّساً، وجسمها الأكثر طولاً، والأعرض كِفلاً، وعضلات الفرس أكثر ليونةً، وأقلّ وضوحاً.

وتمتاز الخيول العربية برقتها، ووفائها، وحُسن خلقها، ويبلغ متوسّط ارتفاع الجواد نحو ست وخمسين بوصة، وعُمرُهُ يراوح بين (٢٠ و٣٢عاماً).

وقد اختصر القزويني صفات الحصان بأنّهُ: «أحسن الحيوانات شكلاً بعد الإنسان، وأرشدُ الدّواب عَدْواً،

وذكاءً، ولهُ خصالٌ حميدة، وأخلاقٌ مُرضيّة، ولهُ صفاءُ اللون، وحُسن الصورة، وتناسب الأعضاء، وحُسْن طاعته الفارس، كيف شاء صرفه، وانقادَ لهُ، ومن الخيلِ من لا يبولُ، ولا يروث ما دامَ الرّاكبُ عليهِ.

ألوان الخيل: (١٧)

امّا أصولُ الألوان فهي أربعة: بياض، وسواد، وحمرة، وصفرة. والحقيقة أن الأصل البياض، والسواد؛ لأن الحُمرة والصفرة إليهما ترجعان، ومنهما ينشأان .

البياض: الناصع البياض هو (أشهب قرطاسٌ)، فإن خالطته صفرة فهو (أشهب سوسني)، وإن خالطتهُ حُمرة فهو (صنّابي). وإن خالطه سواد فهو(حديدي). وإن غلب البياض فهو (كافوري). ومثله (أشهب واضح) فإن كان أبيض فيهِ بُقع تخالفه فهو (أبقع). وإن تفرّقت البُقَع فهو (الشام)، وهو (أشيم). وإن كانت نُقطاً صِغاراً، أو كثُرت فهو (أرقط). وإن زادت صغراً وكثرةً، فهو (أنمر)، فإن تناهت في الصغر فهو (أنمَش) و(أبرّش). إن كانت شبيهة طرق فهو (مجزّع). فإن صغُرَت الطرق فهو (مُغرّب).

ـ السّواد: الخالص السّواد هو (أدهَم). فإن كان حالك السّواد فهو (غيهبيّ) فإذا اشتدّ سوادهُ حتى يضرب إلى الخُضرة من شدّته. فهو أخضر، وهو (الدّيزّج) في كلام العجم. فإن كان بين الدهمة والخضرة فهو (أحوى). فإذا خالطت سوادهُ شُقْرَة فهو (أدبَس) فإن خالطتهُ حُمرةً، أو صُفْرة فهو (أحمّ). فإن كان سوادهُ يضرب إلى البياض حتى يقرب من لون الرّماد فهو (الأورَق)، ونحوهُ (الأكهب)، ودونهُ من السّواد (الأربد).

ـ الحُمْرَة: الأحمر الخالص إذا اسودّ عُرفهُ وذيلهُ فهو (وَرْد) والأنثى (وَرْدة) والجمع (وراد). فإن كانت حُمرتهُ في سواد فهو (كُميت)، وكذلك الأنثى بلفظ الذكر. فإن اشتدّت حمرته في السواد فهو (كميت



تأثير الفروسية العربية في الغرب يماثل التأثير العربي في فلسفة العلوم

مُدَمّى) فإن صفرت حمرة الورد شيئاً من غير سواد، وعرفهُ وذيلهُ إلى البياض فهو(أشقر) (١٨)، فإذا كانت كمتتهُ بين السواد والبياض فهو (وردٌ أغبس) وهو (السّمند) عند الفُرس، وإذا قارنت حُمرتَهُ السّواد فهو (أصدأ) (١٩)، فإن زادَ السّواد شيئاً على الحُمرَة فهي (الجؤوة) والفرسُ (أجاى).

الصُّفْرَة: الأصفر الخاص، إذا كان بلون الذهب

فهو (أصفر فاقع) فإذا كان عُرفهُ وذيله إلى البياض فهو (أصفر فاضح)، فإن كان عرفه وذيله أسودين، فهو (أصفر مُطرَّف) ويكون التطريف سواد الأذنين دون سائر البدن؛ أيّ لون كان، فإذا كان الأصفرُ مُطرّفاً أسود فهو (سحابي)، فإن كان بقوائم الأصفر خطوطٌ سود، فهو (موشّى)، فإن كان لا شيَةَ فيه ولا وضح أيُّ لونٍ كان، فهو (مُصَمَّت) و(بهيم) و(البلق) في الخيل ضعفٌ ونقص في قوّتها (٢٠).

ومن المعروف أنّ الجواد «الأدهم الأسود» من أكثر الخيول المُستَحَبّة والنّادرة عند العرب، ويُستَحبُّ الأزرق والأشهب عندَ ملوك العرب وأمرائهم.

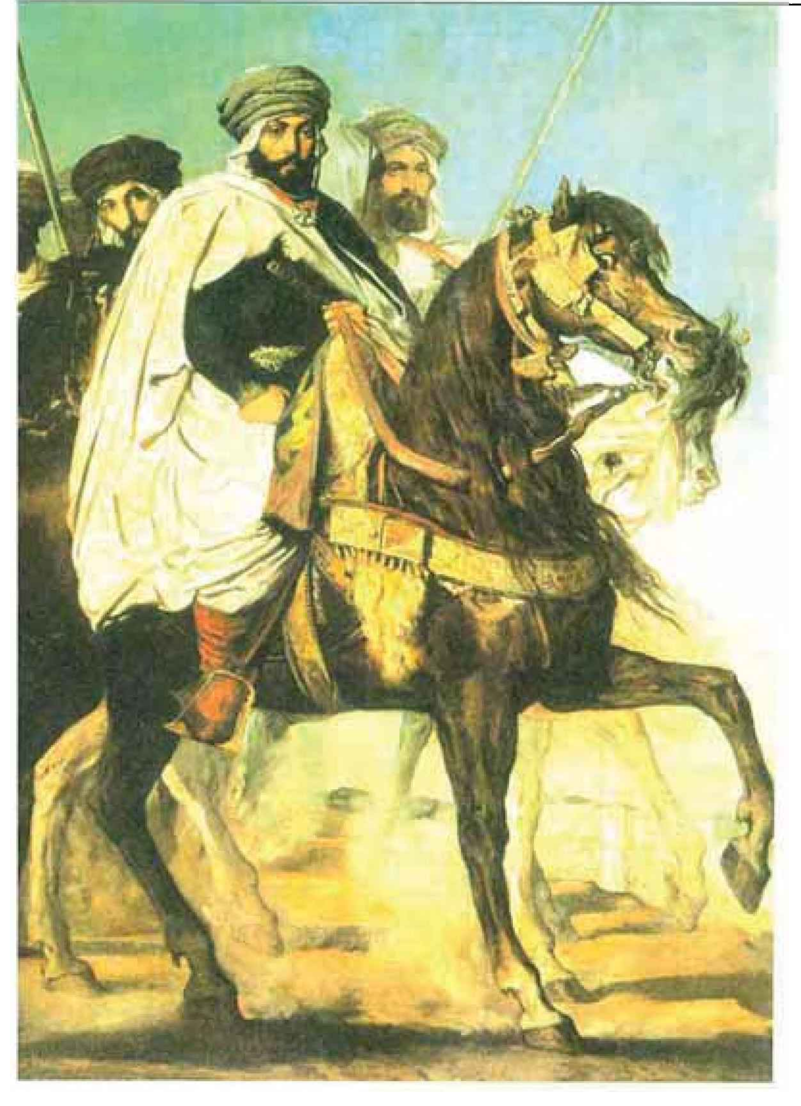
أصل الخيول الأوربيّة وأثر الفروسيّة العربيّة في الشعوب الأوربيّة:

نشأت الجياد الأوربية الأصيلة كافة من ثلاثة فروع هي: «غودلفين العربي، دارلي العربي، بايرلي التّركي» وهناك سلالات أخرى مثل «العربي الأبيض، والعربي الكستناثي، وليدز العربي، ولينستير التركي» وكلها سلالات تعود إلى العالم العربي وشبه الجزيرة العربيّة.

إن سيادة الحصان العربي على خيول العالم أجمع جعلته محطّ أنظار الباحثين، إذ توصلوا إلى أنّ الحصان العربي نقيّ الدّم، وهو حصانٌ فريدٌ في نوعه في العالم، فاقتناه أعظم المُهتمّين، وعلى رأسهم: «نابليون، وجورج واشنطن، والدّوق ويلنكتون»، وغيرهم.

يقول شاعر فرنسا الكبير لامارتين: «إنّ عيون الجياد العربيّة هي لغة بكاملها، فالجواد العربي يُعبِّرُ بعينهِ المتّاجرة عن كُلِّ شيء، وبها يفهم كُلَّ شيء، وتنفجرُ في مجراها حدقة من نار، وسطَ بياض مُبقّع بالدّم».

لقد كانت للفروسية العربية آدابٌ نبيلة تجمع بين النّخوة والشرف والرّحمة والتّقوى، والإقدام. وقد



دور بارز للخيول في الفتوحات الإسلامية

خلب الفرسان العرب بآدابهم هذه الباب الشعوب الأوربيّة، التي اتّصلت بهم في القرون الوسطى، سواء عن طريق الحروب الصليبية في الشرق أم عن طريق صقلية والأندلُس.

وقد أكّد الباحثون في الغرب أنّ أساس الفروسية الغربية هو الفروسيّة العربيّة، يقول العلامة «نيكلسون»: «من الممكن تتبُّع فروسية العصور


الفرس رأس المال الأثمن عند العرب

في كتابه «حضارة العرب» عن قواعد الفروسيّة، فقال: «للفروسية العربية شروطها، كما للفروسية الأوربية التي ظهرت بعدها، فلم يكُن المرءُ يُعَدُّ فارساً، إلا إذا تحلّى بهذه الصّفات العشر: الصّلاح، والكرامة، ورقّة الشّمائل، والعزيمة الشعرية، والفصاحة، والقوّة، والمهارة في ركوب الخيل، والقُدرة على استعمال السّيف، والرُّمح، والنُّشاب. وكان عرَب إسبانيا يتّصفونَ بالفروسيّة المثاليّة، فيرحمون الضُّعفاء، ويرفقون بالمغلوبين، ويقفون عند شروطهم، وما إلى ذلك من

تؤكد الأبحاث التاريخيّة أنه كان للفروسية والفرسان، عند العرب في الجاهلية، المقام الأكبر، والمكانة الأولى، إذ كانوا يسجلون بطولاتهم شعراً، فتنتشر بين القبائل، ويُتَغنّى بها في الأسواق

الوسطى، وإرجاعها إلى بلاد العرب الجاهليّة؛ لأنّ شهامة الفُرسان ومُغامراتهم، وإنقاذ العذارى من السّبي، والمُساعدة التي كانت تُقدّم في كُلّ مكان للنساء المُحتاجات إلى مُساعدة، كل هذه صفاتٌ عربيّة، وقد أطلِقَ عليها في أوربا كلمة (نبُل أو بُطولة) والصلة وثيقة بين هذه الأعمال المجيدة والفارس، ذلك البطل النّبيل الشريف. لذلك اقترن الشعر بالفروسية في أوربا، كما اقترن عند العرب، بل أصبحَ شرطاً من شروطها، وصارَ لِزاماً على الفُرسان أن يقرضوهُ صغارًا وكبارًا».

وتحدّث الكاتب الفرنسي الشهير «غوستاف لوبون»

الآداب التي اقتبستْها الأمم النّصرانيّة بأوربا منهُم».

ويقول «أفريم هويه» (٢١): «إنّ العرب هم الذين بدؤوا تعليم الفروسية للعالم كلّه».

ويقول «دنيس بوغروس» (٢٢): «لقد فعل العرب بالنسبة إلى الفروسية ما فعلوهُ بالنسبة إلى الفلسفة، والعلوم كافة. فقد نقلوا إلينا التُّراث القديم شرقيّاً، ويونانيّاً بعد أن أضافوا إليه نتاجَ حضارتهم الأصيلة، وهذا التُّراث هو الذي سمح لأوربا أن تخرُجَ إلى النّور، بعد أن قضت فترةً طويلةً في ظُلُمات القرون الوسطى».

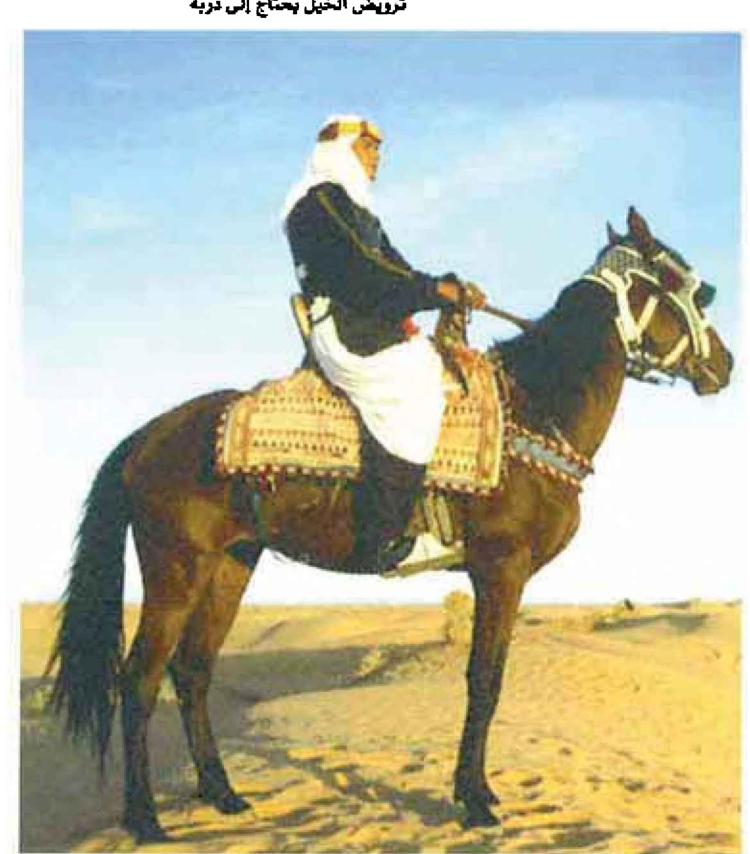
وكان من عادة الكونت دور أن ينصح مواطنيه الفرنسيين قائلاً: «على طُلّابنا أن يتعمّقوا تماماً

بالمبادئ العامّة للفروسيّة العربيّة، بحيث تُصبح تلك المبادئ مبادئَهم».

وذكر رنول في كتابه «تاريخ الجيش الفرنسي» أنّ الأوروبيين أخذوا عن العرب فكرة الفرسان الملثمين. كما أخذوا عنهم فكرة الفُرسان المُجرّدين من الدّروع والأسلحة الثقيلة.

وينسب سيديو إلى العرب ابتكار قصص الفروسية التي انتشرت من بعدهم في إسبانيا، وما كان يتبع في ترديدها من رقص وغناء.

ترويض الخيل يحتاج إلى دربة



الهوامش والمراجع

١. يقول أحد المؤرّخين: «إنّ تاريخ البشريّة كُتِبَ على صهوة جواد».
٢. ففي الهند كان الإله «فيشنون» يتقمّص على شكل حصان أبيض.
٣. والدّليلُ على ذلك مجموعةٌ من الرسوم، والنقوشات المُكتشفة على المقابر الفرعونيّة.
٤. سورة الأنفال، الآية ٦٠.
٥. اللزّاز: أهداهُ المُقوقس للرّسول صلى اللهُ عليهِ وسلّم.
٦. اللحاف أو (اللحيف): أهداهُ للرّسول مروة بن عمرو من أرض البلقاء، وقيل: أهداهُ لهُ ربيعة بنُ أبي البراء.
٧. المُرتجز: سُمّي بذلك لحسن صهيله، وقد اشتراهُ صلى الله عليه وسلم من أحدهم.
٨. السّكب: اشتراهُ النّبي صلى الله عليه وسلّم من أعرابي بعشرة أوراق، وكان اسمه (الضرس) وكانَ عليهِ يومَ أحُد.
٩. البحر: اشتراه صلى الله عليه وسلم من تُجّارٍ قدموا من اليمن، فسبق عليه عدّة مرّات.
١٠. سبحَة: اشتراهُ صلى الله عليه وسلّم من أعرابيٍّ من جُهينة بعشرةٍ من الإبل.
١١. الظّرب: أهداهُ للرّسول صلى الله عليه وسلّم فروة بن عمرو النّافرة الجُذامي.
١٢. الورد: أهداهُ له تميم الدّاري.
١٣. المُلاوح: أهداهُ لهُ وفدٌ من الرّهاويين.
١٤. ويُقصد بذلك: مادام صاحبها ينزع في القوس وينزو على الخيل أي: يثبُ عليها عند الركوب من غير الاستعانة بالرّكاب.
١٥. سورة آل عُمران، الآية ١٤.
١٦. سورة النّحل، الآية ٨.
١٧. راجع مقال «الخيل ذلك العالم المجلون» مجلّة (الفيصل) العدد الأوّل، السنة الأولى - رجب سنة ١٣٩٧ هجرية، يونية عام ١٩٧٧ ميلادي.
١٨. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتيمّن بالجواد الأشقر فيقول: «يُمْنُ الخيل أشقرُها» ويقول أيضاً: «اللهُمّ بارك في الأشقر» ويتباين اللون الأشقر في أنواع فهو: (ذهبي، وعسلي، ومحروقي، وورديّ، وأشقر شائب بذيل أبيض).
١٩. مأخوذ من صدأ الحديد.
٢٠. قال محمد بن سلام: لم يسبق في الحلبة فرسٌ أبلق ولا بلقاء.
٢١. أفريم هويه: رئيس المرابط الفرنسيّة في القرن الماضي.
٢٢. وهو من كبار خُبراء الحصان العربي في فرنسا.

- مجلة «الحرفيّون»، دمشق، العدد ١٥٤، نيسان عام ١٩٩٥م.
- مجلة «جيش الشعب»، دمشق، العدد ١٧٢٣، ص ٢٤.
- مجلة «الكويت»، العدد، ٣٧، سبتمبر عام ١٩٨٥م.
- مجلة «جيش الشعب»، دمشق، العدد ١٦٦٩، تاريخ ١٥/١٠/١٩٩١م.
- مجلة «الدّوحة»، قطر، العدد ١٠٧، نوفمبر عام ١٩٨٤م.
- مجلة «كليّة الملك خالد العسكريّة»، الرياض، العدد ٤٥، ربيع وصيف عام ١٩٩٥م.
- مجلة «الكويت»، العدد ١٤١، يوليو عام ١٩٩٥م.
- مجلة «العربي»، الكويت، العدد ٣٤٦، سبتمبر عام ١٩٨٧م.
- مجلة «الشرطة»، دمشق، العدد ٣٥٩، آب عام ١٩٩٦م.
- مجلة «الأصيل»، دمشق، العدد الثاني، السنة الأولى، أيلول عام ٢٠٠٣م.
- مجلة «الفيصل»، الرّياض، العدد الأوّل، السّنة الأولى، يونية عام ١٩٧٧م.



فن السيكودراما

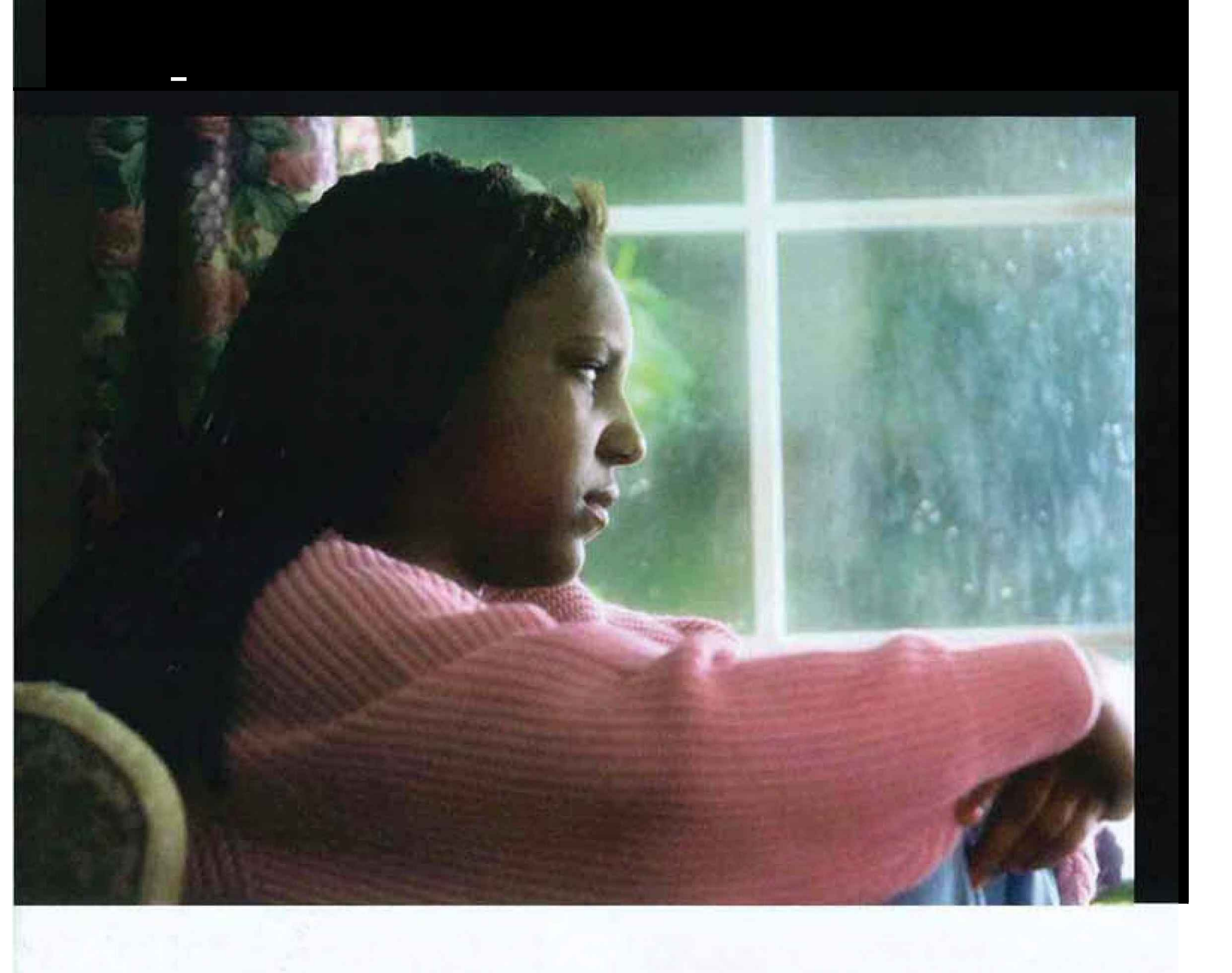
عبدالرحمن محمد العيسوي

الإسكندرية ـ مصر

السيكودراما Psychodrama أحد مناهج العلاج النفسي الجماعي، أسسها عالم النفس النمساوي مورينو J.L. Moreno، وفيها يقوم المريض بتمثيل أدوار معينة، يحددها له المعالج النفسي، أو يمثل عدة مواقف أو مشكلات على خشبة المسرح في حضور المعالج، وعدد من المرضى من أصحاب المشكلات النفسية المتشابهة، هؤلاء المرضى يكونون الجماعة العلاجية therapy group.

وتقوم هذه العملية العلاجية على أساس من افتراض مضمونه أن قيام الفرد بأداء الدور على خشبة المسرح يسمح له بالتعبير عن الانفعالات والمواقف والصراعات والأزمات والمشكلات التي يعاني منها، وإخراجها إلى حيز الوجود، ويستطيع أن يواجه الصراعات العميقة في نفسه، وذلك في بيئة تتوافر له فيها الحماية والمساندة، فلا يتلقى النقد، أو الصد، أو اللوم، أو المحاكمة، أو الإدانة، مهما كانت تصرفاته؛ لأن الموقف الدرامي كله مصمم بحيث يسمح له بالتعبير عن انفعالاته في جو يتسم بالقبول والتسامح، ويختلف هذا الموقف المتسامح عما لو كان المريض يروي مشكلاته الرئيسة في العمل أو لمعلمه أو لوالده أو غيرهم من رموز السلطة. وقد تشمل الجماعة العلاجية جميع أفراد أسرة المريض، وفي هذه الحالة يتم عرض المشكلات الأسرية على خشبة المسرح أمام الجميع فيتعرف كل منهم ما أتاه من صواب أو خطأ (1).

ويلاحظ أن هذا المنهج في العلاج النفسي يستمد أصوله من مدرسة التحليل النفسي، تلك المدرسة التي



تؤمن بوجود الدوافع والصراعات اللاشعورية، وتؤمن بقيمة التفريغ الانفعالي، أو التصريف الانفعالي، أو تطهير الذات مما بها من مشكلات وصراعات، وتنظيفها عن طريق الفضفضة، أو الإفصاح عما يجثم على صدر المريض من المشاعر والدوافع والصراعات الداخلية الحبيسة، لكي تجد طريقها إلى النور والعلن، وتعبر عن نفسها، ومن ثم يمكن التعامل معها ومعالجتها وفهمها.

هنا يعبر أعضاء الجماعة العلاجية عن صراعاتهم الانفعالية أو عواطفهم، في صورة جماعية، وعلى خشبة المسرح. ومن خلال القيام بأداء الدور Role - taking أو أخذ الدور يتم تشجيع المريض كي يفصح عن جذور مشكلاته، ومن ثم يمكن مناقشتها مع الجماعة في حضور المعالج، وفي وسط جو يتمتع فيه المريض بالحماية من قبل الجماعة العلاجية والمعالج، يشعر المريض بالتحرر، كي يعبر عن انفعالاته تلك التي كانت جاثمة على صدره، حبيسة الذات (٢).

وقد ابتكر هذا المنهج من العلاج النفسي في

بالتمثيل يتم إخراج المشاعر المكبوتة

العشرينيات من القرن الماضي مورينو - عالم النفس النمساوي - وهنا يعبر المشاركون عن صراعاتهم الانفعالية في حضور أو أمام أعضاء الجماعة العلاجية على خشبة المسرح، فإذا كان هناك شاب يخاف، ويرتعد من النساء، فإن المعالج يضعه على خشبة المسرح مع سيدة من سيدات الجماعة العلاجية، وقد تقوم بدور أمه على خشبة المسرح، ويطلب منه المعالج أن يقوم معها بدور الابن في مرحلة الطفولة، وقد يتطلب المشهد تدخل أعضاء آخرين، مثل من يقوم بدور والده وأشقائه وأخواته، وهنا سوف تتضح مصادر خوفه من النساء في وسط هذا الموقف العائلي.

وتتنوع الأدوار في هذا المنهج، إذ يمكن قلب الأدوار او تغييرها واستبدالها Role reversal، كأن يتحول دور



يفيد استخدام التنويم المغناطيسي في إزالة "المقاومة" من نفس المريض: أي رغبته في عدم الإفصاح عما بداخله. كما يساعد التنويم على استرجاع الحادثة في حيويتها وفاعليتها وكثافتها بما يزيد على حالة اليقظة

الأب إلى دور الابن، أو دور مدير المؤسسة إلى دور العامل والعكس.

وفيما يعرف بالمنهج الثنائي double technique يصعد المعالج فوق خشبة المسرح، ويقوم هو بتمثيل الدور الذي قام بتمثيله المريض، وفي الوقت نفسه يقوم المريض بتمثيل هذا الدور.

وهناك طريقة تعرف باسم طريقة المرآة العاكسة، يقوم فيها اعضاء جماعة العلاج بتمثيل دور كل منهم، بمعنى أن يقوم كل منهم بتمثيل أدوار الآخرين من زملائه Mirroring، وتستهدف هذه العملية أن يرى، ويلاحظ المريض غيره وهو يقوم بما قام به، وبذلك يدرك ما بهذا التصرف من أخطاء وعيوب، وهنا يقوم كل منهم بدور المرآة العاكسة التي تعكس أدوار زملائه، وسوف يرى المريض كيف تصرف كل منهم، ولماذا أتى بهذا التصرف، كأن تكون مشاجرة مع الزوجة أو مشكلة مع صاحب العمل (٢).

ويستعمل منهج السيكودراما مع السجناء، ومع المرضى، ومع أصحاب المشكلات في المجالات المهنية، ومع الأطفال، والمراهقين.

ومن خلال عملية السيكودراما يمكن الكشف عن بناء شخصية المريض، أو عن تكوينها، كما تكشف عن العلاقات الشخصية المتبادلة أو عن تفاعلات المريض مع غيره من الناس، وعن الصراعات والتوترات والمشكلات العاطفية أو الانفعالية، ويتم استكشافها بأساليب درامية أو تمثيلية، وهنا تتحول المشكلات الانفعالية إلى دراما من خلال شخصيات:

١ـ المريض والممثل Protagonist وهو الذي يقوم بتمثيل مشكلته على خشبة المسرح، أو بتمثيل أي دور آخر يحدده له المعالج.

٢ـ مساعد المخرج auxiliary ego، ويمثل بعض أدوار المريض.

٣. المعالج أو المخرج، ويساعد أعضاء الفريق العلاجي في تحقيق الفهم أو الاستبصار لمشكلاتهم؛ أي: الفهم الموضوعي والواعي لما يعانون منه من المشكلات.

وعلى المعالج أو المخرج أن يكون نشيطًا وفاعلاً، وأن يشارك الجميع، ويشجع أعضاء الفريق على التلقائية في التعبير، وعلى ذلك فله وظيفة التشجيع والتحفيز والإثارة في وسط الجماعة.

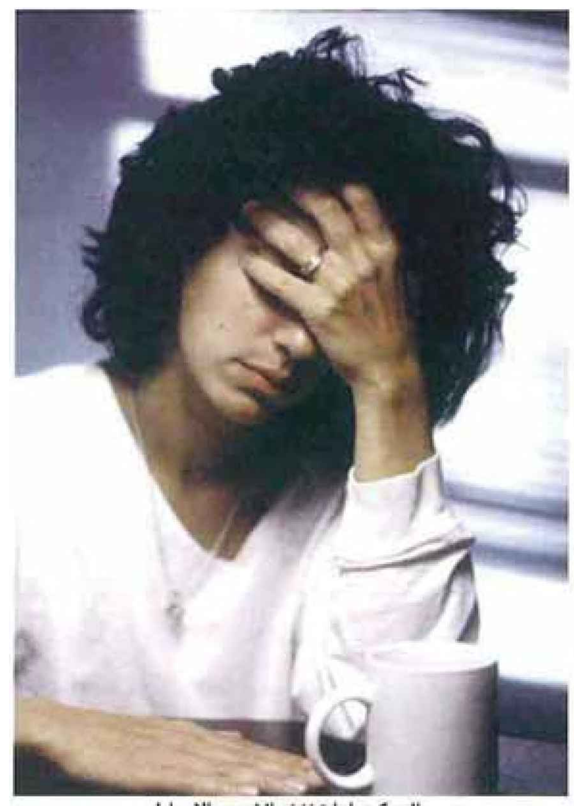
ويتعين عليه أن يكون مستعدًا دائمًا لمساعدة الجماعة، ويتطلب دوره أن يكون على خبرة مهنية وتخصصية عالية، وأن يكون مستعدًا لتقديم العون للفريق باستمرار.

والمريض هو الذي يختار الموقف الذي يرغب في عرضه على خشبة المسرح في الموقف الدرامي، وقد يختاره له المعالج، وقد يشترك جميع الأعضاء في التمثيل، وقد يكتفي بعضهم بالمشاهدة أو الملاحظة، ولكن الجميع يستفيدون من حيث إمكانية تقمص الأدوار التي تعرض على خشبة المسرح، ويتأثرون بالأحداث التي يتم عرضها عن طريق عملية التقمص أو التوحّد مع شخوص الرواية أو المسرحية، والجميع مطالبون بالتعبير بتلقائية وعفوية عن الأفكار والمشاعر في كل لحظة من لحظات الدراما، وأن يتم التواصل بينهم وبين المشاعر المعروضة، بحيث يستطيع الجميع أن يبدوا رأيهم في الدور.

وقد يركز العمل الدرامي في جانب واحد من جوانب

السيكودراما تدرب المريض على التلقائية




السيكودراما تخفف الشعور بالإحباط

المشكلة، كعرض حلم من الأحلام التي شاهدها المريض، أو بعرض مشكلة الأسرة، أو أي موقف في المجتمع المحلي، أو أي مشكلة في مقر عمل المريض، كوجود خلاف بينه وبين رئيسه في العمل، وقد يتم التعبير عن دور رمزي عن الفساد أو التسيب، أو التعبير عن اتجاه لا شعوري أو التعبير عن موقف خيالي لم يحدث بعد، ولكن من المحتمل أن يحدث في المستقبل.

وهناك أيضًا يمكن عرض بعض الأعراض الذهانية أو العصابية، والتعامل معها على خشبة المسرح، مثل: الهلاوس؛ أي: المدركات الحسية الزائفة التي يعاني من الإحساس بها المريض، أو الهذاءات، أو الضلالات، وهي أفكار زائفة تشغل ذهن المريض، وقد يسمع المريض على المسرح بعض الأفكار والمشاعر، وقد يقوم المريض بعدة أدوار، وليس دورًا واحدًا، وقد يتم استخدام التنويم المغناطيسي أو بعض العقاقير في ثنايا المعالجة، ويساعد التنويم المغناطيسي على إضعاف مقاومة المريض وعزوفه عن التعبير الصريح (٤).

من خلال عرض المريض لمشكلته، ومن خلال مناقشة الأعضاء معه، فإنه يتأتى لمزيد من الوعي بمشكلته، وفهمها فهمًا جيدًا، ويؤدي دوره كما لو كان دورًا حقيقيًا، وعن طريق التمثيل يتم إخراج المشاعر المكبوتة، ويتم تخفيف الشعور بالإحباط والفشل (٥) بتكليف المعالج المريض بتمثيل دور على خشبة المسرح أو موقف من مواقف الحياة، أو خبرة من الخبرات المتصلة بمشكلته، وقد يقترح الموضوع المعالج أو المريض نفسه، ففي أحد المواقف الدرامية قامت زوجة المريض بإخباره بأنها على علاقة برجل آخر، وأنها ستهم بالانصراف عنه أو مغادرة المنزل، وتترك الحرية للعميل للتصرف كيفما يشاء بطريقة تلقائية بالطريقة التي يراها مناسبة لذلك، ويكلف أعضاء الفريق كل بدوره، ويطلق عليهم مساعدي الذوات aux-iliary egos وبذلك يكشف المريض عن تنظيم شخصيته ودوافعه وصراعاته وأساليبه في الدفاع عن ذاته، ويفرغ المريض خبراته الصدمية السابقة أو الصدمات التي تعرض لها فقد يعبر عن مخاوفه أو سخطه أو شعوره بالغيرة أو بالذنب أو ميله لاتهام ذاته، ويعبر عن رغباته التي يعجز عن التعبير عنها في الحياة الواقعية، أو يتصرف في موقف ما على خشبة المسرح ويناقشه فيه زملاؤه، هذه المادة التي يعرضها المريض على خشبة المسرح، تخضع بعد ذلك للتحليل والمناقشة

والحوار في جلسات مقابلة مع المعالج.

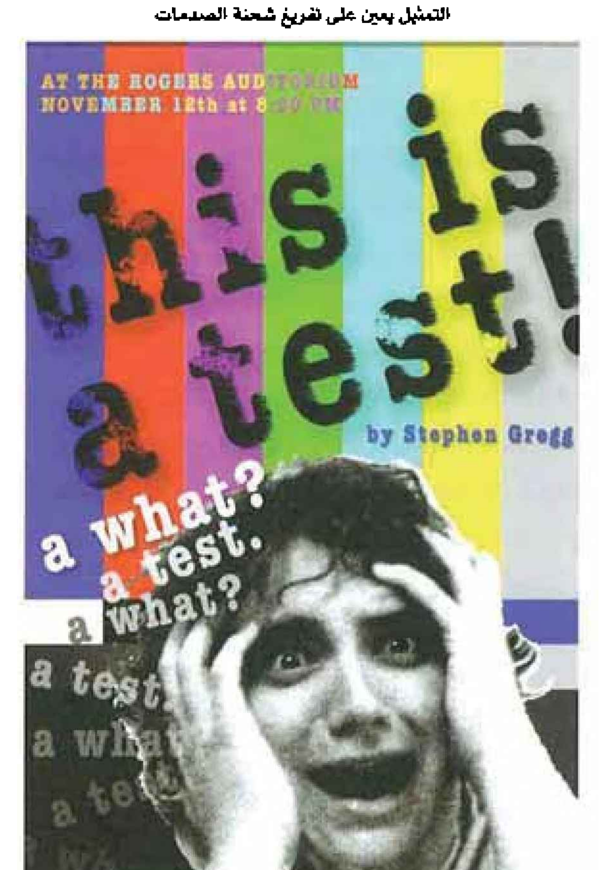
وتكمن قيمة السيكودراما في تدريب المريض على التلقائية في التعبير عن مشكلات الماضي، والتعامل معها بطريقة أفضل من ذي قبل، أو التدريب على استقبال مشكلات جديدة ناجمة عن الموقف أو عن المشاهدين، وهنا يتعلم المريض كيفية التعبير عن ذاته بسهولة وبتلقائية، ويتدرب على مقابلة المواقف الجديدة بكفاءة واقتدار عندما تواجهه، وقد تبين أن هذه الطريقة تحرر أو تخلص المريض من قمع انفعالاته أو كبتها وحبسها، وينمي هذا المنهج فيه كثيرًا من المرونة والمهارة في إقامة العلاقات الاجتماعية، ويدربه على حسن التصرف.

ويفيد استخدام التنويم المغناطيسي في إزالة «المقاومة» من نفس المريض: أي: رغبته في عدم الإفصاح عما بداخله، كما يساعد التنويم على استرجاع الحادثة في حيويتها وفاعليتها وكثافتها بما يزيد على حالة اليقظة، وبعد الكشف عن هذه المواد الحبيسة وخروجها إلى السطح، يناقشها المعالج مع المريض مما يزيد من وعيه وفهمه واستبصاره لمشكلاته، وتعليمه تعليمًا انفعاليًا أو عاطفيًا أو نفسيًا (٦) المواقف التي كانت صعبة في حياة المريض، ويكتسب مهارة وثقة بنفسه لمواجهة هذه المواقف، ويتم تمثيل مواقف حقيقية تلك التي يحتمل أن يواجهها بعد خروجه من المستشفى، من ذلك الصعوبة التي يجدها في الالتحاق بوظيفة جديدة بعد خروجه من المستشفى العقلي، وعزوف أصحاب الأعمال عن تعيين هؤلاء المرضى السابقين، كما تقدم مواقف تستهدف مساعدة المرضى على التمتع بروح الجماعة، والتوحد معها، وفهم المرضى بصورة أفضل، وغير ذلك من المشكلات الزوجية أو مشكلات العمل أو المشكلات مع إدارة المستشفى، ويمكن تأدية دور زوجة الأب أو الأرملة، أو رغبة الشاب في ترك منزل الأسرة، والاستقلال عنها، والزواج وتكوين أسرة، أو عرض المشكلات مع الأصدقاء.

وعندما يتبادل المرضى أدوارهم كممثلين أو مشاهدين، وتوضع هذه الأدوار بقصد إثارة مواقف

على المعالج أو المخرج أن يكون نشيطًا وفاعلاً، وأن يشارك الجميع، ويشجع أعضاء الفريق على التلقائية في التعبير، وعلى ذلك فله وظيفة التشجيع والتحفيز والإثارة في وسط الجماعة

التمثيل يعين على تفريغ شحنة الصدمات





السيكودراما تفتح الطريق أمام المريض للوعي بنفسه

ومشكلات ذات معنى مجسد أو مشخص أمام المشاركين؛ من أجل إزالة الاستجابات الانفعالية السلبية نحو هذه المواقف. وفي هذا المنهج يتم تدريب المرضى على الإدراك النفسي والاجتماعي والذاتي، وبذلك يصل المريض إلى معرفة أعمق بذاته. وكان مورينو مصمم هذه الطريقة العلاجية يعتقد أنها وسيلة لحل المشكلات الاجتماعية والنفسية، وإزالة التناقضات والأخطاء في ردود الأفعال، وتصلح هذه الطريقة لعلاج مشكلات الأطفال، والأمراض العقلية والنفسية، والأمراض الجسمية ومشكلات الإدمان، وجنوح المراهقين، وغيرهم (٧).

فالسيكودراما من المناهج الحديثة في علم النفس التي تعتمد على أسس علمية ومنهجية، وتفسح الطريق أمام المريض للوعي بنفسه، وإدراك سلوكه، ومن ثم تصويب هذا السلوك، أو تعديل اتجاهاته تجاه مواقف الحياة المختلفة، ويصلح لاستخدام علاج جميع الأمراض، وبين مختلف الفئات العمرية.



1- Reber, A.S., (1995), Penguin Dictionary of Psychology, penguin Books, London

2- Alloy, L.B. and Others, (1996), Abnormal Psychology, McGraw - Hill, New York

٣. المصدر السابق نفسه.

4- Kaplan, H.I., and Others,1995: 844)

٥. طه، فرج عبدالقادر وآخرون، (١٩٩٣م) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، القاهرة والكويت.

6-Coleman, J.C., 1056, Abnormal Psychology, Scott, Chicago.

٧. بتروفسكي أ.ف، ياروشفسكي م.ج، ترجمة سعد الفيشاوي وآخرين (١٩٩٦م) معجم علم النفس المعاصر، دار العالم الجديد، القاهرة.




شهر الصيام

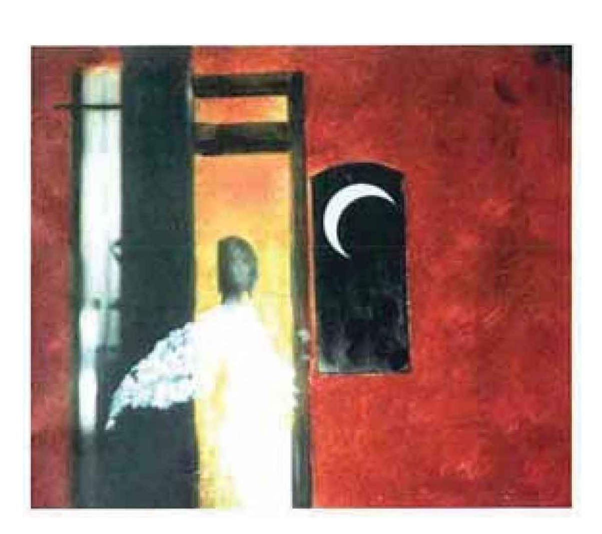
يس قطب الفيل

دمنهور- مصر

شهرُ الصيام أتى أمنًا وإيمانا
إنَّا ألفناك إحسانًا وغفرانا
وجُدْ علينا بفيضٍ منك، ينقُلنا
إلى وجودٍ به نخْضرُّ أزمانا
إن الشُّهوزَ التي مرّت بغير تقًى
لَمْ تَلتفتْ للذي منها تَفشّانا
وإنما هي والأشواقُ جارحةٌ
شبّت لظى، واستقرّتْ في حنايَانا
وليس غيرَك من يُشفِي جَوارِحَنا
أو يَستَردُّ من المنفَى بَقايَانا
يا فَرحةَ العامِ.. إنّا لم نَزَلْ أبدًا
نخضرُّ عَزمًا، إذا ما الصَّومُ نَادَانا
أيقِظْ من استَغرقُوا في نَومِهمْ زَمنًا
ومَن أقامُوا على البُهتانِ بُنيَانا
ومَن كبَوا عن مَداراتِ الهُدى.. ومَضَوا
خَلفَ الهَوى يملؤونَ الأرضَ عُدوَانا
إنَّ الأجنَّةَ في الأرْحَام.. ما بَرِحتْ
تَستَنكرُ العيشَ في عَصرٍ بنَا هَانا
وليت من قد رضوا بالقهر قد رجعوا
يستعطفون الورى صفحًا وغفرانا
ولَيتَ من أسْلَموا لله وجْهَتَهُم
والصَّومُ يَجمَعُهُمْ في الأرضِ إخْوَانَا
في صَوْمِهِمْ يَرفَعُونَ الكَفَّ ضَارعَةً
للّه أنْ يَستَردَّ الحبُّ ما كَانا

شهرُ الصّيامِ.. وأنتَ الآن في ثقةٍ
بَعدَ الغيابِ - بكلِّ الحُبِّ - تلقانا
يا فَرحَةَ العامِ.. إنّ الحبُّ رحْلَتُنا
وإنْ تَسربَلَ بالأغْلالِ مَسرَّانا

نحيا سَلامًا.. وإنْ ضَلَّ السلامُ خُطَى
وارْتَدَّ مُنكفئَ الغاياتِ خَزْيَانا
ونَستجيرُ بدُنيانا.. وإنْ نكَثَتْ
بما تُؤكِّدُه للعَدلِ دُنيَانا



إنَّا ألِفْنَا سلامَ الأرْضِ مُنطلَقًا
إلى غَدٍ يُنقِذُ الفَجْرَ الذي عَانَى
والفَجْرُ يعْرِفُ أنَّا أمةٌ نَهَضَتْ
في صَوْمِها أبدًا.. لم تشكُ حِرْمَانا
و«بَدرٌ» تَشهدُ كيفَ انقضَّ جَحْفَلُنا
وكيفَ أوقَدها للشِّرك نِيرَانا

شَهرُ الصِّيامِ وأنْتَ الآنَ تَرفَعُنا
إلى سَمَاءٍ بدت نَشْوَى بتَقوانا
جمّع قوًى فيكَ - لم تَبْرَح قَوادِمُها
تمْتدُّ عَزمًا، ولا تَرْتَدُّ إذعَانا
وارجِعْ كريمَ الخُطا.. لكنْ على أمَلٍ
أنّ الذي نَحنُ أشْبعنَاهُ نِسيَانَا
غَدًا وراءَك.. إمَّا جِئتَ مُقتَحِمًا
يحْتَاجُ هذا المَدى بَأسًا وسُلْطَانا



لماذا؟

عبدالسلام كامل عبدالسلام

أم درمان ـ السودان

والقى النفس تسائلني
ومله سؤالها ضجر
يضجُّ بحيرة كبرى
وقد تتحيَّر الفكر!!
لماذا نلفظ الترياق
والأدواء تنتشر؟
وإنّ السوس ينخرنا
فلا عظمٌ لنا يذر
وإن قلنا فلا فعلٌ!
فللأفعال نفتقر
وقد نعفو عن الجاني
ن إن في غيِّهم سدروا
أعفوٌ دون مقدرة؟
لهذا الجبن والخورُ
وقد نلقي بمقمرة
بريئًا ناله الضرر
جريرته، ويا عجبًا،
ضعيفًا.. ما له نفر
نعقُّ أبًا ووالدة
وهم بالبرّ هم جُدُرٌ
لنرضي، بعد، عاهرة
لكم بالعهر تفتخر
تسيِّرنا فنرضاها
ونبقى، بعد، نحتقر
وأسال مدمعًا يجري
على الخدّين ينحدر
فهل تبكين يا عينيَّ
دارًا دونها سقر؟
ثات لكنّها قريت
بلمع الآل ينتشر
وقد تزوي لنا قيمًا
بسيف المال تنتحر
وكم بعنا النفوس منى
ببخس.. ليس يدّخر
وقبَّلنا يدًا بالمنّ..
إنَّ عطاءها ضرر

ويا ويلاه.. لا نرضى
بما قد ساقه القدر
ونسعى لاجتناء الما..
ل لا خوف ولا حذر
وتلقانا مع الشيطا..
ن بالشيطان نأتمر
كأنَّا نأمن النيرا.....
ن إذ بالوقد تستعر
وما عدنا الذي يخشى
كلام الله.. (فاعتبروا)
وصار المال غايتنا
وما للدين ننتصر
ونسفل حينما نرقى
وبالتصعاد ننحدر

كذاك الحرص صيّرنا
قطيعًا.. جلّه حُمُرُ
رات أسدًا بناحية
ففرّت.. ليس تنتظر
وكم تلقى أخادعة
بثوب الودّ يأتزر
ينام وليس تقلقه
نجوم الليل والقمر
ينام وملء عينيه
لذيذ الحلم والصُّور
فليس بقلبه حقدٌ
على الحسّاد إن شعروا
يحنّ عليهمُ أسفًا
فهم بالحقد قد خسروا





دون سيدرو

للكاتب الأمريكي : بروس هولاند روجرز

ترجمة: حسين عيد

كان أي فرد يأتي لزيارتي، في ذلك الصباح، يمكنه أن يرى أنني أموت. عرفت ذلك بنفسي. وكما لو كان هناك قطن في أذنيّ، سمعت صوت دون ليوناردو وهو يقول لزوجتي: «أعتقد أنه وقت استدعاء القديس، يادونا سوزانا»، وفكرت، نعم إنه الوقت المناسب. لم يكن لدينا قسًا خاصًا، أو حتى مجرد كنيسة خاصة، لذلك كان على كل فرد منّا أن يقود سيارة نصف نقل، كي يحضر القس من «ال بوينتسسيتو». لكن لا تنخدع بما قد تسمع في «مالباسا»، أو في «بالبان دي بارنادا». كنا قد بقينا كاثوليكًا هنا. نعم، نحن نصنع آنية بالأسلوب القديم. ذلك هو السبب في أن السياح يأتون إلينا. وهناك أمر صحيح، قد يهمس به - أحيانًا - بأننا قد استعدنا عادات معينة من الماضي. لكن ليس كما كانوا يفعلون عندئذ. كانت تلك أزمنة مرعبة ودموية، أزمنة السحر. يقولون: إن التضحيات الدموية قد غطت أهرامات الشمس من القمة إلى القاع. الشكر للسيدة العذراء؛ لأننا لا نفعل الآن أي شيء مشابه.

مت بعد أن جاء القس بفترة وذهب. وانتشر الخبر، وجاء الناس إلى بيتنا. طلبت أسرتي أولاً: الأشياء التي يريدونها من تلك الخاصة بي.. ثم جاء الجيران، وقف دون فرانسيسكو قرب جسدي، وقال: «دون سيدرو، هل يمكنني أن أحصل على مجرفتك؟ فأنا أحتاج إلى واحدة. وأزواج بناتك يمكنهم أن يستخرجوا طين قدور جديدًا من أجل سوزانا».

قلت: «خذها مباركًا لك فيها»

وقالت سوزانا: «إنه يطلب منك أن تأخذها»

كانت الشخصية التالية هي دونا ايستاسيا. طلبت بعد ذلك واحدًا من أجل زخرفة الأواني.

قلت: «طبعًا، يمكنك أن تأخذيها مباركة»، وقالت سوزانا: «إنه يقول لك أن تأخذيها» حين جاء دون توماس، طلب حذائي ذا الرقبة، ذلك الحذاء بجلده الأحمر المطرز بالديوك الرومية.

قلت: «توماس، أيها اللص الوغد! إنني أعرف جيدًا أنك قد أخذت زوجًا من دجاجي في تلك الليلة، منذ سبع سنوات، كي تغذي به داعرتك من «بيوبلا»، ثم تأتي إلى هنا طالبًا ليس بعضًا من، او

بعض الأسلاك؛ بل حذائي القيّم!»

قالت سوزانا: «إنه يطلب منك أن تأخذه». حدث ذلك بطبيعة الحال؛ لأنها لم تستطع أن تسمعني. على أية حال، كان عليّ أن أدع توماس يناله. لقد أردت فقط أن أراه يحمر وجهه خجلاً ذات مرة.

جاؤوا وطلبوا من سوزانا كل ما لا تحتاج إليه، حتى إنهم طلبوا أشياء لم يكن من الضروري أن يطلبوها. طلبوا أشياء كنت قد تعهدت بها لهم. لقد طلبوا حتى أن يستخرجوا طين القدور الأبيض من المكان الذي أحببت أن أجده فيه. كانوا قد طلبوا، وقلت: نعم، مع بركاتي. لن نكون شيئًا، إذا جانبنا الأدب.

وفي نهاية المطاف طلبوا بعض شعيرات من شعري؛ كي يصنعوا منها فرشًا؛ لتلوين القدور. قصّوا بعض خصل شعر كانت هناك بالمقص. ثم طلبوا يديّ؛ من أجل الماعز المذبوح، وأخذوهما بسكين. ثم قالوا: «دون سيدرو، نحن نريد وجهك». ووافقت، فانتزعوا الجلد بحرص ورقة. وضعوا يديّ في برميل معدني وأحرقوهما. جففوا وجهي في الشمس. وفي أثناء ذلك لفّوا بقية جسدي في كفن، ودفنوه في فناء الكنيسة طبقًا للعادات الكنسية.

في المدة التي تلت ذلك، كنت في فراغ ومكان غير محدد. لم أكن أرى، لم أكن أسمع، لم أكن أستطيع أن أتكلم. لم أكن في أي مكان، ليس في منزلي، ولا في التابوت على الأرض، ليس في أي مكان. لكن ذلك قد يتغير.

خلال كل حياتي، علّمت الناس الآخرين من قريتي أن يصنعوا قدورًا مثلما أصنع، لم يكن ذلك

أمرًا خاصًا، فكلّنا نفعل ذلك. كنت أصنع قدور دون سيدرو الخاصة، حتى أطلعتني دونا إيزابيلا، كيف تصنع قدورها الدقيقة الصغيرة، أو عندما شرح دون ماركوس كيف يلوّن قدوره. وبعد فترة، أمكنني أن أصنع قدورًا صغيرة دقيقة - تمامًا - مثل دونا إيزابيلا، أو قدورًا ملوّنة بأسلوب دون ماركوس. وحين ذهبت دونا جينيفيرا إلى العاصمة؛ كي ترى الطيور والحيوانات على القدور القديمة، ثم قلدت تلك الزخارف، وارتنا، سرعان ما أصبحنا جميعًا نعرف كيف نفعل ذلك. كنت في الوقت الباقي أصنع قدورًا بأسلوبي الخاص، على الرغم من أنه قد يكون - أحيانًا - مع لمسة خفيفة من إيزابيلا، أو ماركوس، أو جنيفيرا؛ لأنني قد تعلّمت منهم، وصنعت ما يخصني.

الآن، وبعد أسبوع من موتي، أصبح كل فرد من القرية يصنع قدورًا كما كنت أصنعها. حتى الأطفال، إذا كانوا كبارًا - بما فيه الكفاية كي يصنعوا قدورًا تخصهم - نقبوا عن الطين الأبيض في مكاني المفضل، امتصوه، قاموا بتنقيته، واستبعدوا الماء النقي من الطين الرقيق القوام. حين جفّ الطين بشكل كاف، خلطوه برماد يديّ. ثم صنعوا كعكة من دقيق الطين، وضغطوها في قوالب من جص حتى الأساس - تمامًا - مثل تلك التي استخدمتها - أحيانًا - كانوا يستخدمون قوالبي الخاصة جدًا. صنعوا ثعابين من الطين، ألحقوها بالقواعد، لافين إيّاها، حولها من القاع إلى أعلى. لم تكن لقدوري أعناق. وليس لتلك أيضًا. كشط الناس - أسرتي وبقية القرية - تلك القدور بنعومة، وحكّوها حتى تلمع، ولوّنوها بدهان أسود، مستخدمين فرشًا من شعري الخاص، من خلال تخطيطات ربما استخدمتها: سعالي وأرانب بظهور مختلفة الألوان، أو مجرد ألوان مختلفة فقط، بذات ضخمة حول منتصف القدر؛ لتصبح معقدة عند الشفة. كانت تلك قدورًا وفق أسلوب دون سيدرو. ثم عرضوها للهب. وما لم تكسره النار، أحضروه إلى بيتي. وضعت سوزانا قدورًا حول كل الغرفة الأمامية، وحتى في الفراش حيث مددت. لكنني لم أر هذا. كنت أعرف فقط أنه يحدث.

ظلت تلك القدور في بيتي من دون إزعاج. أحرق الناس الفرشاة، التي صنعت من شعري.

في اليوم الثالث، كانت هناك وليمة في بيتي. من المحتمل أنه كانت هناك كل أنواع الأطعمة المكسيكية، بعضها بزيتون ولحم، وبعضها ببذور وحبوب. تناول الرجال والنساء شراب البولك، وربما كان هناك بطيخ؛ من أجل الأطفال. غربت الشمس. أضيئت الشموع، أوقدت النار في موقدي.

في منتصف الليل، فتح دون ليوناردو صندوقًا وأخرج قناعًا مصنوعًا من جلدي الخاص. وضع وجهي على وجهه، وفتح عينيه. جئت من ذلك المكان. كنت في الغرفة. نظرت إلى الوجوه، إلى العيون الواسعة للأحياء، إلى سوزانا ممسكة بيدها حول فمها. رأيت أحفادي، كارلوس، وجيلا، وآنا، وخوانيتو. وللمرة الأولى أمكنني أن أرى القدور في غرفة الجلوس. كانت متوهجة تحت ضوء الشموع. ذهبنا معًا، دون ليوناردو، وأنا، إلى غرفة النوم، ورأينا القدور في الفراش. رجعنا إلى غرفة الجلوس، وقلت من خلال فمنا: «إنني أرى أنني لم أمت على أي حال!»

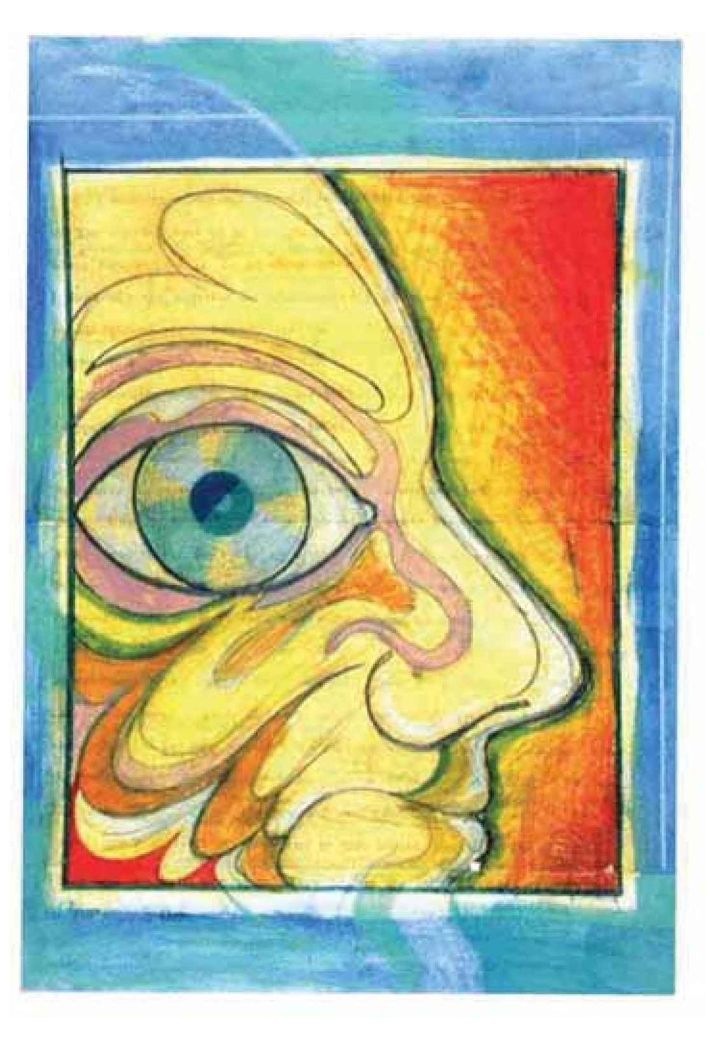
«لا، لا، يا دون سيدرو» قالوا مؤكدين: «إنك لم تمت!»

ضحكت. ذلك هو ما تشعر بأنك تفعله حين ترى أنك لم تمت؟

ثم رمى دون ليوناردو القناع إلى النار، ولم أعد في القناع بعد ذلك. كنت في القدور، في كل تلك القدور المستديرة، التي صنعت بأيدي أصدقائي، أندادي، أسرتي، وجيراني. كنت هناك، في كل واحدة منها. أخذني الناس بعيدًا من بيتي، قدرًا وراء قدر، ودخلت معهم منازلهم. تركوا فقط في بيتي القدر الذي صنعته سوزانا وفق أسلوبي.

وبدءًا من تلك الليلة، كنت في كل أرجاء القرية. خزّن الناس قمحًا، أو أرزًا، أو حبوبًا فيّ. استخدموني في حمل الماء. وانتشرت من هناك، حتى إذا ما جاء سيّاح؛ كي يشتروا قدورًا، وحدث أن أعجبوا بي. فسيقول صانع الخزف: «أوه، إنها دون سيدرو»، وقد يومئ السائح، وربّما يشتري القدر الذي ظن أنه قد صنع فحسب بواسطة دون سيدرو.

مازلت في قريتي الصغيرة، لكنني في ستوكهولم - أيضًا - وفي سياتل. إنني في تورنتو، وبيونس آيريس. بعض مني في مكسيكو العاصمة، على الرغم من أنني - غالبًا - لا أزال في الوطن، هنا في القرية حيث نموت، وصرت عجوزًا، ومت. موضوع أنا على رفّ سوزانا، حيث يمكنني أن أراقبها، وهي تصنع كمكًا صغيرًا من مطحون دقيق؛ من أجل إفطارها، أو كمكًا صغيرًا من مطحون طين لقدورها. لقد أصبحت عجوزًا، لكن يديها مازالتا سريعتين مثل طائرين. أحيانًا تعرف أنني أراقبها، فتلتفت من وراء ظهرها وتضحك. وسواء أكانت تستطيع أن تسمعني، أم لا، فإن ضحكة استجابتي تكون عميقة، وممتلئة، ومستديرة، مثل قدر كبير عظيم مصنوع وفق أسلوب دون سيدرو.



تعريف بالكاتب :

يعيش الكاتب، ويكتب في مدينة أوجين بولاية أوريجون الأمريكية. يدرّس الآن الكتابة الإبداعية في جامعة كولورادو وجامعة آلينوس. نشر عددًا من القصص القصيرة، التي تراوح بين القصة العلمية والخيالية. له رواية واحدة بعنوان «رماد الشمس» عام ١٩٩٦م، ومجموعة قصصية «رياح فوق سماء وقصص أخرى حزينة» عام ١٩٩٩م. كما ينشر كثيرًا من المقالات، والمراجعات الأدبية، ويكتب أعمدة روحانية نالت استحسانًا كبيرًا.



أحمد المؤذن

قرية كرزكان ـ البحرين

يتعكز الليل حاملاً أشلاءه يسافر، من بقايا العتمة يولد صرير الباب الخشبي، متوحداً مع تثاؤب الحاج صالح.

مد يده؛ ليحرر الضوء الأصفر من سجن الجدران الزجاجية.. المكان يحتفل بضوء المصباح المتأرجح.. بدا وكأنه قبعة مزارع صيني يتماوج خلف السهول.. خرج من الدكان، يحمل موقداً غازياً صغيراً، ترك فوقه إبريقاً معدنياً.

اتخذ كرسيه الخشبي المعتاد؛ ليترك جثته النحيلة تنساب بهدوء، فقط هذه الفيروزية القصيرة تطقطق بين أصابعه في تسبيحة خاشعة.

ولفنجان شاي صباحي شعور رائع، لكن الجو يعزف مقطوعة موسيقية متجهمة؛ تجعل الناس تتصبب عرقاً هذا اليوم.

مسح عرقه بالمنشفة المعلقة على كاهله المتهاوي من عبء السنين.. أطفأ المصباح ودلف إلى الأرفف العامرة، يرسم لوحته التشكيلية، يترك الألوان تصرخ وتهدأ، يزود الأرفف، يتفقد تنظيمها، لا يعرف شيئاً من العالم الخارجي.

أقدام رجل غريب تقترب من الدكان، أرسل الغريب بصره إلى الجدار.. فوضى الإعلانات الورقية.. ثم قرأ باستياء.. (ثمانمئة وواحد وستين) المحل المطلوب!

حينما خرج الحاج صالح يرفع صندوق المشروبات الغازية بصعوبة ظاهرة، ثم يتركه بهدوء.. كأنما يترك أشلاء من ظهره مع الصندوق، تأوه بشدة.. برزت من فمه المعتم بقايا أسنان متعبة يحاربها الزمن.

انساب الصوت جهورياً سريعاً:

ألست الحاج صالح خميس - صاحب هذا الدكان؟

يتسمر السؤال في موجة صمت متسلسلة، والغريب لا يرفع رأسه من أوراقه.. رفع الحاج يده اليسرى فوق جبهته، يتقي أشعة الشمس، يتبدى له رجل قصير وسمين، حليق اللحية والشارب.. ترقد فوق جمجمته المنتفخة قبعة زرقاء، وعلى الجانب الأيمن من كتفه شعار رسمي!

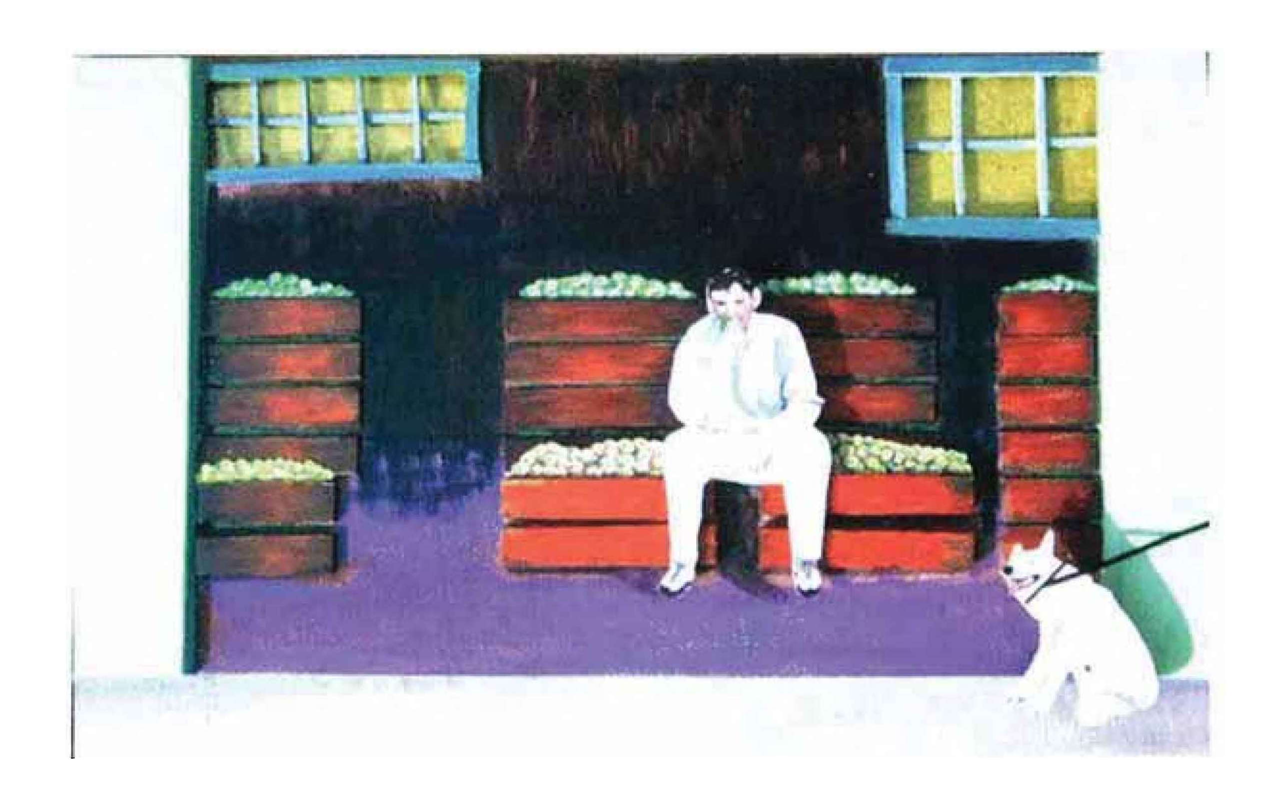
سعل الحاج بشدة، قبل أن تتحرر من فمه ثلاث كلمات.. نعم أنا هو.. اكتفى الأخير بهز رأسه الكبير، ثم قال وهو يؤرجح قلماً بين أصابعه: أنا مفتش وزارة الصحة.

المفاجأة تطلق سهامها اللامرئية، وتعبئ القلق،

سجن يحاصر الحاج صالح.. الضيف الغريب لم ينتظر الإذن.. دخل بسرعة يحمل أوراقه، خطواته واسعة، وجهه متجهم، يبدو عليه الغضب، الدكان سيشعر بكل هذا، ثم يرتعش خوفًا!

رياح احتضار تحاصر الدكان، تفرض نفوذها في حنق بالغ.. هذا مفتش الصحة . ماذا سيفعل؟

يمتزج الخوف والتوتر في حلقه.. نكهة ملتهبة تكفن هذا المكان.. للخوف رائحة مزعجة، يجد الحاج صالح نفسه مجبرًا على الجلوس. يتمتم بهدوء يشوبه الاضطراب. أنا طوال عمري شريف..



ودكاني دائمًا نظيف!!

ارتفعت يده سريعًا لتصفع جبهته.. مازال بالداخل. تبًا نسي الحاج إخراج فأر ميت، أكل طعم المصيدة المسموم.

منذ نحو أسبوع ومحاولاته تنتهي بالفشل، الفأر اللعين اختار توقيته الانتقامي الشرير.. أفسد كيسين من الطحين، القذر لم يمت، كأنه يطل برأسه الأسود المتسخ ببقايا الطحين.. يطل من باب الدكان متململًا، تبرز أسنانه الحادة، يهز رأسه البشع ساخرًا.. لم يقرب دكانه قط مفتش صحة، لكنه يعرف مدى صرامة هؤلاء.. سمع كثيرًا من قصصهم.. اعتدل في جلسته يصفق كفًا بكف، الدكان قائم من ستين عامًا.. حمل ثقيل على عمره، هل هذه هي النهاية؟

البداية فأر قذر، يستفز مفتش الصحة ثم تأتي المشكلات.. المشكلات التي كونت يومًا ثقيلاً، تفاجأ به الحاج سعيد جابر صديق المهنة.. صورة مشؤومة لدكانه التعيس. قال: إنه لم يتمكن من دفع غرامة المخالفة فأغلق دكانه إلى الأبد.

ترسبت الأتربة أسفل بابه الصدئ، واجتاحه إهمال الأيام.. يتذكر قصة دكان صديقه.. ماذا؟ هل هذا المكان مصاب بلعنة غيبية؟ بالأمس الحاج سعيد واليوم أنت!

فأر ميت في الدكان، لم يتردد المفتش في دق ناقوس الخطر، أوراقه تتابع، لا يتوقف عن الرقص فوق الورق.. بلا شك تقرير طويل يعقد الأمور إلى الأسوأ، المفتش لن يكترث، أو يتعاطف، سيغلق الدكان بمخالفة ثقيلة.

فعلوها مع الحاج سعيد، وقد حان دورك، قربت نهاية الدكان، وسوف ينشلُّ عملك.

أجل، وتبور تجارتك، ويتخلى عنك زبائنك (لا . لن يحدث هذا)، هكذا هزّ صالح رأسه ينفض وساوسه.. يقاوم حصارها المتصاعد، نعم حصارًا انبعث في جوف الصمت، جمّد كل شيء.. حركة الريح والناس، هذا الصمت يمرح هنا بين يدي المفتش.

فقط قلب الحاج صالح مازال ينبض، ينهشه الخوف.. جال ببصره ناحية الشارع، هذا أحد زبائنه القدامى.. ألقى عليه السلام، وحذره من مفتشي الصحة، فهم يجوبون القرية.

تبسم بمرارة في وجه عالم لا يكترث، مفتش الصحة يشرع الآن في ختام تقريره، ويضع اللمسات الأخيرة.. والتجار لهم ديون مستحقة، ويكثر ضجيجهم.. دوامة كابوسية تفزع الوجود بلا هوادة، هذا الدكان مصيره معروف يا حاج.

هكذا النهاية.. مصير محتوم، باب الدكان يشمّع لا مفر، حيث تعلوه لافتة تحمل شعارًا رسميًا وعبارة تقول: (مخالف للأنظمة) لن تستفيد من الدهان

الكستنائي، الذي اشتريته من سوق العاصمة.. الدكان كان حينه، سيغلق هل يجدي دهن الباب العجوز؟

وقع الرفض أنطق الجدران وباب الدكان، والإعلانات تطل بأطرافها المائلة، يردد الكل في إيقاع مملوء بالتحدي، مع الحاج صالح: لا لن يغلق الدكان.

لم يشعر الحاج.. إلا وانسحب عنه الظل، سحب كرسيه ثم استخرج سبحته الفيروزية وأخذ يتمتم في صمت.. يغمض عينيه ويهز رأسه.

ما الذي يحصل هذا اليوم؟ يتساءل الحاج وعيناه إلى الأرض، واجهة دكانه أهملها، بعض القاذورات أشاح بوجهه عنها.. يشغله الآن موضوع الدكان، لم يؤذ أحدًا ليعاقب هكذا.

أيكون هو السيد عبدالواحد صاحب المبنى؟!

آخر مرة اخترق الشارع بسيارته الأمريكية الفارهة، من دون أن يلقي السلام، وحملت عيناه نظرة غريبة! لا.. لا يمكن أن يكون؟

توقفت طقطقة السبحة في يده، ثم أردف.. السيد عبدالواحد يريد طردي؟!. يا له من أسلوب رخيص!.. عاد يطارد وساوسه، يفرقها بيديه المتجعدتين.. عبثًا يحاول نفي كل ما يجري، تعاوده بزحف شرس.. هواجس تخترق الأرض من تحت أقدامه.. السيد عبدالواحد. معقول؟ أنا تأخرت شهرين فقط. لكن سأدفع الإيجار.

قذف نظراته إلى الشارع، لا أحد.. لا أحد من زبائنه بالجوار.. هذا الشارع شعلة من النشاط والحيوية، والحساد كثيرون.. لا ضجة تسمع للأطفال المتوافدين لشراء (الآيسكريم)، العمال لم يأتوا لشراء الدخان ككل صباح؟

الشارع الآن هامد، ولحظات الانتظار المرتجف، كف عملاقة تؤرجحك كدمية، ثم يتفتت وجودك يا مسكين.

لا يبدو الآن أنها وساوس.. حقائق تتبدى مكشوفة عن عالم صحراوي ملتهب، كابوس لعين يا حاج يجب أن يتبدد.. إنها النهاية، محسوسة للمفتش، هيا يا حاج صالح سلمه مفاتيح الدكان.

أمل الغريق في بحر العواصف، قشة تجعله الآن أقوى وأصلب.. يهفو إلى الوصول فالنجاة.. المفاتيح في قعر جيبه، يده لا تنصاع.. أخيرًا المفتش يخرج من الدكان، وقف الحاج صالح شاحب الوجه، تتصارع خفقات قلبه بعنف اللحظة المتأزمة.

نزع المفتش من دفتره ورقة بيضاء وسأل: حاج صالح - هل أنت بخير؟ اكتفى بهز رأسه حينما غادره المفتش وهو يبتسم أول مرة.. وهو أفاق من غيبوبة الخطر، يداه لا تطاوعانه لرفع الورقة اليتيمة.

مجددًا حاول بيد مرتعشة وبجفون مجعدة مترددة، قرأ.. محك جيد. حافظ عليه!.. بصمت تراجع نحو الباب يعانق رفيق دربه وعمره.


العلمية
الفيصل
مجلة فصلية تعنى بنشر الثقافة العلمية
محاولات جديدة لتفسير الألم
الآن بالأسواق



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٦٠) جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

الفائز الأول: فوزي الشعراوي سليمان. المحلة الكبرى. مصر.
الفائز الثاني: قاسم حمودة البنا. المدينة المنورة. السعودية.
الفائز الثالث: جمال مصطفى حسن الحسن. الزرقاء. الأردن.
الفائز الرابع: ناصر خالد حسن. الدوحة. قطر.
الفائز الخامس: خديجة محمد علوي. سيئون. اليمن.
الفائز السادس: غسان نور الدين سلام. أبو ظبي. الإمارات.
الفائز السابع: ضحى محمد جمعة حاج علي. حلب. سورية.
الفائز الثامن: محمد فوزي حسين سكر. شبراخيت. مصر

حل مسابقة العدد (٣٦٠)

١- الدكتور ثروت عكاشة: هو مؤلف المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية.

٢- النوروز: هو عيد رأس السنة عند الفرس، وأهم أعياد الديانة المزدية (الزردشتية)..

٣- أكابيلا: هي الغناء من دون آلات، وهو فن نشأ داخل الكنيسة وتحت قبتها.

أسئلة مسابقة العدد (٣٦٣)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) كم مرة ورد لفظ رمضان في القرآن الكريم؟

(٢) ماذا يعني المركب الجنائزي؟

(٣) ما الـ (فالنامة)؟

الاسم:	المدينة:	ص.ب:	هاتف:
العنوان:	الدولة:	الرمز البريدي:	ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

تفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

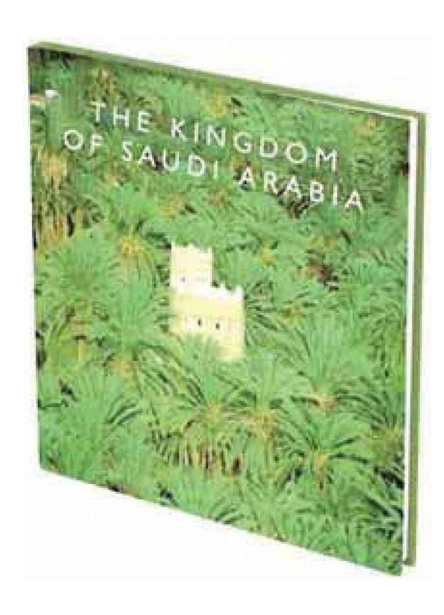
عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١


الملف الثقافي
لوحة للفنان فان جوخ
• صدور كتاب "المملكة العربية السعودية" بالإنجليزية
• موسوعة عكاظ تضم ٢٥٠٠ شخصية
• وفاة الأديب العالمي نجيب محفوظ، والمغربية مليكة مستظرف
• ندوة تدريس العربية وآثاره في الهند
•• خاتمة المطاف: ربيع الورد بين الطائف وأريانة



ولي العهد يثمن جهود مؤسسة التراث في العناية بتراث المملكة



تلقى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز ـ أمين عام الهيئة العليا للسياحة رئيس مؤسسة التراث ـ خطاب شكر من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ـ ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ـ بمناسبة إهدائه نسخة من كتاب «المملكة العربية السعودية» Kingdom of Saudi Arabia، الذي أصدرته مؤسسة التراث بالرياض، ولقد ثمن سمو ولي العهد جهود جميع العاملين في مؤسسة التراث، متمنيًا لهم التوفيق فيما يقومون به من خدمة تراث المملكة وتاريخها.

وصرح الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز أن هذا التثمين من سمو ولي العهد شهادة نعتز بها كثيرًا، وهي أكبر حافز لنا إلى بذل المزيد من الجهود؛ لخدمة تراثنا وتاريخنا العريق، وأن مؤسسة التراث دأبت على تقديم مثل هذه الأعمال الوطنية، خصوصًا أنها مؤسسة لا يمثل الربح لها هدفًا أساسيًا، بل تقوم بدور وطني يسهم في إعادة صياغة المفهوم الوطني للتراث، وتأكيد أهميته بوصفه عنصرًا متجددًا يستمد جذوره من الماضي العريق؛ ليسهم في انطلاقة وطنية حضارية واثقة، إلى مستقبل أكثر إشراقًا، وهي أول مؤسسة خاصة متخصصة في مجال التراث في المملكة.

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب الذي أصدرته التراث يقدم تعريفًا ومعلومات أكثر وضوحًا وتفصيلاً عن المملكة العربية السعودية، باستخدام أسلوب سلس وشائق ومدعم بالصور الحديثة؛ التي تبرز ما وصلت إليه المملكة من تطور.

موسوعة عكاظ تضم ٣٥٠٠ شخصية

اصدرت مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، موسوعة الشخصيات السعودية التي تضم نحو ٢٥٠٠ شخصية، وتعود فكرة إصدار هذه الموسوعة إلى سنة ١٤٠٢هـ، وهي السنة التي شهدت تأسيس مركز معلومات عكاظ، وقد بدأ المركز منذ ذلك العام في وضع خطة تهدف إلى تجميع البيانات والمعلومات حول الشخصيات المهمة من خلال الرجوع إلى المصادر المعلوماتية، ومتابعة التقارير، والوسائل الإعلامية، إضافة إلى تصميم الاستمارات الخاصة بالبيانات الشخصية، وإرسالها إلى المعنيين لمراعاة الدقة والشمولية. وتهدف الموسوعة إلى إبراز البيانات الخاصة بالشخصيات السعودية في مختلف المجالات، وترصد الاسم الكامل، وتاريخ الميلاد ومكانه، والمؤهلات العلمية، والوظيفة الحالية، والخبرات، والوظائف السابقة، والعضوية، والجوائز، والأوسمة، وتاريخها. وتنقسم الموسوعة إلى جزاين، الأول يختص بالأسرة المالكة، والثاني يختص بالشخصيات العامة.

وفاة الأديب العربي العالمي نجيب محفوظ

توفي في الثلاثين من أغسطس/آب الماضي الروائي المصري نجيب محفوظ عن عمر ناهز ٩٤ عامًا على أثر قرحة نازفة، وكان نجيب قد أدخل المستشفى في ١٩ يوليو/تموز بعد سقوطه في الشارع، وإصابته بجرح في الرأس. امتدت رحلة الأديب الذائع الصيت مع الكتابة أكثر من ٧٠ عامًا، كتب خلالها نحو ٥٠ رواية، ومجموعة قصصية، ومسرحية قصيرة، إلى جانب كتب أخرى ضمت مقالاته في الشؤون العامة. وقد انحاز محفوظ بصورة كبيرة منذ أكثر من ٦٠ عامًا إلى فن الرواية، وقفز بها إلى صدارة فنون الكتابة، بعد أن كانت في النصف الأول من القرن العشرين في مرتبة متأخرة بعد الشعر، وفن المقال. وأهلته قدراته الإبداعية في هذا الميدان للحصول على جائزة نوبل في الآداب، في عام ١٩٨٨م، وهو الأديب العربي الوحيد الحاصل على هذه الجائزة المشهورة، وذلك عن رواياته «أولاد حارتنا»، و«الثلاثية»، و«ثرثرة فوق النيل»، والمجموعة القصصية «دنيا الله». وكانت المجموعة القصصية «صباح الورد»، ورواية «حديث الصباح والمساء» اللتان صدرتا عام ١٩٨٧م آخر ما نشر للكاتب قبل فوزه بجائزة نوبل.

ولد محفوظ في حارة درب قرمز، الواقعة في ميدان بيت القاضي بحي الجمالية بالقاهرة القديمة، يوم ١١ ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩١١م، وفي سن الرابعة التحق بكتّاب الشيخ بحيري في حارة الكبابجي، بالقرب من درب قرمز، قبل أن يلتحق بمدرسة بين القصرين الابتدائية، ثم انتقلت الأسرة في عام ١٩٢٤م إلى حي العباسية. وعقب تخرجه في الجامعة عمل محفوظ كاتبًا في إدارة جامعة القاهرة حتى عام ١٩٣٨م، وفي تلك الفترة التحق بالدراسات العليا، وبدأ يعد لرسالة الماجستير بعنوان «مفهوم الجمال في الفلسفة الإسلامية»، تحت إشراف الشيخ مصطفى عبدالرازق. ومهد محفوظ الطريق لأجيال من المبدعين بنقلاته الفنية من الرواية التاريخية إلى الواقعية، والرمزية، والملحمية.

ونال خلال مسيرته الثرة عددًا من الجوائز، بدأت بجائزة قوت القلوب الدمرداشية عن رواية «رادوبيس»، عام ١٩٤٣م، ثم حصل عام ١٩٤٤م على جائزة وزارة المعارف «التربية والتعليم الآن» عن «كفاح طيبة»، وجائزة مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٦م عن «خان الخليلي»، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٧٠م، وكان أول فائز بجائزة مبارك عام ١٩٩٩م.



ندوة تدريس العربية وآثاره في الهند

الهند: أبوبكر محمد

نظم قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة كيرالا، في ترفانندبرم العاصمة، بالتعاون مع المدرسة الدولية للغات الدرافيدية، ندوة علمية استغرقت ثلاثة أيام، قدم خلالها نحو من أربعين ورقة، تناقش مختلف جوانب المحور الأساس «تدريس اللغة العربية وآثاره في الهند».

بدأت فعاليات الندوة بجلسة افتتاحية، رأسها الأستاذ عبيدالله - رئيس القسم - وقد امتدح الدكتور راماجندران ناير - مدير الجامعة - في كلمته الافتتاحية دور اللغة العربية وأساتذتها في نشر عواطف التعايش، ومشاعر الاحترام المتبادل في كيرالا، قديمًا وحديثًا. كما تطرق إلى عراقة العلاقات بين الشعبين الكيرالي والعربي، إذ تمتد جذورها إلى ٩٠٠ عام قبل الميلاد؛ أيام الملك سليمان. وتعرض الأستاذ الدكتور ك. م. محمد - رئيس قسم اللغة العربية في جامعة كاليكوت سابقًا - في ورقته حول التعليم في المدارس: مشكلات وحلول، لأهم ما يعرقل مسيرة التعليم في المدارس، والمدارس في جنوب الهند تعني مراكز تعليم أبناء المسلمين مبادئ القراءة، والكتابة، وتلاوة القرآن الكريم، وشيئًا من أمور العقيدة، والفقه. ويرى أن أهم عراقيل تدريس اللغة العربية في المدارس، قلة كفاءة المدرسين، وعدم مواكبة المناهج الدراسية متطلبات العصر واحتياجاتها، كما أوضح أن توقيت المدارس من السابعة والنصف إلى التاسعة والنصف صباحًا، ضيق وغير مناسب. ويجدر بالذكر أن هذا التوقيت إنما اتخذ لتمكين أبناء المسلمين من الالتحاق بالمدارس المدنية. ويرى الباحث أن الحل الصحيح هو تأسيس مدارس ابتدائية أهلية تدرّس فيها المواد الدينية والمدنية جنبًا إلى جنب. وأقيم مساء اليوم الأول حفل تكريم الأساتذة، الذين نالوا جائزة رئيس البلاد لخدماتهم المتعددة للعربية ونشرها، وهم الدكتور صفي الشيخ، والأستاذ الدكتور أ. ك. أحمد كتي، والدكتور الأستاذ ك. م. محمد، والدكتور ويران محيي الدين، والدكتور محمد سليمان المولوي.

وقدمت في الندوة خلال ثلاثة أيام أربع مقالات حول لغة: «عربي - مليالم»، تتناول مختلف جوانب هذه اللغة وتطوراتها وغنائها. وهي لغة ابتكرها المسلمون لتعليم الدين الإسلامي، ونطق المفردات الإسلامية نطقًا صحيحًا، إذ تعجز اللغة المحلية عن نطق كل الحروف العربية نطقًا صحيحًا.

وقدم الأديب كودولي عبدالقادر ورقته حول: «تأثير اللغة العربية في الشعر المليباري»، وشرح كثيرًا من أوجه التأثير، مثل دخول كلمات وتراكيب عربية كثيرة في اللغة المليبارية، وكثرة اقتباسات الصور، والمعاني، والأخيلة. وقدم الباحث أمثلة كثيرة لكل تلك الأوجه. وقدم الدكتور ن. أ. محمد عبدالقادر - الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية في جامعة كاليكوت - ورقة حول «تطور اللغة، عربي - مليالم». وتناول الباحث أهم جوانب هذا التطور، وألوان الأدب المكتوب بهذه اللغة، ومقالات، ودراسات، وقصصًا، وروايات، وأشعارًا. وفي ورقته بعنوان «تأثير اللغة العربية في اللغة المليبارية»، تناول الأستاذ الدكتور

مصادر ضغوط العمل في المكتبات الجامعية في رسالة ماجستير

نوقشت بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، رسالة ماجستير بعنوان «مصادر ضغوط العمل لدى العاملين بالمكتبات الجامعية ومراكز مصادر التعلم بالجامعات والكليات الحكومية في السلطنة». الرسالة من إعداد يعقوب ابن سالم الحرامي، طالب الماجستير بقسم علم المكتبات والمعلومات بالكلية. وتكونت لجنة المناقشة من كل من: الدكتور علي بن سعيد البلوشي رئيساً، والدكتورة نعيمة حسن جبر عضواً، والدكتور صباح عبدالكريم عضواً وممتحناً داخلياً، والدكتور منصف الفخفاخ عضواً وممتحناً خارجيًا.

أ. د. أحمد كتي - رئيس قسم اللغة العربية في جامعة كاليكوت سابقًا - جوانب مختلفة لهذا التأثير، من دخول كلمات، وتراكيب، وصور، وخيالات، في شتى مجالات الحياة الإنسانية من إدارة، وسياسة، وطب، ومعاملة، بل في كل مرافق الحياة، وانسجامها مع الأسلوب المليباري، بحيث لا يعلم الباحث في اللغة المليبارية أنها عربية دخيلة. وتناول الدكتور أبوبكر محمد - المحاضر في قسم اللغة العربية في جامعة كاليكوت - في ورقته أهم قضايا تعليم اللغة العربية في مستوى الكليات والجامعات، وقدم اقتراحات مفيدة لرفع مستوى الأداء في اللغة العربية.

ووجه الأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم رحمة الله - رئيس قسم اللغة العربية في جامعة كاليكوت، بتعليم اللغة العربية وجهة اقتصادية، مع توافر فرص العمل في الداخل والخارج. ودعا إلى معاملة اللغة العربية معاملة أوسع، لا على أنها لغة دين مقدسة للمسلمين، ولكن على أنها لغة عالمية اقتصادية، يقدم على تعلمها غير المسلمين أيضًا؛ لقدرتها الفائقة على توفير العمل والمعاش.

وأضاف الدكتور رحمة الله أن معاملة اللغة العربية هذه المعاملة، تزيل عنها صفة الإرهاب التي ترمى بها ودارسوها ظلمًا وبهتانًا.

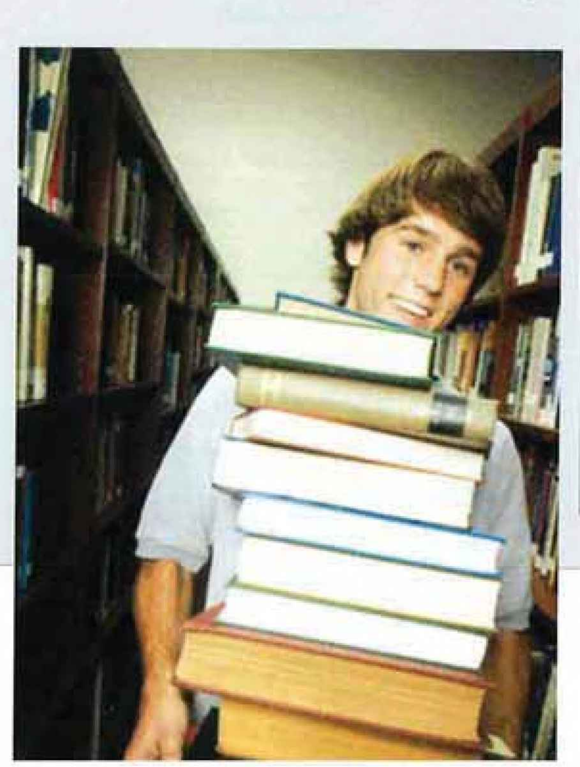
وقدم الدكتور صفي الشيخ - رئيس قسم اللغة العربية في جامعة بومباي - في ورقته حول «تأثير اللغة العربية في اللغة الإنجليزية» مختلف جوانب هذا التأثير وعدّد كلمات كثيرة استعارتها اللغة الإنجليزية من العربية.

وقدّم الأستاذ عبدالرحمن السلفي ورقة حول: «دور الكليات العربية في نشر اللغة العربية، في ولاية كيرالا»، موضحًا أن الكليات العربية أدت دورًا حاسمًا في نشر اللغة العربية، وتعميمها، وتقريبها إلى العامة والخاصة، وخرّجت أجيالاً متتالية تحمل رسالة اللغة العربية، وتتعامل بها ومعها معاملة حسنة. كما أن كثيرًا من أبناء هذه الكليات العربية احتلوا مناصب مرموقة في الهند وخارجها. وكانت هناك بحوث ومقالات علمية بحتة، تتناول وسائط اكتساب اللغة ومهارتها، والعلاقة الثنائية بين الدارس والمدرس، ومختلف طرائق التدريس ووسائله المستجدة.

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف إلى مصادر ضغوط العمل لدى العاملين بالمكتبات الجامعية، ومراكز مصادر التعلم بالجامعات، والكليات الحكومية في السلطنة، والتعرف إلى مستوى الضغوط، وهل هناك فروق ذات دلالة إحصائية، لأبعاد مستوى الضغوط تعزى إلى المتغيرات الآتية: النوع، وسنوات الخبرة، والمؤهل العلمي، والحالة الاجتماعية، والمستوى الوظيفي، وطبيعة العمل.

وقد أوصت الدراسة بضرورة إيجاد أسس ومعايير تتعلق بالحوافز المادية والمعنوية، الممنوحة للعاملين، إضافة إلى إتاحة الفرصة للعاملين لمواصلة دراساتهم، وإلحاقهم بدورات تدريبية، لتنمية مهاراتهم، ورفع مستوى كفاءتهم المهنية، وعقد حلقات عمل تتعلق بإستراتيجيات إدارة ضغوط العمل.

وإضافة برامج التربية المكتبية في مناهج التعليم الأساسي وتكثيف برامج التوعية والإرشاد الموجهة إلى المستفيدين من خدمات المكتبة.



وفاة الأديبة المغربية مليكة مستظرف

نعى اتحاد كتاب المغرب الأديبة مليكة مستظرف، التي توفيت بعد معاناة مع مرض عضال، وذكر بيان الاتحاد أن الأديبة الراحلة - ومع قلة ما استطاعت أن تنشره ورقيًا من إبداعات أدبية - شيدت لها مكانتها الخاصة في سجل السرد المغربي المعاصر.

وأضاف أن الكاتبة الراحلة اختارت أن تكتب بوضوح وجرأة عن موضوعات باللغة الحساسية والدقة، تتصل بجراح الطفولة المعذبة، والمحكومة بالتشوه والعنف.

وأشار إلى أن الأديبة الراحلة اختارت فني القصة والرواية على السواء، لغة وأسلوبًا في التعبير، يتسمان بالشفافية والقدرة على التقاط مظاهر القسوة والعنف، وبصدق في تجسيد المعاناة، مبرزًا أن روايتها «جراح الروح والجسد» عام ١٩٩٩م، ومجموعتها القصصية «ترانت سيس» عام ٢٠٠٤ م، وما نشرته إلكترونيًا، سيظل علامة دالة على روحها المبدعة، ووجدانها اليقظ.



كنوز قياصرة روسيا في بيلريف السويسري

يعرض متحف بيلريف بزيورخ في موسمه الحالي، آخر كنوز قياصرة روسيا الذهبية، والمعروفة عالميًا باسم مجوهرات فابورجيه، وتضم ٥٢ قطعة نادرة تعود إلى الفترة التي بين العامين ١٨٨٥م و١٩١٦م.

ويرى النقاد أن سر تميز أعمال فابورجيه ترجع إلى ارتباطها بظواهر طبيعية، مثل الربيع، وتفتح الأزهار، والتكاثر، أو استخدامات في الحياة اليومية لأسرة القيصر، كعلبة لتقديم الحلوى، أو ساعة تعطي إشارة الوقت بصوت الديك، أو تحمل رموزًا دينية للتأمل الروحاني، أو أدوات مكتبية، أو لعب الشطرنج، أو علبًا لحفظ العطور والنفائس.

وسبب القيمة التاريخية لهذه المجوهرات هو أنها شكلت نقلة نوعية في الحياة الفنية الروسية، فقد تأثر الفنانون الروس بالحركة الفنية الأوروبية، منذ القرن السابع عشر، وقدموا مزيجًا جيدًا من التيارات الفنية الألمانية والفرنسية، والإيطالية، مع بصماتهم الشرقية الخاصة.

ويجد النقاد حيرة في نسب شهرة تلك التشكيلة الفريدة من المجوهرات، اهي للقيصر اليكساندر الثالث، الذي كان يحث فابورجيه على الابتكار؟ أم للصانع الماهر الذي بهر القيصر بأفكاره الجريئة؟ أم أنه لقاء المصادفة بين موهبة مصمم التحف، وأموال القيصر المحب للفن؟

المؤتمر الحادي والأربعون للإحصاء وعلوم الحاسب وبحوث العمليات

ينعقد في الفترة من ٣ إلى ٦ ديسمبر/كانون الأول من هذا العام، بمعهد الدراسات والبحوث الإحصائية بجامعة القاهرة، المؤتمر السنوي للإحصاء وعلوم الحاسب وبحوث العمليات، في عامه الحادي والأربعين. وصرحت اللجنة المنظمة أن المشاركة في فعاليات المؤتمر متاحة لكل الأجهزة والمعاهد والمنظمات والجامعات والباحثين والخبراء المهنيين. ويناقش المؤتمر عددًا من الأبحاث في الموضوعات، تشمل: الإحصاء الرياضي والاحتمالات، والإحصاء التطبيقي والاقتصاد القياسي، والإحصاء الحيوي والسكاني، وعلوم الحاسب ونظم المعلومات، وبحوث العمليات، إضافة إلى عدد من الندوات واللقاءات المهمة.

وعلى من يرغب في المشاركة بأبحاث في مجالات تخصص المؤتمر، إرسال ٤ نسخ من البحث الخاص به باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية، مع إرسال ملخص باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية على قرص مرن (ديسك) في موعد أقصاه الأول من نوفمبر /تشرين الثاني ٢٠٠٦م، ويمكن للباحثين إرسال أبحاثهم من خلال البريد الإلكتروني.

لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بسكرتارية المؤتمر:

هاتف: ٠٠٢٠٢٣٣٥٣١٦١

ناسوخ: ٠٠٢٠٢٧٤٨٢٥٣٣

عنوان المراسلات: ٥ش د. أحمد زويل (ثروت سابقًا). الأورمان. جيزة، الرمز البريدي ١٢٦١٣

موقع المعهد على شبكة المعلومات الدولية:

www. issr.edu. eg

العنوان الإلكتروني:

E-mail: issr2@frcu.eun.eg

وكان رجل الأعمال الروسي فيكتور فيكسلبرغ قد تمكن من اقتناء هذه المجموعة قبل عامين بنحو ١٠٠ مليون دولار، وأنقذها من البيع فرادى في المزاد العلني، وأنشأ لرعايتها مؤسسة تعنى بالعلاقة بين الثقافة والتاريخ، لكن الخبراء يعتقدون أن قيمتها تفوق هذا المبلغ بكثير، لقيمتها الفنية والثقافية العالية.



رحيل مؤرخ حياة هتلر

توفي المؤرخ والكاتب الألماني الشهير يواخيم فيست في ١٥ سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠٦م، في منزله بألمانيا، عن عمر ناهز التاسعة والسبعين.

وكانت شهرة فيست المولود في برلين عام ١٩٢٦م، قد ذاعت بشكل كبير عقب إصداره كتابًا حول سيرة حياة هتلر عام ١٩٧٣م، الذي ترجم إلى ٢٣ لغة، وحصل بفضله على عدد كبير من الجوائز، وفي عام ٢٠٠٤م تم تحويل الكتاب، الذي حمل اسم (داخل مخبأ هتلر: الأيام الأخيرة للرايخ الثالث)، إلى فلم سينمائي باسم (السقوط)، حقق نجاحًا كبيرًا في ألمانيا. ومن المؤلفات الأخرى للكاتب: وجه الرايخ الثالث: صور قلمية للقيادة النازية، والتآمر لوفاة هتلر: قصة المقاومة الألمانية، وتولى فيست رئاسة تحرير محطة إن دي آر الإذاعية والتلفازية، وغيرها من الوظائف.







الحارثي، صبحي بن يحيى بن صالح / دور القضاء السعودي في الإصلاح التربوي في المملكة العربية السعودية. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٧٩٤ص.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ثمانية أهداف فرعية، يجمعها هدف أساسي يتمثل في «معرفة دور القضاء السعودي في الإصلاح التربوي»، وقد حرص الباحث على الاعتماد على ثلاثة مناهج علمية ليحقق البحث أهدافه، هي: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي.

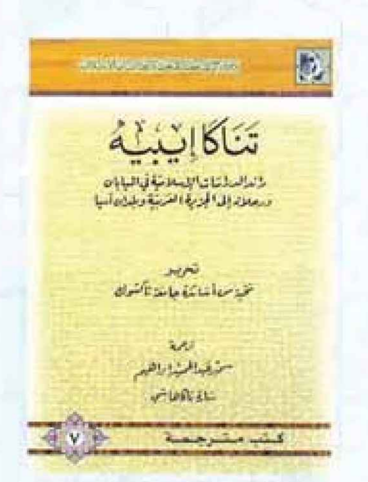
وجاءت الدراسة في سبعة فصول مترابطة، تتدرج في معالجتها الموضوع من العام إلى الخاص، إذ يسعى كل فصل منها، وما تضمنه من مباحث، ومطالب فرعية، إلى تحقيق هدف واحد، أو أكثر من أهداف الدراسة، كما تسعى في جملتها إلى تحقيق الهدف العام من الدراسة.

وجاءت فصول الدراسة على النحو الآتي: يرسم الفصل الأول الإطار المنهجي للدراسة، ثم أربعة فصول تتضمن المعالجات التفصيلية لمحاور الدراسة، تناول أول هذه الفصول الأربعة القضاء في الإسلام، وناقش ثانيها قضية الحكم والاجتهاد، وطرق الطعن في الأحكام، وتناول ثالثهما العلاقة بين القضاء والتربية. أما آخر الفصول الأربعة فركز على القضاء في الدولة السعودية الثالثة، وأسسه، ودوره في الإصلاح التربوي.

ويرصد الفصل السادس الحقائق والنتائج الأساسية، التي استطاع الباحث استخلاصها من تلك المعالجات التفصيلية، وبلغت هذه النتائج نحو خمسين نتيجة، تقدم في مجملها المعلومات التي تتكفل بتحقيق أهدافها الدراسة.

واختتمت الدراسة بفصل ختامي، يقدم نبذة مختصرة من الدراسة، ثم عرض لأهم التوصيات، والمقترحات التي رأى الباحث تقديمها، سواء لتفعيل النتائج التي توصل إليها على أرض الواقع، أو لتحسين بعض الممارسات القائمة، حتى يتحقق للمجتمع ما يصبو إليه من أمن واستقرار.

قدّم للكتاب مجموعة من العلماء هم: الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل، والقاضي محمد بن إسماعيل العمراني، والدكتور محمد محيي الدين عوض، والدكتور المكاشفي طه الكباشي، والدكتور سعيد إسماعيل علي.



إبراهيم، سمير عبدالحميد وسارة تاكاهاشي/ تناكا إيبيه: رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ورحلاته إلى الجزيرة العربية وبلدان آسيا، تحرير نخبة من أساتذة جامعة تاكشوك.-الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٤٣٩ص (كتب مترجمة؛ ٧).

هذا الكتاب في الأصل نتيجة جهد كبير، قامت به لجنة تحرير تضم نخبة من أساتذة جامعة تاكشوك اليابانية، التي تهتم بالدراسات الإسلامية منذ تأسيسها، قبل أكثر من مئة عام، فقد جمعوا ما كتبه تناكا إيبيه، أو الحاج نور محمد، من رحلات ومقالات تتعلق بالإسلام والعالم الإسلامي، بما في ذلك الصين، وبلاد جنوب شرق آسيا، إضافة إلى بعض ما كتبه معارفه وغيرهم عنه، مع مقدمة بحثية للأستاذ نور الدين موري أستاذ العلاقات الدولية بالجامعة. وقد صدر هذا الكتاب ـ الذي يتضمن معلومات مفيدة، تلقي الضوء على تاريخ الجزيرة العربية، وتاريخ المسلمين في بلدان آسيا ـ بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس جامعة تاكشوك، ومرور خمسين عامًا على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية واليابان.

ويضم هذا الكتاب مجموعة من كتابات الأستاذ تناكا، في الدراسات الإسلامية التي لم ينشر أغلبيتها من قبل، وهو ما يعطي المدلول الواضح لمفهوم الإسلام والإيمان عند الأستاذ تناكا، إضافة إلى التعرف إلى جذور العلاقات بين اليابان ودول العالم الإسلامي حتى الآن.

ولد الحاج نور محمد تناكا إيبيه، في قرية بوشيو كوجانيه في فبراير/شباط عام ١٨٨٢م، وتخرج في الدفعة الأولى لجامعة تاكشوك، التي كانت تعرف قديمًا باسم «معهد جمعية تايوان»، وقد أسلم في الصين في يناير عام ١٩٢٤م، ثم أدى فريضة الحج أول مرة عام ١٩٢٤م، وحج مرة أخرى، بعد عشر سنوات من حجته الأولى، وبعدها بثلاث أشهر انتقل إلى رحمة الله، وقد أسهمت جهود هذا الرجل في تكوين جيل من المسلمين اليابانيين، الذين قدموا من بعده خدمات جليلة لحركة الدعوة الإسلامية في اليابان، من خلال تواصلهم مع الجامعة التي تخرج فيها تناكا إيبيه.

جاء الكتاب في ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، جاء في الجزء الأول (ديسمبر عام ١٩٢٣م ـ مايو عام ١٩٢٤م): الرحيل من طوكيو، وشين تاو في توكوتان، ورأي شخصي، والحكيم الصيني رو زن دوشي، وغيرها.

ومن موضوعات الجزء الثاني (أغسطس ١٩٢٤م): انتظار السفينة، والمتعة والسرور على ظهر السفينة، ومن سنغافورة إلى جدة، ومن جدة إلى مكة، ومكة والكعبة، وغيرها.

ومن موضوعات الجزء الثالث (١٢ أغسطس - ديسمبر١٩٢٤م): سياحة في مزرعة المطاط، ونظرة في سنغافورة، وسنغافورة - رانجون - كلكتا - وغيرها. وختم المؤلف كتابه بالنتائج التي استنبطها من رحلاته إلى بلدان العالم الإسلامي.

اتجاهات الشباب في دول مجلس التعاون

النقيب، خلدون (وآخرون)/ اتجاهات الشباب في دول مجلس التعاون.- الكويت: دار قرطاس للنشر، ٢٠٠٦م، ٢٨٢ص.

يضم هذا الكتاب الدراسات الميدانية، والإحصائية، والتحليلية، التي ألقيت في المؤتمر السنوي السابع والعشرين لمنتدى التنمية، الذي عقد في فبراير/ شباط عام ٢٠٠٦م، في مملكة البحرين، تحت عنوان: «اتجاهات الشباب في دول مجلس التعاون».

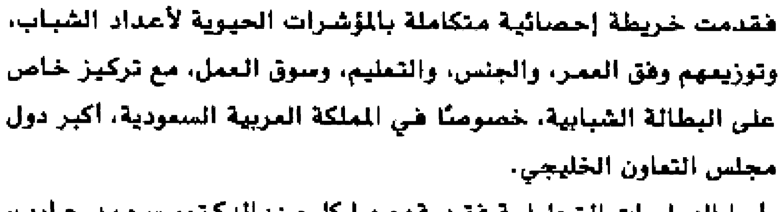
وكان الهدف من وراء طرح موضوع اتجاهات الشباب في دول مجلس التعاون، الوصول إلى فهم أفضل، وأعمق، وأوضح، لوضع الشباب كقطاع استراتيجي وتنموي، ومستقبلي، لذلك كان من المهم الاقتراب من عالم الشباب، وفهم دوره، والتعرف إلى مشكلاته الاجتماعية، واستيعاب ظروفه الحياتية، واستطلاع توجهاته الفكرية، واتجاهاته السياسية، واستيعاب تطلعاته المستقبلية.

وقد مزج المؤتمر بين الشهادات الشبابية الحية، والدراسات، والبحوث الميدانية، والإحصائية، والتحليلية، التي تناولت الاتجاهات الفكرية، والسياسية، والسلوكية لشباب دول مجلس التعاون.

أعد الدراسة الميدانية الأولى كل من: الدكتور خلدون النقيب، والدكتور باقر النجار، والدكتورة ريما الصبان، ورصدت الدراسة اتجاهات الشباب الذاتية، والعامة، وميولهم السياسية، والفكرية، ومواقفهم من مجموعة من القضايا الخليجية، والعربية، وأكدت هذه الدراسة أن شباب المنطقة يعيش واقعه، ويتفاعل مع قضاياه، وهو في العموم سعيد بحياته، ومتفائل بمستقبله.

أما الدراسة الإحصائية الثانية للدكتور عبدالعزيز حمد العويشق،




فقدمت خريطة إحصائية متكاملة بالمؤشرات الحيوية لأعداد الشباب، وتوزيعهم وفق العمر، والجنس، والتعليم، وسوق العمل، مع تركيز خاص على البطالة الشبابية، خصوصًا في المملكة العربية السعودية، أكبر دول مجلس التعاون الخليجي.

أما الدراسات التحليلية فقد قدمها كل من: الدكتور سعيد حارب، والدكتور سعد بن طفلة، إذ ركزت دراسة الدكتور سعيد حارب في المناهج الدراسية، ولا سيما التربية الوطنية، وعالجت مجموعة من المفردات حول القيم الحيوية الجديدة، والمستجدات الفكرية، والسلوكية، وتأثيرها في الاتجاهات الشبابية. ثم تناول الدكتور سعد بن طفلة، في دراسته المقتضبة، دور وسائل الإعلام، ولا سيما الفضائيات بأشكالها، وتنوعاتها، وميولها، في خلق القيم الاجتماعية، والفكرية، والمواقف السلوكية، لدى شباب دول مجلس التعاون.

وقد أثارت هذه الدراسات الميدانية، والإحصائية، والتحليلية، مجموعة واسعة من الحوارات المسؤولة، والنقاشات القيمة، والتعليقات النقدية، والإضافات الفكرية.

أوزْبيكيسنون/آنديجان اليوم. - طشقند: مطبعة أوزْبيكيسنون، ٢٠٠٦م، ١٨١ص.

يتناول هذا الكتاب التحولات الواسعة، والإصلاحات الجارية في مقاطعة «آنديجان» في السنوات الأخيرة، ويتطرق إلى صناعة سيارات «أُوزْ ديوُو آفْتو» التي سماها الصحفيون: «معجزة أوزبيكية».

واستهل الكتاب بكلمة رئيس جمهورية أوزباكستان إسلام كريموف، الذي قال: «لن أطنب إن قلت إن مقاطعة «آنديجان» قد نالت مكانة مرموقة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، وفي مجال التقدم الوطني، في أعوام الاستقلال، وما تحقق من نجاح، إنما كان بفضل البسالة، والمبادرة، والهمم العالية، التي اختص الله بها سكان هذه المقاطعة، فهم أهل بذل وتضحية».

وتطرق الكتاب كذلك إلى موقع «آنديجان» الجغرافي، وأراضيها الخصبة المفيدة، الصالحة للحياة الحضارية، الممتدة على شواطئ «كارذاريا»، كما أن «آنديجان» كانت نقطة مهمة في «طريق تجارة الحرير». وتشتهر منذ القدم بإنتاج الأقمشة من القطن، والحرير، إضافة إلى المنتجات الفخارية،

وغيرها، كما تتميز بالأعمال الأدبية والفنية، ولها تراث علمي، وفني عريق، وينتمي إليها عدد من العلماء المشاهير على نطاق العالم.

وتقع «أنديجان» على وادي «فيرفانا»، الذي يطلق عليه اسم «وادي الذهب»، وتتميز بطبيعة نادرة، وتاريخ عريق، ومقدرة اقتصادية، وتربة مخصبة، وكثرة المحاصيل الزراعية، ويشتهر أهلها بحب العمل، فهم أصحاب همم عالية.

ويتناول الكتاب مجالات الإنتاج المشترك، التي تعتمد على الخام الداخلي المحلي، من قطاعات حكومية، وخصوصية، ويذكر مدى الاهتمام الواسع بالزراعة، ويرصد أكثر (١٧٠٠) مزرعة، وقد حققت المقاطعة نجاحًا كبيرًا في إقامة البنية التحتية، وحققت مشروعات توصيل الغاز، والماء إلى السكان. وبنت طرقًا، وقامت بعدد من الإصلاحات.

ويوجد حاليًا في هذه المقاطعة: ٨٣ مستشفى، و٥٦٠ عيادة صحية، و٧٤٦ مدرسة عامة (ثانوية)، و٨٣ معهدًا، و٥ جامعات.

ويشير الكتاب إلى الاهتمام بقضايا الرعاية الاجتماعية مثل: التسهيلات المالية للمتقاعدين، والتعويضات العائلية، وإعانات البطالة، وما إلى ذلك.

ويوضح الكتاب أهمية الإدارات المحلية (البلديات)، وإسهاماتها في البنية التحتية للمقاطعة، ويعدد الاستثمارات المستقبلية، المتمثلة في تدريب الشباب وتأهيلهم علميًا، ورياضيًا، مع توفير فرص العمل لهم.

ويذكر الكتاب ما يسود في هذه المقاطعة من احترام للعلاقات بين القوميات، والأديان، وأصحاب اللغات المختلفة، ويلقي الضوء على اهتمامات الجمهورية، بإحياء التراث الديني الروحي قديمًا وحديثًا، والحفاظ على المقدسات.

ويذكر الكتاب الإنتاج الإجمالي الداخلي للقطاعات الحكومية، والخصوصية، ويرجع الفضل في التقدم الذي أحرزته هذه المقاطعة إلى النموذج، والخطة التي قدمها رئيس الجمهورية إسلام كاريموف، ونظرته البعيدة في وضع الاستراتيجيات، والإصلاحات المرحلية.

وصدر الكتاب باللغتين الأوزبكية والإنجليزية.

موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية.- الرياض: دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٤هـ، ٦مج.



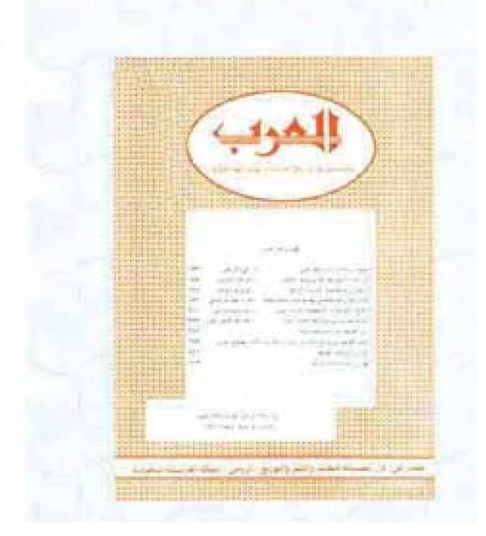
تشمل هذه الموسوعة جميع الأسماء الواردة في الخرائط الطبوغرافية الأساسية للمملكة العربية السعودية، بمقياس رسم ١: ٠٠٠ر٥٠، ومقياس رسم ١:٠٠٠ر١٠٠، التي أنتجتها الإدارة العامة للمساحة (المساحة الجوية)، بوزارة البترول والثروة المعدنية، إضافة إلى أسماء الأماكن التي لم تغطَّ في تلك الخرائط، أو التي ظهرت بعد إنتاجها؛ إذ تصل إلى ما يربو على ٧٣ ألف اسم، مع بيان كتابتها بالحروف اللاتينية، وإحداثياتها الجغرافية، مقربة إلى أقرب خمس ثوان، إضافة إلى تصنيفها، وأرقام الخرائط التي تقع فيها، وهذا عمل مهم لتغطيته الشاملة لجميع أراضي المملكة. كما أنه، أول مرة، يربط موقع المكان بالمنطقة الإدارية، وهو ما سيتيح للجهات الحكومية، والخاصة، والباحثين، والمهتمين، في مختلف مناطق المملكة، معلومات دقيقة عن الأماكن، تفيدها في احتياجاتها ومتطلباتها، كما أضيفت معلومات مفيدة وحديثة عن بعض المظاهر الطبيعية في المملكة، التي تهم الباحث والقارئ. كما أن الخرائط المرفقة مع الموسوعة تعد أولى خرائط متخصصة للمناطق، تحدد نطاق الإشراف الإداري للمناطق الإدارية، وقد استغرق العمل في إعداد هذه الموسوعة نحو عشر سنوات.

وتشمل الموسوعة:

- بيانات الأسماء مرتبة ألفبائيًا مع كتابتها بالحروف اللاتينية، وإحداثياتها، وتصنيفها، وربطها بالخرائط، وكذلك ارتباطها الإداري، وجاءت في ستة أجزاء؛ خُصص قسم من الجزء الأول لتقديم الموسوعة، ولإعطاء معلومات عامة عن المملكة العربية السعودية، وجغرافيتها، إضافة إلى بعض المعلومات الأخرى.
- ثماني خرائط طبوغرافية للمناطق الإدارية بمقياس رسم ١: ٠٠٠ر٠٠٠ر١.
- خريطتين للمملكة بمقياس رسم ١: ٠٠٠ر٠٠٠ر٤: إحداهما جغرافية، والأخرى للمناطق الإدارية.

وقالت هيئة تحرير الموسوعة: إن هذا جهد بشري معرض للخطأ والصواب، ووجهت بالرجوع إلى هيئة المساحة الجيولوجية السعودية - مكتب الرياض، أو دارة الملك عبدالعزيز، في حالة وجود أية ملحوظات أو تصويبات، لتصحيحها في الطبعات المقبلة.





العرب (س ٤١، ج١١ـ ١٢، الجماديان ١٤٢٧هـ/حزيران ـ تموز/ يونيو ـ يوليو ٢٠٠٦م)

مجلة تعنى بتاريخ العرب، وآدابهم، وتراثهم الفكري، وتصدر عن دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع في الرياض.

حفلت هذه الدورية بعدد وافر من البحوث، والدراسات، التي تناولت تاريخ العرب، وآدابهم، وتراثهم الفكري، بدأت ببحث الدكتور زكي ذاكر العاني بعنوان: «منهج ابن سلام في رواية الشعر العربي»، وكتب الدكتور عبدالمجيد الإسداوي موضوعًا بعنوان: «من المستدرك على شعر أحمد بن يوسف الكاتب»، وتناول الأستاذ المهدي عيد الرواضية «الرحلة إلى القسطنطينية: الأسباب والدوافع»، وقدّم الدكتور محمد خير البقاعي ترجمة لـ«كتاب الحج إلى مكة المكرمة من وجهة نظر دينية، واجتماعية، وصحية»، واستعرض الدكتور عبدالرحيم شث ثاني «ملامح بلاغية لجواب الاستفهام في الحديث النبوي»، وكانت آخر بحوث العدد بعنوان: «القيمة المعمارية لمباني مدينة العلا القديمة (الديرة)»، بقلم الدكتور محمد حمد خُليص الحربي.

وجاء بريد العرب في هذا العدد «حول نسب قبيلة عتيبة»، ورد من الأستاذ فالح ذياب العتيبي، أوضح فيه مرئياته حول موضوع الأستاذ تركي بن مطلق القداح العتيبي؛ الذي نشر في مجلة (العرب) بعنوان: «تحقيق نسب وبلاد بني شبابة»، الذي ذهب فيه إلى انتساب قبيلة عتيبة إلى شبابة الكنانية، وهو نفسه القول الذي ذهب إليه الأستاذ راشد بن حمدان المسعودي في تعقيب له بمجلة العرب.

وجاء في مكتبة العرب مراجعة لكتابي: «من سوانح الذكريات»، تأليف: حمد الجاسر، ومراجعة عبدالرحمن الشبيلي، وكتاب: «التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي» تأليف: الدكتور سلطان سعد القحطاني. وفي «إهداءات إلى مكتبة العرب» عدد من الكتب والمجلات، وختمت المجلة بـ «فهارس السنة الواحدة والأربعين»، التي شملت: الكُتّاب والمعلّقين، والموضوعات العامة، والأعلام، والقبائل والأُسر والجماعات، والكُتب والصحف والمجلات، والمواضع.

العنوان: ص.ب ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦ ـ المملكة العربية السعودية.

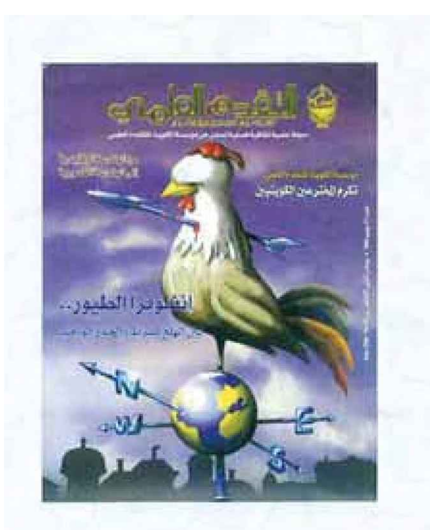
شارع التحلية، عمارة التوفيق.

هاتف: ٢١٧٨٢٢١

لاقط: ٢١٧٨٢٢٣

الصفحة الإلكترونية: WWW. hamadaljasser.com





التقدم العلمي (ع ٥٣، جمادى الأولى ١٤٢٧هـ/ يونيو ٢٠٠٦م)

مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

حفل هذا العدد من المجلة، بعدد وافر من البحوث العلمية المتنوعة، بدأت بـ «أخبار المؤسسة»، وقد جاء فيها: «المؤسسة تقدم وقفية لكرسي أكاديمي باسم سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح»، و«وفد المؤسسة يزور جامعة شيكاغو»، و«المؤسسة تكرم المخترعين الكويتيين»، و«حلقة نقاشية حول استزراع نبات Vetiver في الخليج العربي»، وغيرها من الأخبار العلمية.

وجاء ملف العدد بعنوان: «إنفلونزا الطيور.. بين الهلع المفرط والحذر الواجب»، كتب فيه ثلاثة من المتخصصين مقالات تناولت موضوعات شاملة عن هذا المرض، وطرائق الوقاية منه، والعلاجات المتوافرة. وجاءت البحوث كالآتي: «إنفلونزا الطيور: السجل، والأعراض، والعلاج» للدكتور عصام خالد البحوه، و«آفيان.. إنفلونزا الطيور وهوس اجتياح الفيروس» للدكتورة ياسمين بدوي، و«الإنفلونزا الوبائية» للدكتور عبداللطيف المر. كذلك استعرضت المجلة في هذا الملف إصدارين حديثين عن إنفلونزا الطيور، هما: «آفيان.. إنفلونزا الطيور» للدكتور عصام خالد البحوه و«إنفلونزا الطيور: المعرفة طريق الوقاية» للدكتور احمد الشطي.

ومن بحوث العدد الأخرى، كتب الدكتور يوسف بو عباس بحثًا بعنوان: «مرض السكري.. الأسباب، وطرائق الوقاية، والعلاج». وتناول الدكتور محسن خضر «التحسين الوراثي للطبيعة الإنسانية، من البيولوجينيا إلى الاستنساخ». وكتب الدكتور نأول عبدالهادي عن «حرب الجينات». وشرح الدكتور محمد وليد كامل أسباب «الرائحة الكيماوية عند النمل». وشرح الدكتور عبدالرحمن عبداللطيف النمر عمل «مقياس الحرارة» الذي اكتشفه جاليلي، وأحدث ثورة في الطب الحديث. وتساءل الدكتور غازي حاتم: «هل يلغي المترجم الآلي الحواجز بين الشعوب» وغير ذلك من البحوث.

العنوان: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص. ب: ٢٥٢٦٣ ـ الرمز البريدي: ١٣١١٣ ـ الصفاة ـ الكويت.

هاتف: ٢٤١٥٥١٠

ناسوخ: ٢٤١٥٥٢٠

e-mail:asm@kfas.org.kw





ربيع الورد بين الطائف وأريانة

البشير السالمي
تونس - تونس

اطلت أيام المعرض الدولي للكتاب بتونس على العدد قبل الأخير لمجلة «الفيصل» السعودية، التي احتوت على عدة مقالات جديدة ومتنوعة، تصدّرها بالخصوص تحقيق علمي وتاريخي وأدبي طريف بعنوان: «ورد الطائف كرنفالية العطر والندى» بقلم الأستاذ حماد بن حامد السالمي - صاحب عدة مؤلفات تاريخية وسياسية، وأدبية، ورئيس مكتب جريدة الجزيرة السعودية بالطائف، ورئيس اللجنة السياحية بها. وقد ظهر هذا التحقيق متزامنًا مع الاحتفال بموسم الورد في هذه المدينة، الذي يمتد كامل أيام إبريل/ نيسان من كل عام. وقد ذكرني ببحث شائق في الموضوع نفسه للكاتب التونسي الشاذلي زوكار، كان نشره بعنوان «أريانة مدينة الربيع والورد» لدى احتفالها في النصف الثاني من مايو/ أيار الماضي بمهرجان الورد السنوي.

ولعل أبرز ما يشد الانتباه فيما نقرؤه للكاتب السعودي، حرصه في هذا التحقيق على الشمولية والاستقراء، إذ يتتبع تعريف الورد من الإمام أبي حنيفة، إلى علماء اللغة، أمثال: الجوهري، وابن سيدة، والزجاج، إلى ذكره في تسع آيات من محكم القرآن، ثم يتتبع أماكن نمو الورد وبيئاته المفضلة، وأشهر المدن التي عرفت به من قارة آسيا، إلى الجزء الشمالي من الكرة الأرضية، إلى أوربا، وبالمملكة البريطانية، إلى الشرق الأوسط، بكل من سورية، ولبنان، والعراق، والبصرة، ومصر، وإيران، إلى بلدان شمال إفريقية، من دون أن تفوته الإشارة - هنا وهناك - إلى أي أنواع الورد أزكى رائحة، وأطيب شذى، وأيها أجود طلعة، وأروع شكلاً، مبينًا تفرع الورد إلى ٣١ نوعًا على الأقل.

ثم لا يلبث الكاتب، بعد ذلك، أن يأتي على آراء أهل الاختصاص، من علماء الطب، والصيدلة، والتجميل، في الانتفاع المحكم بمستحضرات الورد ومائه، وبخاصة في تأثيره الناجع في وجع العين والمعدة، وفي تسكين الحمى، وفي التنشيط الجنسي، وغير ذلك من المآرب الأخرى.

والطريف حقًا في هذا التحقيق، أن صاحبه يمزج الجانب العلمي والفني والبيئي والتاريخي، بالجانب الأدبي الذي يخاطب الوجدان، والذوق، ومشاعر الإنسان، وعواطفه، فهذا القاضي التنوخي يعجب ذات يوم بمنظر بركة في قصره، كاد يغطي الورد والبهار معظم مائها، فيقترح على جليسه الشاعر أبي الفرج الببغاء، أن يصف هذا المشهد الخلاب فيقول على البديهة:

خجل الورد من جوار البهار
فغشى باحمرار في اصفرار؟

وهذا جلال الدين السيوطي - مع علو منزلته - يغرم بالورد هو الآخر، أيما غرام، فيؤلف فيه مقامة برمتها، سماها: «المقامة الوردية». ويمعن حماد السالمي في استنطاق التراث العربي الإسلامي في ميدان الورد، مقتفيًا أسلوب الكتّاب القدامى، في المزج بين أكثر من غرض في الكتاب الواحد، والباب الواحد، كما كان يفعل الجاحظ، وغيره. ويرى أن تواتر ذكر الورد على ألسنة الشعراء العرب منذ القديم، ليس إلا مؤشرًا على ما تأصل لديهم من ذوق حضاري رفيع، وروح جمالية عالية، ويقدم عينات معبرة عن ذلك، مثل تغزل ابن الرومي بمن يحب قائلاً:

خجلت غصون الورد من تقبيلها
خجلا توردها عليه شاهد

ومثل محمد بن موسى الذي ينشد وصل من يهوى بالشام فيقول:

ما بال فرقة شملنا لا تجمع
وإلى متى يصل الزمان ويقطع
فالورد يلطم خده والجلنا
رعيون نرجسه علينا تدمع

وهذا ابن عبدالرحمن في الأندلس يعكس الصورة، فيصف الورد الذي بلله الندى، بخد المشوق الخجلان قائلاً:

وكـأن الـورد يـعـلـوه الـنـدى
وجنة المـعـشـوق تندى عـرقـا

ثم يتذكر الكاتب أنه يساهم بهذا التحقيق في الاحتفال بموسم الورد بالطائف، فيستعرض طائفة من شعراء هذه المدينة العريقة، ومن السعودية عمومًا، بدءًا بعادل البطوسي الذي يرسم صورة في غاية الروعة لفاتنته قائلاً:

يا طائف الطائف الخضراء خبرني
عن عشبة رشها الشلال بالغسق
عن وردة الصبح كيف الطل قبلها
فظفّرت شعرها المبلول بالشفق

إلى أن يورد أبياتًا ممتعة من السهل الممتنع، للأمير عبدالله الفيصل، التي صارت اليوم من روائع الأغاني يرددها الكبار والصغار يقول فيها:

يا ليت وصلك يعود
وأسعد بلثم الخدود
يا للي تشادي الورود
قلبي بقربك يطيب
يا ريم وادي ثقيف

وفي الدراسة الثانية التونسية، التي سبقت الإشارة إليها: «أريانة مدينة الربيع والورود»، ركز فيها صاحبها الأستاذ الشاذلي زوكار على التقاليد الحضارية التونسية، في العناية بالورد، وإعلاء شأنه، والسعي الدائم إلى غرسه في الحدائق الخاصة، وتوفيره في حفلات الأفراح والمسرات، وتزيين الدور والقصور به. ويلاحظ زوكار بشاعريته ورقته، كيف تتحول بعض الجهات في تونس إلى زرابي مبثوثة من الأزهار المنعشة في فصل الربيع، وبخاصة في مدينة أريانة وما حولها، التي اشتهرت على مر الأيام باعتدال مناخها، وخصوبة أرضها، وملاءمتها لغراسة الورد وتكاثره، كما اشتهرت منذ القديم بسلامة بيئتها من أي تلوث وبصفائها ونقاوة هوائها، ويحرص زائرها، على إدامة التنزه فيها، والاستقرار بأرجائها.

ويتحدث صاحب البحث عن عدد من الرجال التونسيين، الذين استهوتهم الطبيعة الغناء بأريانة، وسلبت عقولهم، واستبدت بملكاتهم ورودها الذكية الفواحة، وانطلقت ألسنتهم بأعذب الألحان، وبأروع آيات البيان. ويذكر في هذا المجال طائفة من الشعراء البارزين أمثال الباجي المسعودي، وإشادته بما حبا الله به تونس وأريانة - على وجه الخصوص - من طبيعة خلابة، منها قصيدته المشهورة:

حيّي نسيمك حتى كاد يحييني
يا تونس الأنس يا خضرا الميادين

إلى أن يقول عن أريانة:

ساعد أخاك إلى أريانة فيها
روض توشّى بورد أو نسرين

ثم يذكر الشيخ الشاعر الطاهر القصار، الذي خص أريانة وزيتونها هو الآخر بموشح بديع جاء فيه:

منزه بالحسن يزهو ونسيم مستطاب
يمّم رياض الورد ظهرًا واجعل بأريانة المقيل
وانشق زمان الأصيل نشرًا في ظل زيتونها الظليل

ولا يخفي الشاذلي زوكار شدة إعجابه بموشح متميز، لمحمد الهادي المدني، أصيل هذه الربوع، الذي يتغزل فيه بمحيط أريانة، وأشجارها، وأطيارها، وورودها، إلى أن يقول:

إلا اقطف وردة فيها بقايا من ندى الليل
وناولها فتاة من ذوات الأعين النجل.

وإذا كان حمادي السالم قد أخذنا بعيدًا في رحلة وردية طويلة، جمعت بين العلم والفن والأدب، عبر المشرق والمغرب، ليحط الرحال في خاتمة المطاف «المطاف» الميمون، ويركز في كرنفالية الورد، وعطره، ونداه، طوال الشهر الماضي، فإن شقيقه الشاذلي زوكار، قال عن تونس الأنس ما لم يقله شقيقه السعودي، فاكتملت بذلك حبات العقد الوردي من الطائف إلى أريانة، ليتوج علاقات المحبة، ويقوي وشائج القربى بين أهلينا ومثقفينا، ويجعل مسيرة أيامنا من السعودية إلى تونس، عابقة بالورد، وطافحة بالصفاء.

* نشر في مجلة الملاحظ التونسية الأربعاء ٢٤ مايو/ أيار عام ٢٠٠٦م


الفيصل
الفيصل
الفيصل
الفيصل
الفيصل
الفيصل